بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العـالي

جامعة أم القــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : عبد العزيز بن بركي بن علي الحربي .... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : الكتاب والسنة ....

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه .... في تخصص : الكتاب والسنة ....

عنوان الأطروحة : ((مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبي البركات النسفي ، من أول سورة النحل إلى آخر [illegible] دراسة وتحقيق .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٣ / ٢ / ١٤٢٧هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د/ [illegible]	الاسم : أ.د/ محمد أحمد يوسف القاسم	الاسم : [illegible]
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد

رئيس قسم

الاسم :

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب و السنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٤٦٦
جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٠٠١٢٧٦

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي

(ت : ٧١٠هـ)

من أول سورة النحل إلى آخر سورة الروم

دراسة وتحقيق الطالب

عبدالعزيز بن علي بن علي الحربي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم التفسير

إشراف :

أ. د. / أمين بن محمد عطية باشا

الجزء الأول

١٤٢٠ــ١٤٢١هـ

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠) .

(من أول سورة النحل إلى آخر سورة الروم)

اسم الباحث : عبد العزيز بن علي بن علي الحربي .

أهداف الرسالة : المشاركة في تحقيق التراث وإخراجه على وجه مرضي وخدمة كتاب الله تعالى .

منهجية الرسالة : تحقيق نص الكتاب بعد اختيار أفضل نسخه أصلا وتصحيح عباراته وشكل ما أشكل ، وتخريج آياته و آحاديثه وآثاره و التعليق على ما احتاج إلى تعليق بعد دراسة مستضيفة عن المصنف ، حياته ، ومصنفاته ، ومذهبه ، ومعتقده ، ودراسة عن كتابه ، وصفا لنسخه المخطوطة ، والمطبوعة .

أهم النتائج :

- الإمام النسفي رحمه الله ممن رزق حسن التأليف توسطا في العبارة ووضوحا في المعنى ، وهو حنفي المذهب ماتريدي المعتقد ، صنف في مهمات الفنون ، كالفقه وأصوله ، والتفسير ، والاعتقاد ، والزهد...إلخ .
- تفسير النسفي من أوسط كتب التفسير ، جمع فوائد ولطائف ، على طريقة واحدة في عامة كتابه .
- أفاد كثيرا من تفسير الكشاف بل جعله أصلا لكتابه يأخذ منه أخذ العالم ويذر منه عالما بإشاراته الاعتزاليه فكان بهذا أكثر فائدة .
- في هذا الكتاب نقول نفيسة نادرة عن كثير من العلماء كثير منها لا يوجد فيما دفعته المطابع من كتب التفسير .

أهم التوصيات :

- أوصي عامة طلبة العلم والباحثين إلى العناية بالتفسير دراسة و اطلاعا وتحقيقا ، ففيه عامة العلوم .
- أن يكون لطالب العلم كتاب من كتب التفسير المتوسطة ككتاب النسفي ، يديم النظر إليه ويعود إليه كلما احتاج إلى معنى آية أو شرح كلمة .
- أن يكون على صلة قوية باللغة العربية فهي الطريق المقرب له مقاصد الألفاظ و معانيها .
- كما أوصي بتحري الدقة والوقوف طويلا في فهم عبارات المصنفات المختصرة وتفتيق معانيها والتمرس على ذلك فإن ذلك مما يولد ملكة في الفهم والبيان .

الباحث	المشرف	عميد الكلية
عبدالعزيز بن علي بن علي الحربي	أ.د/ أمين محمد عطيه باشا	د/ محمد طاهر نور ولي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمـــــة

أحمد الله تعالى على توفيقه وفضله، وأصلي وأسلم على رسوله محمد، وعلى آلـــه وصحبه أجمعين. وبعد.

فإني مذ عرفت يميني من شمالي وجدتني موجّها نحو كتـــاب الله تعـــالى، قـــراءةً وحفظا، حتى منّ الله علي بحفظه كاملا، وتمكنت الرغبة من ذلك في زيادة ضبطه وإتقانه، وتعليمه، ثم في حفظ قراءاته، ورسمه وضبطه، وكان من آخر مايســر الله لي، ووفقني فيه معالجةُ ما أشكل من قراءاته في المعنى، واللغة والإعراب.(١)

ولم أك مترددا بعد ذلك في صرف الهمة إلى العناية بالتفسير، الذي علم القــراءات موضحٌ له وآلة من آلاته، وعزمت على ذلك إبّان انتهائي من مرحلة الماجســـتير، ووجدت كتاب " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " لأبي البركات، عبد الله بـــن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ) من أوسط كتب التفسير وتـــأكد العـــزم علـــى المشاركة في تحقيقه، ويسرالله ذلك، وأحمد الله الذي بنعمتـــه تتـــم الصالحـــات، والحمد لله على هداه كثيرا.

---

(١) هو موضوع رسالتي المقدمة بمرحلة الماجستير، عنوانها : توجيه مشـــكل القـــراءات العشرية الفرشية، لغة وتفسيرا، وإعرابا. إشراف الدكتور : محمد الحبيب ، حفظـــه الله .

أسباب اختيار الموضوع :

هنالك باعثان عامان دفعاني لاختيار هذا البحث، وبواعث خاصة من دونهما، أجملها في الآتي :

١ ــ رغبتي في المشاركة في تحقيق التراث وإخراجه على الوجه المرضي مصححا ومخرجا ومكملا بالتعليق على ما تدعو الحاجة إلى التعليق عليه، لتكون الفائدة به أتم، والنفع منه أقوم.

٢ ــ كان موضوعي في مرحلة الماجستير حول مشكل القراءات، وكنت لا أجد ما يزيل الإشكال، ويجتثه من أصله ــ في كثير من الأحيان ــ إلا في كتب التفسير، ومن ثم أدركت العلاقة الكبرى بين القراءات والتفسير، وأن المشتغل بالقراءات دراية ودراسة يجب أن يكون على دراية بالتفسير كثير العدول إليه. فأردت أن تكون دراستي في مرحلة الدكتوراه مكملة للجانب الآخر من علوم الكتاب المكنون.

٣ ــ قرأت في ترجمة هذا الإمام، وفي مقدمة ذلك التفسير، فوجدت ما يشدني إلى " المدارك " ويريني " الحقائق " إراءة طرحت عن خلدي التردد والحيرة في اختيار غيره، فهو" كتاب جامع لوجوه الإعراب، والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ... ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل " ووجدته كتابا ــ على وجازته ــ يجمع فوائد ولطائف، ويفسر جميع آي القرآن على طريقة واحدة،قليل الإحالة على ما مضى من تفسيره، وإن دعاه ذلك إلى التكرار وهي طريقة حسنة، فإن كثيرا من المفسرين يطيل في أول تفسيره ويتجاوز بعد

ذلك كثيرا من الآيات فلا يفسرها، ثقة بأن القارئ سوف يعود إلى مظانها فيما سبق، وهي طريقة لا يفيد منها إلا الحافظ الممارس.[1]

٤ ـــ زادني همة وعزما ما رأيته في هذا التفسير من عناية بالقراءات المتواترة مع عزوها إلى قائليها، وفي كثير من الأحيان، يكشف عن وجوهها وعللها، فحفزني ذلك على الاتجاه إلى تحقيقه ودراسته.

٥ ـــ كنت قبل ثماني حجج مدرسا بمعهد الحرم المكي الشريف، ومن مقرراته في التفسير هذا الكتاب، فكنت أسأل كثيرا عن بعض المسائل فيه وبيانها وأجد في بعض عباراته احتمالات، أعزوها إلى احتمال في خطأ في النسخة، بنقص، أو اختلاف.

٦ـــ تفسير الإمام النسفي ذو شهرة واسعة، وللعلماء اهتمام به كبير، ويدرس في بعض الجهات العلمية، ولإخراجه محققا ومعلقا عليه فوائد لا تخفى.

٧ ـــ في هذا السفر العظيم (تفسير النسفي) مسائل في الاعتقاد، هي مما نوزع فيه الإمام النسفي ـــ رحمه الله ـــ تحتاج إلى مناقشة وتوضيح. وذكر أقوال السلف فيها، حتى إذا وقع الكتاب في يد قارئ كانت نفس صاحبها مطمئنة.

٨ ـــ في اشتغالي بهذا التفسير ما يدفعني للرجوع إلى كثير من كتب التفسير والقراءات، والحديث واللغة والتراجم وغيرها. وفي ذلك فوائد لا تحصى كثرة.

لهذه البواعث، وغيرها يرجع اختياري لهذا البحث، الذي أرجو أن أوفق فيه نية، وعملا، وثوابا عند الله.

خطة البحث :

تتكون الخطة من مقدمة، وقسمين رئيسين، وخاتمة.

---

(١) من ذلك : الكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرزاي، ومحاسن التأويل للقاسمي، وغيرها.

أولا : المقدمة، وهي مشتملة على :

أهمية الموضوع، والبواعث على اختياري له، وخطة البحث والمنهج في الكتابة، وعملي في التحقيق والتعليق.

ثانيا : القسم الأول : الدراسة، وفيها بابان :

الباب الأول : عصر المؤلف، وحياته، وهو مشتمل على فصلين :

الفصل الأول : العصر الذي عاش فيه المؤلف، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : الحياة السياسية.

المبحث الثاني : الحياة العلمية.

الفصل الثاني : : حياة المؤلف، وفيه مباحث أربعة :

المبحث الأول : اسم المؤلف، ونسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثاني : شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الثالث : مذهبه، وعقيدته.

المبحث الرابع : مكانته العلمية.

المبحث الخامس : مصنفاته.

الباب الثاني : دراسة الكتاب، وقد جعلتها ضمن تمهيد وفصلين.

التمهيد : في التفسير بالمأثور، والتفسيربالرأي وتحته : توطئة، ومبحثان.

التوطئة : في تعريف التفسير.

المبحث الأول : في التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني : في التفسير بالرأي.

الفصل الأول : نسبة الكتاب ونسخه. وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توثيق نسبة الكتاب.

المبحث الثاني : وصف نسخ الكتاب المتوفر وجودها.

المبحث الثالث : لمحة موجزة عن النسخ المطبوعة.

الفصل الثاني : قيمة الكتاب العلمية، ومصادره، ومنهج المؤلف فيه، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهمية الكتاب العلمية.

المبحث الثاني : منهج المؤلف في تفسيره.

المبحث الثالث : مصادره.

ثالثا : القسم الثاني : النص المحقق.

وقد سلكت في التحقيق ـــ بعون الله تعالى ـــ منهجا، أجمله في الآتي :

١ـــ قابلت النسخ، بعضها ببعض، بعد اختيار أفضلها أصلا، ثم أثبت الفروق في الهوامش.

٢ ـــ وجهت الاعتناء بإخراج النص مصححا، مضبوط المشكل، على وجه تحريت فيه أن يكون محل الرضا.

٣ـــ أهمل الناسخ بعض الكلمات من الإعجام، فتصرفت فيها بإعجامها، دون أن أشير إلى ذلك.

٤ـــ في نسخة الأصل، ونسخة " ب " مخالفة للرسم المعهود، فأثبته بما جرى العرف به من بعد واستقر الرأي على كتابته، ولا أشير إلى ذلك إلا فيما ندر ؛ لنكتة، كأن تكون الكلمة كتبت بتاء مفتوحة، فأثبتها مربوطة، ثم أشير إلى وجهيتها في اللغة وصحتها، وإن كانت مخالفة للمشهور لدى السابقين.

٥ـــ عدلت عن إثبات ما في الأصل في النص إلى إثبات ما في غيره إذا كان غير واضح أو كان خطأ محضا مشيرا إلى ذلك في الهامش مع الإشارة إلى أن الصواب المثبت. و لم أراع الأولوية في الفروق إلا في الصلاة على النبي ـــ صلى الله عليه

وسلم ــ ومثلها جمل (رضي الله عنه، أو عنهما، أو عنهم، ورحمه الله، بـالإفراد وغيره) أثبت المناسب من ذلك بين معقوفتين إن كان من غير الأصل، مشيرا إلى ذلك.

٦ ــ راعيت في ذكر الفروق ما كان منها مؤثرا وما ليس بمؤثر، طردا للقـاعدة، ولأن من الفروق ما قد يكون مؤثرا ؛ لاعتبار ليس مدركا للكل.

٧ ــ ربما كان في الفروق ما يحتاج إلى توضيح معناه، أو بيان وجهه في العربيـة، فأبين ذلك إذا احتاج المقام إلى بيان.

٨ ــ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها بأرقام آياتها، وذكرت الآيـات الـتي لم يذكرها المصنف، بل أشار إليها، أو إلى نظائرها.

٩ــ عمدت إلى جميع القراءات الواردة، ووثقتها، زيادة في الاعتناء بها، لاعتنـاء المصنف بذكرها، وقد أبين ما أشكل منها، وأذكر وجهه.

١٠ ــ علقت على ما ألح المقام على التعليق عليه، من مسائل القراءات، واللغـة، والإعراب، والعقيدة، والمسائل المختلفة، كل ذلك بين إيجـاز وإطنـاب، علـى حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه المرام.

١١ــ خرجت الأحاديث الواردة في المتن مبينا في الغـالب أحـوال أسـانيدها مستأنسا بأقوال من سبق من أعلام المحدثين، كابن حجر، والسيوطي، والمنـاوي وغيرهم.

١٢ ــ ما كان في المتن من آثار معزوة إلى قائليها، كابن عباس والحسن، وقتـادة فإني أوثق ذلك من كتب التفسير ونحوها المعنية بها. وكذلك الأقوال الـتي أبهـم قائلوها مع بيان من نسبت إليه إن أمكنني ذلك.

١٣ ــ عزوت الأبيات الشعرية وأنصافها إلى قائليها، مبينا البحر الـذي وردت على زنته، مع توثيقها من دواوين قائليها، أو ممن استشهد بها.

١٤ ــ شرحت الألفاظ الغريبة في لفظها، أو المراد منها، دون إسهاب، أعزو ذلك إلى الكتب المعتمدة في هذا الباب.

١٥ ــ أشرت إلى معنى بعض الجمل الغامضة في النص إشارة ترفع الغموض عنها.

١٦ ــ ذكرت ترجمة موجزة للأعلام من الناس وغير الناس، إلا أعلاما يدريها أو يفطن إلى تفصيل مظان ترجمتها كل من هو أهل لقراءة هذا الكتاب، كالأنبياء، وجبريل وميكائيل، عليهم السلام، وكالخلفاء الأربعة، ومشاهير الصحابة، كابن عباس وأبي هريرة، وعائشة، وكذلك المشهور من البلدان، كمكة والمدينة، وبغداد، وصنعاء. اخترت في ذلك المنهج الأوسط في الترجمة.

١٧ ــ ما كان فيه إحالة إلى تفسير النسفي، مما كان من الجزء المحقق ومن غيره، فإني أحيل إلى السورة ورقم الآية، فهي الإحالة المتفق عليها التي يهتدي بها في كل نسخة مطبوعة، وفي رسالتي هذه.

١٨ ــ كتبت كلمة (ابن) مرسومة بالألف إذا كانت خبرا، أو كان من بعدها ليس أبا لمن قبلها تبعا لما قرره المحققون في الكتابة.

رابعا : الخاتمة، وفيها فهارس الآيات والأحاديث والأشعار والمصادر والموضوعات.

ولقد كان لفضيلة المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / أمين محمد باشا، فضل كبير في إشرافه وتوجيهه، وتسديده ، وأولاني ثقة، انتفعت بها في مواصلة البحث وتحرير الأقوال. فله مني جزيل الشكر، وصادق الإكبار.

القسم الأول

الدراسة

وفيها بابان :

الباب الأول : عصر المؤلف وحياته وفيه فصلان.

الفصل الأول : عصر المصنف.

الفصل الثاني : حياة المصنف.

الفصل الأول : عصر المؤلف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

الحيـــــاة السياســـــية

عاش النسفي معظم حياته في معظم المائة السابعة وشيئ من المائة الثامنة.

ولم تحفل التراجم بذكر مولده. ولا علينا أن نجزم بأن مولده كـــان قبـــل ســـنة (٦٤٠ هـــ) إذا علم أنه تتلمذ على الشيخ عبد الستار الكردري المتـــوفى ســـنة (٦٤٢ هـــ) فقد ولد إذن قبل ذلك بسنين حتى يمكن القول بإمكـــان تحملـــه، وصحة تتلمذه.

وتلك الفترة التي عاشها النسفي كانت تموج بالفتن، والأحداث فيها متزاحمـــة، الحدث تلو الحدث، والأحداث عظام.

أولا : بلاد ما وراء النهر :

في سنة (٦١٧ هـــ) سقطت مدينة أوترار، التي كانت بوابة بلاد ما وراء النـــهر على يد المغول الذين دمروها تدميرا وزادوا في تعذيب أهلها والتنكيل بهم (١).

ثم استولى المغول على سمرقند بعد قتال ضار بينهم وبين أهلها، هلك فيـــه أكـــثر الجند الخوارزمي عام ٦١٧ هـــ.

---

(١) انظر : الكامل لابن الأثير ٩ / ٣٣٠ ـــ ٣٣١، حوادث سنة ٦١٧هـــ.

وأوغلوا بعد ذلك حتى تملكوا بلاد ما وراء النهر وبلاد العراق العجمي، وأذربيجان، وأصبحت بعد ذلك بلاد خوارزم خرابا يبابا، كأن لم تغن بالأمس، حتى تمكن السلطان جلال الدين فيكبرتي من الانتصار عليهم في جولة حامية الوطيس، ثم غلب، ثم رد لهم الكرة، واسترد ملكه وسلطانه على أقاليم خوارزم.

ثم في عام (٦٣٦هـ) بدأت تتهاوى البلاد مرة أخرى على يد المغول، وقتل جلال الدين.(١)

ثانيا : سقوط الخلافة العباسية :

ضعفت الدولة العباسية في عهد المعتصم، آخر الخلفاء العباسيين (٦٤٠ ــ ٦٦٦ هـ) فقد كان قليل الخبرة، ضعيف الحيلة.

جاء المغول إلى العراق عدة مرات، لم يتمكنوا فيها من إسقاط بغداد حتى كانت سنة (٦٥٦ هـ) إذ قدم هولاكو بجنود لا قبل لأهل بغداد بها. كانوا نحو مائتي ألف مقاتل، وزلزلوا بغداد زلزالا شديدا، وتفاوض وزير المعتصم بالله العلقمي مع هولاكو، وتوثق منه لنفسه وعاد إلى المعتصم وحسن له الخروج إلى هولاكو، فخرج من بغداد هو وأبناؤه، ثقة بوزيره ابن العلقمي الذي كان يخبئ له مكرا من خلف العداء الرافضي. فكانت النكبة على الأمة كلها، وسفكت دماء المسلمين من السنة والشيعة، وخلدت العار والشنار (٢).

ثالثا : أحداث أخرى :

قدم هولاكو إلى بلاد الشام محاصرا مدينة حلب ثم حماة، وأمر بخراب قلعة حلب وسورها فخربت، ونهبوا خيرات دمشق بعد أن سلمت بالأمان.

ــ ثم كان اليوم الفاصل الذي مني فيه التتر بشر هزيمة ، حيث سار الملك المظفر قطز ومعه أخوه الأفضل في أوائل رمضان من عام (٦٥٨ هـ) لقتال التتر،

---

(١) سيرة السلطان جلال الدين فنكرتي ٣٨١، انظر : الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق للدكتور عصام الدين عبد الرؤوف : ٢٧١، دار الفكر العربي.

(٢) انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢ / ١٨٩ ــ ١٩٠. والبداية والنهاية : ٧ / ٢١٣ وما بعدها.

جامعة أم القرى مكة المكرمة UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

والتقوا في عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، وأعمل المسلمون سيوفهم في رقاب العدو، وقتل قائدهم (كتبغا) وأُسر ابنُه. وتفرقوا شماطيط، في الجبال والكهوف، وتبعهم المسلمون فأفنوا مَن وجدوا منهم، وفرح المؤمنون بنصر الله.(١)

ثم مات هولاكو بعد ذلك عام (٦٦٤هـ)(٢). وتتابعت المواجهات بعد ذلك، بين التتار وأهل الشام، واستطاع التتار تقوية شوكتهم. غير أن المماليك الذين امتدّ ملكهم من (٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ) , استطاعوا أن يكسروا شوكة التتار لا سيما في معركة (شَقْحب) عام (٧٠٢) بحماة، التي اشترك فيها تقي الدين ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ـ رحمه الله ـ كما استطاعوا أن يطهروا بلاد الشام من الصليبيين الذين بقوافيها بعد أن مكثوا فيها مدة تقارب مائتي عام.(٣)

لقد كانت حياة المسلمين في هذه الفترة مثقلة بالجراح، ولا شك أن الطمأنينة والأمن والهدوء له أثر في حياة العالم ويمكنه من الاستقرار، وإحياء العلم في طمأنينة.

ولا شك أيضا أن القلاقل والفتن لها أثر آخر على أهل العلم، فتزيدهم ثباتاوغَيرة وحُرقةً على الإسلام وأهله.

فأمر المؤمنين ـ خاصة العلماء منهم ـ كله في الحالين خير، ولذلك حظيت هذه الفترة بعلماء في المشرق والمغرب قلّ أن يجتمع مثلهم في مجموعهم.

---

(١) انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢ / ١٩٩ ـ ١٩٣.والبداية والنهاية : ٧ / ٢٣ ـ ٢٣٥.

(٢) البداية والنهاية : ٧ / ٢٦٢، وشذرات الذهب : ٥ / ٣١٦.

وانظر : سلسلة التاريخ الإسلامي ص١٨٠ ـ ١٨٣، القسم الثالث : إعداد أساتذة في كلية اللغة العربية بالأزهر، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨م.

(٣) البداية والنهاية : ٧ / ٢٤ وما بعدها.

لعلّ هذا العرض السريع يعطي لمحة موجزة عن الحياة السياسية، يتضح من خلالهـــا أثرها على المصنف رحمه الله .

المبحث الثاني

الحيــــاة العلمــــية

كانت حياة المصنف : في القرن السابع، كما اتضح من ولادته، وعاش معظمــــه إلى منتهاه وجاوزه، وكانت الحياة العلمية في تلك الفترة في نمو وازديـــاد، فـــإن الرغبة في طلب العلم لا يحول بينها وبين العلم حروبٌ ولا قلاقل، وربمـــا زادت أهله عكوفا وشغفا.

فقد كثر في هذه الحقبة من الزمن أهل العلم، وكثرت التصانيف، غير أن الغـــالب على أهل تلك الديار (بلاد ما وراء النهر) التقليد حتى من كبارهم.

وقد أدرك المتأملون هذا الملحظ، وأن روح الاستقلال ضعفت في جانب الشـــرع تبعا لضعف الاستقلال في الجانب السياسي، وقل أن يخرج الواحد عن مذهبـــه، وكانت السمة الغالبة في تصانيفهم الترجيح بين الآراء في المذهب الواحد، وشـرح الكتب والانتصار للمذهب، والرد على المخالفين، وتعليل الأحكام، ومـــن ثَـــمَّ شاعت المناظرات بينهم والجدل[1] والمختصرات الـــتي احتـــاجت إلى شـــروح وحواشي.

ثم عادت في أواخر القرن السابع وأول القرن الثامن النهضة العلمية الاســـتقلالية، ونبغ في ذلك القرن علماء لم يجتمع مثلهم من بعد، و لم يدوّن لنا التاريخ قبلهم في

---

(١) ينظر : تاريخ التشريع الإسلامي للخضري : (٣٢٣ ــ ٣٣٢).

مجموعهم منذ المائة الخامسة التي جمعت : أبا بكر الباقلاني[1]، والحاكم[2]، وأبا حامد الإسفرائيني[3]، وابن فورك[4]، وابن مردويه[5]، وأبا إسحاق الإسفرائيني[6]، والقاضي عبد الوهاب[7]، وابن سينا[8]، وأبا منصور الثعالبي[9]، وأبا محمد الجويني[10]، وأبا العلاء المعري[11]، والماوردي[12]، وابن حزم[13]، والبيهقي [14]، والقاضي أبا يعلى[15]، وابن عبد البر [16]، وأبا الوليد الباجي [17] , وغيرهم.

وفيهم الفقيه المتضلع، والمقرئ الحافظ، والمحدث الحجة، والمفسر المتبحر، والنظار القوي، والشاعر المفلق، والطبيب الماهر.

والمائة الثامنة التي نعي في أولها : ابن دقيق العيد[18]، ثم جاء الصفي الهندي[1]، وابن تيمية[2]، وابن سيد الناس[3]، والبرزالي[4]، وابن قدمة المقدسي، وأبو

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٧ / ١٩٠، وشذرات الذهب : ٣ / ١٩٨.

(٢) أنظر ترجمته في النبلاء : ١٧ / ١٦٢، وشذرات الذهب : ٣ / ١٧٦.

(٣) أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٧ /١٩٣، وشذرات الذهب : ٣ / ١٧٨.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء : ١٧ / ٢١٤، وشذرات الذهب : ٣ / ١٨١.

(٥) انظر ترجمته في العبر : ٢ / ٢١٧، وشذرات الذهب : ٣ / ١٩٠.

(٦) انظر ترجمته في النبلاء : ١٧ / ٣٥٣، ودول الإسلام : ١ / ٢٤٩.

(٧) انظر سير أعلام النبلاء : ١٧ / ٤٢٩، وشذرات الذهب : ٣/ ٢٢٣.

(٨) انظر سير أعلام النبلاء : ١٧ / ٥٣١، وشذرات الذهب : ٣ / ٢٣٤.

(٩) انظر : شذرات الذهب : ٣ / ٢٤٦.

(١٠) انظر النجوم الزاهرة : ٥ / ٤٢.

(١١) انظر : العبر : ٢ / ٢٩٣، والنبلاء ١٨ / ٢٣.

(١٢) انظر : شذرات الذهب : ٣ / ٢٨٥.

(١٣) انظر : تذكرة الحفاظ : ٣ / ١١٤٣، والشذرات : ٣ / ٢٩٩.

(١٤) انظر : تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٣٢.

(١٥) انظر : تاريخ بغداد : ٢ / ٢٥٦.

(١٦) انظر : شذرات الذهب : ٣ / ٣١٦.

(١٧) انظر : سير أعلام النبلاء : ١٨ : ٥٣٦.

(١٨) ينظر : شذرات الذهب : ٦ / ٥ ــ ٦.والدرر الكامنة : ٤ / ٢١٠.

حيان[٥]، ويحيى ابن حمزة[٦]، والذهبي[٧]، وابن القيم مرورا بابن كثير[٨] والشاطبي[٩] (صاحب الموافقات) وانتهاء بابن الملقن، والبلقيني[١٠]، والعراقي[١١]، وابن خلدون.

ومعظم هؤلاء في مصر والشام.

إن سقوط بغداد وضياع كثير من دوايين الإسلام، بالحرق، والغرق، وقتل العلماء ربما كان عاملا قويا في أن يجمع العلماء هممهم للطلب والتأليف، لتعويض ما فات وبناء ما الهد.

ولعلنا من خلال العناصر الآتية نبرز هذا الجانب الى جانب الحياة العلمية على وجه الإيجاز :

١ ــ المساجد :

المسجد هو المدرسة المعلمة الأولى، والجامعة التي تخرج فيها صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم تزل كذلك إلى عصرنا. والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، هما المدرستان الكبريان، وكان الجامع الأزهر مقصد الطلاب والعلماء. وللزوايا في كثير من المساجد نصيب وافر، لعقد حلق لقراءة القرآن.[١]

---

(١) ينظر : شذرات الذهب : ٦ / ٢٧، والبدر الطالع : ١ / ٦٣.
(٢) ينظر : شذرات الذهب : ٦ / ٢٧، والبدر الطالع : ١ / ٦٣.
(٣) ينظر : شذرات الذهب : ٦ / ١٠٨.
(٤) ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ٣٢١، والشذرات : ٦ / ١٢٢.
(٥) انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٢٨.
(٦) انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٢٨.
(٧) انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٣٧.
(٨) انظر : طبقات الحفاظ : ٥٢٩.
(٩) انظر : طبقات الحفاظ : ٥٤٩
(١٠) انظر : طبقات الحفاظ : ٥٣٨.
(١١) حسن المحاضرة : ١ / ٣٦٠.

وتسمى أيضا الخوانق، وقد عدد النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨ هـ) نحوا من مائة زاوية في دمشق فقط.(٢)

٢ ـ المدارس :

عني المسلمون ببناء المدارس، فكانت عددا لا يحصى ، كثرة في المذهب الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، وكان في دمشق وحدها أكثر من مائة مدرسة.(٣)

قال ابن بطوطة : " وأما المدراس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها "(٤)

ولا غرابة في كثرها ورعاية الحكام والموسرين لها، فإن العلم يستحق ذلك وزيادة، وأهل العلم حقيقون بذلك، جديرون بأن يهيأ لهم وسائل العلم، مكانا ومعلمين وكتبا.

ولم تكن تلك المدارس حكرا على أهل تلك البلاد بل كانت موردا لكل من جاء ابتغاء العلم وطلبه.

وقد كان العلماء يرحلون لطلب العلم وتدريسه وطلب الإسناد، وملاقاة الكبار من أهل العلم، والنسفي واحد منهم.

٣ ـ دور القرآن والحديث :

وهي نوع من طراز آخر أنشأها السلاطين والأمراء وغيرهم من ذوي اليسار، وأوقفوا على كثير منها الأوقاف.

وكان يوضع عليها المبرزون، أمثال :

---

(١) نظر : رحلة ابن بطوطة : ٣٣.

(٢) انظر : الدارس في تاريخ المدارس : ١٠٩ ـ ١٤٨.

(٣) انظر : الدارس في تاريخ المدارس : ١ / ٩٦ وما بعدها.

(٤) رحلة ابن بطوطة : ٣٣.

" دار الحديث الأشرفية " التي كان عليها تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (ت : ٦٤٣) ثم النواوي، يحي بن شرف (ت ٦٧٦ هـ).[١]

و" دار الحديث الحمصية "، و" دار القرآن الجزرية ".[٢]

٤ ـ الرباطات، والترب : وهي منهل آخر من مناهل العلم، كانت بمنزلة العوامل المساعدة للمدارس الكبرى.[٣]

٥ ـ المكتبات : وهي ذخيرة العلماء، وفيها محابهم.

وقد حظيت المكتبات والخزائن بمن يقيمها ويقفها على طلبة العلم، مستقلة، أوفي دور، أو مساجد، أو غيرها، وقد يقفون عليها أموالا، لإمدادها، وحفظها.

وكان للأيوبيين تعلق ملحوظ بجمع الكتب، واعتاد الناس ـ أيامئذ ـ جمعها وشراءها، وإيداعها في المكتبات الخاصة والعامة.[٤]

لقد كانت هذه العناصر الخمسة أبرز ما يكون في عصر الإمام النسفي، وكان لهذه الأمور أثر بالغ في تكوين العلماء، وظهور مصنفات، في جميع الفنون.

وقد اكتفيت في مقدمة المبحث بذكر علماء في المشرق والمغرب، كل واحد منهم ترك آثارا، لا تزال فواحة حتى اليوم. وكان في ذكرهم غنية عن ذكر المصنفات في ذلك العصر في جميع العلوم.

---

(١) انظر : الدارس في تاريخ المدارس : ١ / ١٥.

(٢) انظر : الدارس في تاريخ المدارس : ١ / ٨.

(٣) المصدر السابق : ١ / ١٥٠ ـ ١٧٥.

(٤) انظر : مطالعات في الشعر المملوكي : ٦٥.

الفصل الثاني حياة المؤلف، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : اسم المؤلف، ونسبه، ومولده، ووفاته.

أولا : اسمه ونسبه :

حافظ الدين[1]، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات[2]، ينتسب إلى: " نسف"، بفتح النون والسين (كورة مستقلة مشهورة مما وراء النهر، بين "جيحون " "وسمرقند" وهي معرب "نخشب".. ونقل عن بعض الثقات أن اسم البلد نسف ككتف، والنسبة بالفتح على القياس كنمري).[3]

(١) قال محي الدين عبد القادر بن محمد القرشي : " حافظ الدين : لقب لإمامين عظيمين :
أحدهما : محمد بن محمد بن نصر أبو الفضل. (ت ٦٩٣هـ)
والآخر : عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات صاحب التصانيف في الفقه والأصول."
الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : ٤ / ٣٧٦.
(٢) انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، والدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري بردي : ١ / ٣٨٢. والأعلام : ٤ / ٦٧.
(٣) اج العروس : ٦ / ٢٥٤، (نسف).

ثانيا : ولادته زمانا، ومكانا :

برز في تلك البلاد علماء كثر، ومنهم : عالمنا، غير أن المصادر لم تذكر معلومات مفصلة عن ولادة كثير منهم ونشأتهم، ولذا لم أظفر بشئ يذكر زمان مولده.

ومكان مولده في " إيذج " بلد بين خوزستان وأصبهان، من عجائب البلدان.[١]

ويبقى زمان مولده مجهولا، وكذلك نشأته في عمره الأول، و لم تذكر لنا مصادر ترجمته شيئا عن أسرته، كحال كثير من علماء تلك البلدان الذين لولا آثارهم المنتشرة لبقوا رهن النسيان.

ثالثا: وفاته :

بعد حياة حفلت بالعلم والرحلة في طلبه، والإفادة والتصنيف قضى الإمام نحبه مشهودا له بالعلم وسعة الاطلاع، وعناية العلماء بكتبه، محزونا عليه مأسوفا.

واختلف في عام وفاته :

فذكر أبو الفداء، قاسم بن قطلوبغا (ت : ٨٧٩هـ) أنه " كان ببغداد سنة عشر وسبعمائة "[٢]، وأكده تقي الدين الغزي (ت ١٠١٠ هـ) [٣].

وكذلك صاحب " كشف الظنون " المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) في مواطن ذكره، وذكر مصنفاته، بهذا التاريخ مرات كثيرة [٤].

وقال آخرون : إنه توفي في العام الأول بعد السبعمائة[١] والمرجح : الأول، للقرائن والمرجحات الآتية :

---

(١) انظر : دائرة المعارف للمعلم بطرس ٤ / ٧٢٣.
وتضبط كلمه " إيذج " بهمزة مكسورة وذال مفتوحة.

(٢) تاج التراجم : ١٧٥.

(٣) انظر : الطبقات السنية : ١٥٥.

(٤) راجع المبحث الخامس في ذكر مصنفاته والإحالة إليه.

١ ــ الأكثرون عليه.

٢ ــ أهل الحفاوة بترجمته ومن يوافقه في المذهب يثبتون ذلك، وهم أدرى بصاحبهم من غيرهم.

٣ ــ التنصيص على دخوله بغداد عام عشر وسبعمائة.

٤ ــ كتابة ذلك بالحروف لا بالأرقام التي قد يحصل فيها الخطأ بتقديم أو تأخير.

و لم أجد خلافا في يوم وشهر وفاته، إذ توفي، في ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول.(٢)

ودفن ببلده " إيذج ".

و لم أجد تفصيلا في الكلام عن جنازته، ودفنه، ورثائه.

وكثير من علماء تلك الديار لم يصلنا كثير من أخبارهم لبعدهم عن أهل المشرق الداني.

وقد يترك العالم فلا يترجم له، لما بين المترجم والمترجم له من اختلاف في المذهب.

وأومـــأ إلى ذلك ابن حجر في خاتمة ترجمته.(٣)

---

(١) انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧.

(٢) انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، والطبقات السنية ١٥٥، ولم يذكر يوم وفاتـــه، والفوائد البهية : ١٠٢.

(٣) انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧.

المبحث الثاني

شيوخه وتلاميذه

أولاً : شيوخه :

طلب الإمام النسفي العلم على عدد من علماء عصره ومصره في مختلف الفنون وكانت له رحلات ونقل إلى مشاهيرهم، يسعى إليهم سعي الطالب النهم، وشرب من تلك الموارد المختلفة حتى بزّ أقرانه، وانعكس ذلك على تصانيفه فامتازت بما امتازت به من دقة وعلم أورثها قبولا وانتشارا.

وكان ممن ذكر من شيوخه :

١ ـ أبو الوجد، محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكَردَري[١]، الملقب بشمس الدين، المولود في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة من الهجرة[٢]. كان متبحراً في العلوم بارعا، له مصنفات كثيرة، وتلاميذ كثر. تفقه على برهان الدين أبي الحسن بن أبي بكر، صاحب الهداية , وتفقه على غيره، ولد سنة (٥٥٩ هـ) ومات يوم الجمعة، تاسع المحرم سنة (٦٤٢هـ) ببخارى[٣].

---

(١) نسبة إلى كردر، بفتحتين بينهما ساكن، ناحية من نواحي خوارزم. انظر : معجم البلدان : ٤ / ٤٥٠.

(٢) الجواهر المضيئة ٣ / ٢٢٨، والفوائد البهية ١٠٢، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣٥١.

(٣) تاج التراجم / ١٩١. رقم الترجمة (١٩٣).

ومنهم :

٢ــ محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردري، بدر الدين، جواهر زاده، ابن أخت محمد بن عبد الستار المتقدم ذكره وعليه ــ أعني خاله ــ تربى ونشأ، توفي سنة إحدى وخمسين وستمائة [١].

ومنهم :

٣ــ علي بن محمد بن علي بن حميد الدين، الضرير، المتوفى سنة سبع وستين وستمائة "

له شرح الهداية " قيل : هو أول من شرحها، وقيل السغناغي[٢].

وروي عن أحمد بن محمد العتابي (بفتح العين وتشديد التاء) المتوفى (٥٨٦هـــ) روى عنه بواسطة.

توفي في الثامن من ذي القعدة . [٣].

تنبيه :

هذا اللقب (وهوالنسبة إلى نسف) أطلق على علماء آخرين يزيدون على العشرين.

قال ابن الأ ثير : " خرج منها (نسف) جماعة من العلماء في كل فن، منهم : أبو إسحاق إبراهيم ابن معقل بن الحجاج بن خراش النسفي[٤]، كان من جلة العلماء وأصحاب الحديث الثقات، كتب الكثير، وجمع المسند والتفسير ، وروى عنه كثير من العلماء ومات سنة أربع وتسعين ومائتين ".[٥]

---

(١) انظر : ترجمته في الجواهر المضية ٢ / ٨٢، والفوائد البهية : ١٧٦

(٢) فوائد البهية : ١٢٥.

(٣) الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، وانظر ترجمته في الفوائد البهية ٣٦.

(٤) انظر : ترجمته في : الجواهر المضيئة ١ / ٣٧٣، والفوائد البهية : ١٢٥، والأعلام : ٤/ ٣٣٣.

(٥) اللباب في تهذيب الأنساب : ٣ / ٣٠٨.

وأضيف إلى ذلك آخرين شهروا بهذه النسبة ولهم مصنفات لكيلا يخلط بينهم من لا يعرف الائتلاف والاختلاف، وقد اجتمع لدي منهم نحو العشرين، أذكر أشهرهم، وهم:

ـــ أبو إسحاق، إبراهيم بن معقل ابن خداش الحنفي، قاضي نسف (ت ٢٩٤ هـ) له كتاب في " تفسير القرآن ".(١)

٢ ـــ أبو مطيع، مكحول بن الفضل المكحولي النسفي، الحنفي، (ت ٣١٨ هـ) له : اللؤلؤيات في الزهد، والشعاع في الفقه.(٢)

٣ ـــ إسماعيل بن طاهر بن يوسف النسفي، أبو تراب (ت ٤٤٨ هـ) له كتاب الاعتقاد.(٣)

٤ ـــ عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي (ت٥٣٧ هـ) عالم متفنن، له : التيسير في تفسير القرآن. وطلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية.(٤)

٥ ـــ أبو المعين، ميمون بن محمد المكحولي النسفي الحنفي. ـــ (٥٠٨) له : تبصرة الأدلة في علم الكلام، والتمهيد لقواعد التوحيد.(٥)

---

(١) ترجمته في : تذكرة الحفاظ للذهبي : ٢ / ٢٣١، وشذرات الذهب : ٢ / ٢١٨.
(٢) سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٨، والجواهر المضيئة : ٢ / ١٨٠.
(٣) إيضاح المكنون : ٢ / ٢٦٩.
(٤) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ١٧٤، وطبقات المفسرين للسيوطي : ٢٧.
(٥) هدية العارفين : ٦ / ٤٨٧.

ثانيا : تلاميذه :

لم تعن التراجم ببيان تلاميذه الذين تقطع بأنهم غير قليل وقد يكون لضعف شهرتهم.
والذي وجدته في ترجمته :
الحسن بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السغناغي.
نسبة إلى " سغناق " (بلدة بتركستان).
تفقه على الحافظ محمد بن محمد بن نصر البخاري ... وشرح " الهداية "
وله : الكافي : شرح أصول البزدوي، كان فقيها جدليا، نحويا.
توفي في رجب سنة إحدى أو أربع عشرة وسبعمائة، بحلب.(١)
لاشك أن عالما مثل النسفي ـــ رحمه الله ـــ وهو صاحب التصانيف النافعة المعتبرة عند الفقهاء المطروحة لأنظار العلماء(٢) ـــ لا بد أن يكون له تلامذة وقاصدون، ولكن التراجم لم تحفظ لنا من تلاميذه إلا هذا العلم المفرد .

---

(١) انظر ترجمته : الجواهر المضيئة : ١ / ٢١٢، ٢١٣، وتاج التراجم : ٢٥، رقم الترجمة (٦٣)، والفوائد البهية : ٦٢.
(٢) نعته بذلك اللكنوي في الفوائد البهية : ١٠٢.

المبحث الثالث

عقيـــــدته ومذهبـــــــــه

أولا : عقيدته :

إن تفسيرا مثل تفسير النسفي في مقداره لا بد أن يظهر من خلاله معتقد مؤلفـــه، لأن آيات العقيدة التي يختلف في تأويلها أهل القبلة آيات كثيرة.

وقد ظهر تصديه للمعتزلة، تركا لأقوالهم، وردا عليها، واستدلالا عليهم في كثير مـــن المناسبات، فله في ذلك جهد محمود، وله مع غيرهم من أهل الفرق والأديـــان ردود يثنى عليه بها.

وقد نشأ النسفي بين علماء غالبهم أشاعرة وماتوريدية، فكان لذلك الأثر الكبـــير في أن يكون واحدا منهم في المعتقد والمذهب، والمتتبع لتفسير الآيات التي هــــي مظنــة الكلام الفاصل في ذلك يجده في عامة تلك المسائل ينحو نحو أبي منصور المــــاتوريدي ـــ رحمه الله ـــ، مستقيا في كثير من الأحيان من كتب أبي منصور نفسه، وإذا تتبعنــا كلامه حول تلك الآيات وجدناه يجنح إلى التفويض حينا وإلى التأويل أحيانا أخرى.

١ ـــ يقول في تفسير قوله تعالى : (يخادعون الله) : " أي : رسول الله ".[1]

---

(١) تفسير الآية (٩) من سورة البقرة.

ــ ويقول في تفسير قوله تعالى : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مــا) : " أي : لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ...، وأصل الحياء : تغير وانكسار يعتري الإنسان مـن تخوف ما يعاب به ويذم، ولا يجوز على القديم التغير والخوف والذم ".(١)

٣ ــ ويقول عند تفسيره قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل مــن الغمام والملائكة) : " أي أمر الله وبأسه ".

٤ ــ وفي تفسير قوله تعالى : (بل يداه مبسوطتان) ينحو نحو الزمخشري في حمـل ذلك على المجاز، بعبارة موسعة.(٢)

٥ ــ ويقول في قوله تعالى : (وكلمه ربه) : " بلا واسطة ولا كيفية، وروي : أنـه كان يسمع الكلام من كل جهة، وذكر الشـيخ ــ (يعـني المـاتوردي) ــ في " التأويلات "، أن موسى ــ عليه السلام ــ سمع صوتا دالا على كـلام الله تعـالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصـوت مكتسبا لأحد من الخلق (٣).

٦ ــ ويقول في تفسير قوله تعالى : (وهو السميع البصير) : " وهو السميع " بـلا أذن " البصير " لجميع المرئيات بلا حدقة ".(٤)

٧ ــ ويقول في تفسير قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة) [القيامة : ٢٣] : " بلا كيفيـة ولا جهة ولا ثبوت مسافة، وحمل النظر على الانتظار، أو : أمر ربها، أو : لثوابـه لا يصح، لأنه يقال : نظرت فيه، أي : تفكرت، ونظرته : انتظرته، ولا يعدى بـ "إلى" بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار ".

(١) انظر : تفسير الآية : ٢٦ من سورة البقرة.
(٢) انظر : تفسير الآية : ٦٤ من سورة المائدة.
(٣) انظر : تفسير الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف.
(٤) انظر : تفسير الآية : ١٠ من سورة الشورى.

ويقول في الهداية ــ عند قوله تعالى : (إنك لا تهدي من أحببت) "[1] ... والآية حجة على المعتزلة، لأنهم يقولون : الهدى هو البيان، وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم، فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة ".[2]

٨ ــ وفي مسألة الإيمان يقول ــ عند قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) " والإيمان في اللغة : التصديق، والمؤمن : المصدق لغة، وفي الشرع : كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن..".[3]

في هذه النصوص ما يشير إلى معتقده، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط الآتية :

أ ــ الغالب عليه التأويل في آيات الصفات ونحوها خروجا عن ظاهر اللفظ الذي لا يجوز العدول عنه إلا لدليل، ولو أثبتت جميع الصفات على الوجه اللائق بالله تعالى، لأن الله تعالى وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله، مع قطع الأطماع في إدراك الكيفية وتتريه الله عن مشابهة أحد لكان ذلك أسلم وأحكم. وأي محذور في إثبات يدين لله ليست كأيدي المخلوقين كما أثبتنا له ذاتا ليست كذات المخلوقين ؟.

ب ــ أثبت ــ رحمه الله ــ بعض الصفات غير أنه زاد عليها قيودا لم ترد، كقوله : في الفقرة (٥) : " ولا كيفية " وكذلك في الفقرة (٧) قوله " بلا كيفية ولا جهة " فلو قال : بلا كيفية معلومة ولا جهة محدودة لكان أقوم ,على أن ترك ذلك كله أسلم وكذلك قوله في الفقرة (٦) : " بلا أذن.. بلا حدقة " لا يحتاج إليه إلا من وقع التشبيه في نفسه أولا.

ج ــ لا يرى العمل شرطا في صحة الإيمان، بل يكفي في صحته القول والاعتقاد.

(١) القصص : ٥٦.
(٢) انظر : تفسير الآية : ٢٢ و ٢٣.من سورة القيامة.
(٣) تفسيره : الآية (١) من سورة المؤمنون.

د ــ أجاد ــ رحمه الله ــ في كلامه عن الهداية والاحتجاج على المعتزلة، وتعقباته عليهم في هذه المسألة وغيرها كثير.

هـ ــ النسفي ــ رحمه الله ــ أقرب إلى أن يكون ماتوريدي المعتقد :

ــ فهو ليس بمعتزلي، لأنه يرد عليهم بتقريع، ويخالفهم.

ــ وليس بكرامي، لأنه يرفض قولهم ويناوئهم.

ــ وليس على مذهب السلف في كثير من المسائل، لأنه خالفهم في مسائل.

ــ ولم يبق إلا أن يكون أشعريا، أو ماتوريديا، والفرق بينهما دقيق(1)، غير أننا نرجح الثاني لقرائن منها :

١ ــ نقله عن أبي منصور، واعتماد كتابه " التأويلات " ولم ينقل عن أبي الحسن الأشعري شيئا، ولا وجدت له ذكرا في كتابه.

٢ ــ الشائع في محيطهم كما تدل على ذلك الدراسة هو هذا، وقد رحل أبو منصور الماتريدي إلى بلاد ما وراء النهر (بلد النسفي) وتوفي بها.

٣ ــ الغالب في الماتوريدية، لاسيما من كان في تلك النواحي أن يكون مع ذلك حنفي المذهب، وهو الواقع هنا.

ثانيا : مذهبه :

---

(١) صنف في الفروق بينهما مصنفات، منها : قصيدة للسبكي، أشار إليها في الطبقات الكبرى (٣ / ٣٧٨ ــ ٣٧٩) وكتاب : نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع الاختلاف بين الماتوريدية والأشعرية في العقائد : لشيخ زاده.

والاختلاف بينهم في عشر مسائل، جمعتها في أبيات نظمتها :

الفرق بين مذهب الماتردي — والأشعري في عشرة لم تزد
معرفة الرحمن والإرادة — والحسن والقبح والاستطاعة
وصفة التكوين كالكلام — والكسب، والإيمان للغلام
كذلك التكليف بالمحال — والعاشر التعليل في الأفعال

ومن الدراسات عن الماتريدية كتاب " الماتريدية " دراسة وتقويما لأحمد بن عوض الله الحربي عقد للموازنة بينهما فصلا ص ٤٩١.

كان الغالب على العلماء في تلك البلاد (بلاد ما وراء النهر) وما حولها الأخذ بالمذهب الحنفي كما تدل عليه صفحات التراجم.

ولا ينبغي أن يختلف في اتخاذه مذهب أبي حنيفة مذهبا، لثلاثة براهين :

الأول : أنه أدرج ضمن من ترجم لهم في طبقات الحنيفية، وقد تقدم ذلك في صدر ترجمته.

الثاني : أنه صنف على مذهب أبي حنيفة، مصنفات، منها : " كتر الدقائق في فروع الحنفية " وفي ثناياه التصريح بذلك، كقوله : لرواية أصحابنا، أو : قال أصحابنا.

الثالث : في كتابه التفسير نقول، وأقوال، وترجيحات، وميل كل الميل إلى مذهبه وكلها تؤكد ذلك، ولم يخرج عن مذهب الأحناف حتى في جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة، فقد قال ـــ عند تفسيره قول الله : (وإنه لفي زبر الأولين) وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ".[1] وكرر ذلك في سورة النمل.[2]

---

(١) تفسيره : ٣ / ١٩٦، وقد بينت وجه استدلاله في التعليق على تفسير هذه الآية.

(٢) انظر تفسير الآية (٧) منها.

المبحث الرابع

مكانتـــــــــه العلمـــــية

خير ما يبين منزلة النسفي العلمية مصنفاته التي تشهد لسعة علمه وحسن اطلاعه وصفاء ذهنه ومشاركته في علوم مختلفة، فله ــ إذن ــ شاهد منه له.

هذا الإمام ابن حجر، يقول عنه ــ وهو الحافظ العارف بأقدار العلماء ــ يقول : " علامة الدنيا ".[(١)]

والمطالع المتابع لاهتمام من بعده بتصانيفه، اختصارا وتهذيبا، وشرحا، وتحشية، ونظما، وتعليقا

ــ وربما اجتمع كثير منها في الكتاب الواحد ــ يعلم أنه رزق حسن التأليف، وكريم القبول، ولطف العبارة، ومن ثم وصف بأنه صاحب " التصانيف المفيدة " [(٢)].

وقيل عن بعض مصنفاته : إنها أحسن ما صنف في بابه. وأبت تصانيفه أن تبقى حبيسة " ما وراء النهر " بل تناقلها الناس، وعني به النساخ، لا سيما مصنفاته في التفسير والفقه والأصول.

ويقول العلامة اللكنوي (ت ١٣٠٤) : " كان إماما كاملا عديم النظير في زمانه رأسا في الفقه والأصول، بارعا في الحديث ومعانيه ".[(٣)]

ويكفي أنه كان يلقب بمفتي الثقلين[(١)]، مع ما في هذه العبارة من مبالغة. وكان أهل تلك الديار يخلعون مثل هذه الألقاب على من بلغ شأوا في العلم، وعم نفعه، وشهرت فتاواه وتواليفه.

---

(١) الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق، والطبقات السنية : ١٥٤.

(٣) الفوائد البهية : ١٠٢.

لقد كان النسفي مشاركا في كثير من العلوم حتى نال تلك المكانة الرفيعة والشهرة الواسعة من بعد.

أما في مجال العقائد فله فيها : " عمدة العقائد " [٢].

وأما في التفسير ؛ فله : " مدارك التتريل " الذي كشف عن دقته وجميل اختياره وسعة اطلاعه.

وأما في الفقه وأصوله : فله " كتر الدقائق " وهو اسم على مسماه، وله : " المنار " وشرحه : " كشف الأسرار " في أصول الفقه، عني بها العلماء عناية تؤكد طول باعه وسعة دائرته، وجميع ذلك سوف أعرض لتفصيله في المبحث التالي.

(١) انظر : كشف الظنون (الهامش) : ٢ / ١٥١٥.
(٢) الأعلام : ٤ / ٦٧ ـــ ٦٨.

المبحث الخامس

مصـــــــنفاتـــــــه

كان النسفي ــ رحمه الله ــ حامل علم جمٍّ، ظهر ذلك من خلال مؤلفاته، تنوّعــا، وأسلوبا، وفهما، ودراية، و لم تكن مؤلفاته تلك في فنون بعيدة، قليلة الفـائدة، بـل كانت عامة مصنفاته في العلوم المهمة كالتفسير والفقه والعقائد.

ومما ذكره لنا المترجمون، وزخرت به مكتبات الإسلام هذه التآليف في هذه الفنون :

فأما في التفسير :

(١) فكتاب : " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " الـذي نحـن بصـدد تحقيقـه ودراسته.(١)

وأما العقائد والكلام :

(٢) فله : " عمدة العقائد "، جمع فيه أهم قواعد علم الكلام، قال في كشف الظنون : " يكفي لتصفية العقائد الإيمانية في قلوب الأنام "

أوله : قال أهل الحق : حقائق الأشياء ثابتة.(٢)

وذكره في " معجم المطبوعات " باسم " عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة ".(١)

---

(١) ١، ١١٦٨ ــ انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، وتاج التراجم : ٣٠، ومعجم المؤلفين : ٦ / ٣٢.

(٢) كشف الظنون : ٢ / ١١٦٨ ــ ١١٦٩.

(٣) "الاعتماد "، شرح على "عمدة العقائد". وهو كتاب عني به علماء، فشرح من قبل كثير، ونظم.[٢]

(٤) المنار " في أصول الدين "[٣]. وهو غير المنار الآتي ذكره في علم أصول الفقه.

وأما في الفقه :

(٥) فله : " الوافي في الفروع "[٤]، وهو كتاب معتبر عند الأحناف، أوله : الحمد لمن من على عباده بإرسال رسله.

جمع فيه مسائل "الجامع الكبير "، و"الجامع الصغير "، و"الزيادات"، كلها : للإمام الشيباني (ت ١٨٧هـ) وجمع معها غيرها، وزاد.

قال عنه : كان يخطر ببالي إبان فراغي أن أؤلف كتابا جامعا لمسائل الجامعين والزيادات حاويا لما في " المختصر "، و" نظم الخلافيات " مشتملا على بعض مسائل الفتاوى والواقعات.[٥]

وله شرح عليه. سوف يأتي ذكره بعده. وشرحه : حسين ابن محمد السميقاني [السمنقاني] الحنفي، وسماه : " الشافي شرح الوافي ".[٦]

(٦) " الكافي شرح الوافي " وهو شرح للكتاب الذي قبله، وكان قد قال في الوافي : " ولو وفقت لشرحه لأرسمه بالكافي ".[٧]

---

(١) طبع باعتناء الأستاذ كيورتن بلندن عام ١٨٤٣ م.
(٢) انظر : كشف الظنون : ٢ / ١١٦٨، ١١٦٩.
(٣) ذكره في الطبقات السنية : قال " وله منار آخر في أصول الدين ".
(٤) انظر تاج التراجم : ١٧٥، والدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، والطبقات السنية : ١٥٤.
(٥) انظر كشف الظنون : ٢ / ١٩٩٧.
(٦) انظر : كشف الظنون : ١ / ٧٠٣.
(٧) كشف الظنون : ٢ / ١٩٩٧.

(٧) " كنز الدقائق " في فروع الحنفية[١]. أوله : الحمد لله الذي أعز العلم في الأعصار، وأعلى حزبه في (الأمصار).

لخص فيه كتاب " الوافي " المتقدم ذكره ؛ جمع فيه ما عم وقوعه حاويا لمسائل الفتاوى والواقعات، واكتفى فيه بالرموز، وجعل الحاء لأبي حنيفة، والسين لأبي يوسف، والميم لمحمد، والزاي لزفر، والفاء للشافعي، والواو لرواية الأصحاب، وزيادة الطاء للإطلاقات.

وعني به الفقهاء، وعليه شروح كثيرة. أولها وأحسنها :ـ فيما قيل ـ: " تبيين الحقائق " لفخر الدين أبي محمد عثمان بن علي الزيلعي (ت ٧٤٣ هـ).

يقال : إنه أحسن مختصر صنف في فقه الحنفية.[٢]

(٨) "المستصفى " وهو شرح على " منظومة الخلاف " لأبي حفص ابن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧ هـ) شرحه شرحا بسيطا[٣]. ثم اختصره بعد ذلك في كتاب، سماه :

(٩) " المصفى " أوله : الحمد لمن تمت نعمته.[٤]

(١٠) " المنافع شرح النافع " في الفروع للشيخ ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني السمرقندي الحنفي (ت ٦٥٦هـ) وهو من المختصرات.

وأما أصول الفقه : فصنف فيه :

---

(١) انظر : تاج التراجم : ١٧٥، والدرر الكامنة، ٢ / ٣٢٥، والطبقات السنية : ١٥٤، والأعلام : ٤ / ١٩٢.

(٢) انظر : كشف الظنون، مع الهامش : ٢ / ١٥١٥. وقد طبع الكنز عام ١٨٤٣ م. بعناية الأستاذ : كيورتن. لندن، انظر : معجم المطبوعات : ٢ : ١٨٥٥.

(٣) انظر : مفتاح السعادة : ٢ / ١٨٨، والدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧، والفوائد البهية : ١٠٢.

(٤) انظر : كشف الظنون : ٢ / ١٨٦٧، والطبقات السنية : ١٥٥.

(١١) " منار الأنوار "[١] قال حاجي خليفة : " هو متن جامع مختصر نافع، وهو فيما بين كتبه المبسوطة، ومختصراته المضبوطة، أكثرها تداولا وأقربها تناولا، وهو مع صغر حجمه ووجازة نظمه بحر محيط بدرر الحقائق، وكنز أودع فيه عقود الدقائق، ومع هذا لا يخلو من نوع التعقيد والحشو والتطويل.. "

وقد حرره ورتبه : الأقحصاري في مختصر سماه : سمت الوصول : وتناوله بالشرح كثير، وحشي على شروحه.

(١٢) " كشف الأسرار "، شرح المصنف على المنار ".[٢]

(١٣) " العطف على الكشف " وهو شرح منتزع من الكشف " كشف الأسرار " المذكور قبله.[٣]

(١٤) شرح المنتخب في أصول المذهب لمحمد بن محمد بن عمر الأخسيكتي (ت ٦٤٤هـ) وهو شرح مطول، أوله : " الحمد لله رب العالمين ".[٤]

(١٥) شرح آخر على المنتخب. مختصر.[٥]

وفي الرقائق له :

(١٦) فضائل الأعمال.[٦]

(١٧) اللآلئ الفاخرة في علوم الآخرة.[٧]

---

(١) انظر : تاج التراجم ١٧٥، والدرر الكامنة : ٢ / ٢٤٧.

(٢) ذكره : قطلبغا في تاج التراجم : ١٧٥، والغزي في الطبقات السنية : ١٥٥، وهو مطبوع، انظر : معجم سركيس :٢/١٨٥٥.

(٣) انظر : الطبقات السنية : ١٥٥.

(٤) وقد حقق الكتاب بجامعة أم القرى، كلية الشريعة، عن أربع نسخ مخطوطة بمكتبات استانبول بتركيا، حققه : سالم أوغرت، ونال به درجة الدكتوراه، عام ١٤٠٨ هـ.

(٥) انظر : كشف الظنون : ٢ / ١٨٤٩، وهدية العارفين : ٥ / ٤٦٤.

(٦) انظر : كشف الظنون : ٢ / ١٢٧٤.

(٧) انظر : هدية العارفين : ٥ / ٤٦٤.

الباب الثاني : دراسة الكتاب، وتحته تمهيد، وفصلان.

التمهيد : وهو في التفسير في المأثور والتفسير بالرأي

وتحته : توطئة، ومبحثان.

التوطئة : في تعريف التفسير

التفسير : مصدر (فسر)، مأخوذ من الفسر، وهو البيان[١]، ويقرب، منه : السفر، ومعناه يدور حول الكشف.

قال ابن فارس في مادة (فسر) : " الفاء والسين والراء : كلمة واحدة تدل على بيان شئ وإيضاحه ".[٢]

وقال في (سفر) : " أصل واحد يدل على الانكشاف والانجلاء "[٣] فالمادتان ـــ (أعني سفر وفسر) ـــ تدوران حول معنى قريب، فلا حاجة إلى القول بأن " الفسر " مأخوذ من مقلوبه وهو السفر [٤]. والفرق بينهما : أن الغالب في حال الأول التعدي، والثاني اللزوم[٥].

والتفسير في عرف العلماء : كشف معاني القرآن وبيان المراد منها، سواء كانت معاني شرعية أم لغوية.[٦]

وعرفه أبو حيان بقوله : " علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك

---

(١) الصحاح : ٢ / ٧٨١ (فسر).
(٢) مقاييس اللغة : ٤ / ٥٠٤.
(٣) مقاييس اللغة : ٣ / ٨٢.
(٤) حكى ذلك الفيروز آبادي، انظر : بصائر التمييز : ٢ / ٧٩، والكافيجي في التفسير في قواعد علم التفسير : ١٢٣.
(٥) جاء في اللغة : سفرت البيت : كنسته، المقاييس : ٣ / ٨٢.
(٦) انظر : التيسير : ١٢٤ ـــ ١٢٥.

(1). " والتعريف الأول ــ مع قصره ــ : واف، وفي تعريف أبي حيان ــ مع طولــه ــ : قصور في المنع، دون الجمع.

(١) البحر المحيط : ١ / ١٣.

المبحث الأول

في التفسير بالمأثور

المشهور بين أهل العلم أن التفسير قسمان :

تفسير بالمأثور، وهو التفسير بالرواية.

وتفسير بالرأي، وهو التفسير بالدراية.(1)

وبعضهم يزيد قسما ثالثا، وهو التفسير بالإشارة، ويسمى التفسير الإشاري.

والصحيح أن هذا القسم يندرج تحت التفسير بالرأي المذموم، فتئول القسمة إلى المأثور والرأي فقط.

أولا : التفسير بالمأثور :

تعريفه :

هو ما جاء في القرآن، أو ثبت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أو الصحابة بيانا لمراد الله تعالى في كتابه.

فينفك هذا التعريف عن ثلاثة أقسام :

١ — تفسير القرآن بالقرآن، كالكلمات التي تلقاها آدم — عليه السلام — في قوله تعالى : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) [الأعراف : ٢٣].

بيان لقوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) [البقرة : ٣٧].

---

(١) انظر : البرهان للزركشي : ٢ / ١٦٥.

٢ ـــ تفسير القرآن بالسنة، كتفسير القوة في قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [الأنفال : ٦٠] بالرمي، إذ قال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : " ألا إن القوة الرمي ".(١)

قال الزركشي : " وهذا هو الطراز الأول (أي : بعد القرآن) لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير ".(٢)

٣ ـــ تفسير القرآن بما جاء عن الصحابة، مثل الذي نقل عن الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وأبي بن كعب، وابن عمر، وجابر، وعائشة، وغيرهم.

وقد جزم الحاكم أن له حكم الرفع. ورجحه الزركشي.(٣)

والمرجح في ذلك : التفصيل، فما كان يتعلق بسبب نزول، أو نحوه مما ليس للرأي فيه مجال، فله حكم المرفوع، وما ليس كذلك فليس له حكم الرفع.(٤)

وفي الرجوع إلى قول التابعي وإلحاقه بالمأثور: خلاف.

روي : عن أحمد : المنع واختاره : ابن عقيل، وحكي عن شعبة، وروي عنه : الرجوع إليه، وعليه عمل أكثر المفسرين، وقد حكوا في كتبهم أقوال الضحاك بن مزاحم، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وقتادة ابن دعامة السدوسي، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم.(٥)

ومن الكتب المصنفة في هذا القسم :

---

(١) نقله عنه : الزركشي في البرهان : ٢ / ١٧٤.والحديث أخرجه مسلم ٣ / ١٥٢٢ كتاب الإمارة برقم : ١٦٧، باب فضل الرمي من حديث عقبة بن عامر، والترمذي : ٥ / ٢٠٢ برقم ٣٠٨٣ وأبو داود : ٣ / ٢١٦، برقم ٢٥١٤، وابن ماجه : ٢ / ٩٤٠، وأحمد : ٤ / ١٥٧. كلهم عن عقبة.

(٢) البرهان : ٢ / ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر : مقدمة ابن الصلاح : ٢٤.

(٥) انظر : البرهان : ٢ / ١٧٤ ـــ ١٧٥.

- ـــ تفسير الإمام النسائي : أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـــ).
- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بـــن جريـــر الطـــبري (ت ٣١٠هــ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧).
- معالم التتريل للحسن بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هــ).
- الدر المنثور للسيوطي (ت ٩١١ هــ).[1]

والأول والأخير : من نوع التفسير بالمأثور المحض الذي لم يخلط معه شئ، بخـــلاف الأخرى، فالغالب عليها التفسير بالمأثور.

---

(١) عدها محمد حسين الذهبي كذلك، ولم يذكر تفسير النسائي منها، ومن الغريب أنه جعل منها تفسير ابن عطية " المحرر الوجيز " وفيه نظر. انظر : التفســـير والمفســـرون : ١ / ٢٠٤.

المبحث الثاني

التفسير بالرأي

الرأي له معان، والمراد ـــ هنا ـــ : الاجتهاد.

ولا بد أن يكون الاجتهاد في ذلك مرتكزاً على دراية بالنصوص الشرعية ودلالات اللغة، ليكون التفسير سائغا خليقا بالقبول، فإن خرج عن ذلك فهو من قبيل الرأي المذموم.(١)

وهو : ما لا يؤيده ظاهر اللفظ بوجه من الوجوه ولا يؤيده نقل عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أو أصحابه.(٢)

فأما ما يدل دليل على بطلانه فاعتباره فاسد من الأصل.

وقد منع جماعة من العلماء منه على الإطلاق ؛ لأنه قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم محرم.

واحتجوا أيضا بما ورد عن بعض السلف من الصحابة والتابعين من الكف عن الإقدام على تفسير ما لا يعلمون.

وأجيب عن الأول بأنه إذا كان معتمدا على فهم مبني على دليل فليس من القول بلا علم، بل هو اجتهاد مأجور عليه.

وأجيب عن الثاني بأن الذي أحجموا عنه كان منهم ذلك ورعا وخشية، لأنهم لم يعرفوا وجه الصواب المقطوع به، وقد علموا أن غيرهم يقوم مقامهم. والقول بالمنع يُفضي إلى ترك التدبر الذي حثنا الله عليه، وإلى ترك كثير من الأحكام المبنية على

---

(١) انظر : البرهان : ٢ / ١٧٣ ـــ ١٧٤، ومناهل العرفان : ٢ / ٤٩ ـــ ٥٠.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٢ ـــ ٣٣.

الاستنباط. وقد دعا النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لابن عباس فقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل "[١] ولو كان التأويل مقصورا على المسموع لمـــا كـــان في التخصيص مزية.[٢]

وقد رام بعض أهل العلم تعداد أنواع التفسير بالرأي المذموم (وهو : كل تفســـير لم يعتمد على نقل صحيح أو عقل صريح) ، فجعلها أربعة :

الأول : التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تبعـــا لـــه، فيرده إليه، ولو كان باطلا أو ضعيفا.

الثاني : تفسير المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، كالخوض في الـــروح، وكيفيـــة صفات الله.

الثالث : الجزم بأن مراد الله كذا، من غير دليل.

الرابع : التفسير بالاستحسان والهوى.[٣]

وأما المبني على فهم معتمد على منقول (من الشرع أو اللغة)، أو معقول : فهو مـــن باب التفسير بالرأي المحمود.

وكتاب " مدارك التتريل وحقائق التأويل " للإمام النسفي ينتظم في سلك هذا النـــوع من التفسير، لأن هذا الطابع هو الغالب عليه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء برقم ١٤٣ عن ابن عبـــاس، ومسلم في فضائل الصحابة: ١٩٢٧/٤، برقم: ١٣٨.

(٢) انظر : مناهل العرفان : ٢/ ٥٤ ـــ ٥٩.

(٣) انظر : تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسي : ٢٣.

الفصل الأول

نسبة الكتاب، ونسخه وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : توثيق نسخة الكتاب :

نسبة كتاب " مدارك التتريل وحقائق التأويل " للإمام (أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة (٧١٠هـ) لا ريب في صحتها ولا اشتباه، وجميع من ترجمه ذكره ضمن مصنفاته، إن لم يكن في طليعتها.

وكثرة نسخه المخطوطة المصدرة، والمذيلة باسمه تجعلنا نقطع بذلك. والشهرة تغني عن كل دليل آخر، فقد تلقاه أهل العلم ؛ نسخا، وقراءة، وإجازة.

أما قراءة : فالأحوال تشهد بذلك، وأما كتابة : فالواقع شاهد عليه، فقد بلغت نسخه المخطوطة أكثر من أربعين نسخة، ومائة نسخة [1].

وأما إجازة : فلا زال أهل العلم يتناقلون ذلك بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفه.

---

(١) انظر : الفهرس الشامل ــ قسم التفسير وعلومه ١ / ٣٥٣ ــ ٣٥٨. وأكثرها غير كامل.

ومن توفيق الله تعالى أن أجزت فيه بالسند الذي أسوقه هنا ؛ زيادة في التوثيق، عن الشيخ محمد ياسين بن محمد بن عيسى الفاداني المكي المتوفى (١٤١١هـ) بواسطة العلامة أحمد جابر جبران المكي. قال الشيخ الفاداني :

" مدارك التنزيل وحقائق التأويل " للنسفي، أرويه عن الشيخ عبد الله بن محمد غلزي عن شيخه الشيخ عبد الحق الإلهآبادي عن العلامة الشيخ عبد الغني المجددي عن العلامة محمد عابد السندي، عن السيد أحمد بن سليمان الهجام، عن محمد بن علاء الدين عن أبي الأسرار حسن العجيمي، عن الصفي أحمد بن محمد العجل، عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري، عن الحافظ عبد العزيز بن فهد، عن قاضي القضاة الجمال محمد بن أحمد العقيلي النويري، نا، به : الإمام ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد العمري، أنبأنا الإمام قوام الدين مسعود بن برهان الدين محمد بن يعقوب الكرماني، عن مؤلفه الإمام حافظ الدين أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي به، وبسائر تصانيفه ".[1]

(١) إتحاف المستفيد بغرر الأسانيد : ٢٢، ١١.

المبحث الثاني

وصـــف النســـخ

اعتمدت في تحقيق كتاب "المدارك " على نسختين مخطوطتين، ونسخة مطبوعة.

أما المخطوطتان، فهما :

١ ــ المخطوطة الأولى :

ــ النسخة (أ) وهي نسخة بيت المقدس، وعدد أوراقها (١٧٦) من أول سـورة " يونس " إلى آخر سورة " الم السجدة " تمت كتابتها في عشية يوم الثلاثـاء، الثـامن عشر من ربيع الآخر سنة ست وتسعين وستمائة (٦٩٦هــ)، أي : قبـل وفـاة المصنف بخمس سنين إن كانت وفاته عام (٧٠١هــ)، أو : أربع عشرة سـنة إن كانت وفاته عام (٧١٠ هــ) وهو المرجح.

وقد نص كاتبها على هذا التاريخ، كما نص على أنها من إملاء المصنف بـالوصف لا بالرسم.

والكاتب[1]هو : محمد بن علي بن الصلاح الفريومدي.

وهذه النسخة أقدم النسخ على الإطلاق، وهي النسخة الفريدة التي عثر عليها مكتوبة في حياة المصنف، كتبت بخط نسخي واضح الشكل، أسطرها في كل صفحة ٢٠، أو ٢١، ٢٢، في الغالب، لا يعيبها غير جودة الخط ووضوحه وسلامة الكتابة. و لم يـهتد

(١) آثرت كلمة الكاتب على الناسخ لما نص عليه الكاتب من أن الكتابة كانت عن إمـلاء المصنف، والنسخ فيه معنى النقل.

إليها جميع من اشتغل بتحقيق الكتاب،وهي التي حفزتني على العزم في المضي في تحقيق الكتاب، فالحمد لله على توفيقه.

النسخة المخطوطة الثانية :

نسخة (ب) وهي نسخة الأحمدية ــ حلب[1] بخط الناسخ ميكائيل بن حاجي بـــن محمد ابن حاجي .

مكونة من جزئين، يبدأ الجزء الأول من مقدمة المصنف لسورة "الفاتحـــة " إلى آخــر سورة " الإسراء " في سبع وعشرين ورقة وثلاثمائة ورقة (٣٢٧).

والجزء الثاني من أول سورة " الكهف " إلى آخر القرآن في ورقتين وثلاثمائة ورقـــة، فرغ من نسخها عام ٧٢٧هـــ.

وفي القسم الذي عنيت بتحقيقه نقص ورقتين من أواسط سورة "الإسراء " من الآيـــة الثامنة والثلاثين إلى الآية الحادية والخمسين.والجزءان مكتوبان بخط نسخي واضح.

وتمتاز هذه النسخة بالتصويب وبعض التعليقات الموجزة، المتمثلة في بيان معـــــنى، أو ذكر فائدة. وكتبت الآيات باللون الأحمر.

وتتكون سطورها من (٢٥) سطرا في الغالب، وقد تتدنى إلى العشــــرين ســـطرا، وكلمات كل سطر نحو العشرين.

النسخة الثالثة : (المطبوعة) (ج) :

أما النسخة المطبوعة، فهي المطبوعة قديما عن المطبعة الحسينية المصرية، أربعة أجـزاء في مجلدين طبعت عام ١٣٤٣، وقد جعلتها نسخة ثالثة مساعدة.

ويلحظ الناظر أن هذا الاختيار للنسخ الثلاث جاء بناء على أسس ثلاثة :

---

(١) ادعى محقق الكتاب : الشعار: أنها أقدم النسخ، وهو مزيف بما تقدم مـــن بيـــان ســـبق النسخة (أ) بنحو ثلاثين عاما.

الأول : مراعاة الأقدمية، وهي متمثلة في النسخة (أ) التي لم يعتمد عليها أحد من قبل ، ثم النسخة (ب) التي تليها في التاريخ.

الثاني : مراعاة صحة الكتابة والنقل ووضوحهما.

الثالث : مراعاة التميز بفروق مفيدة، وهو واضح وجلي في النسخة (ج) ,

و لم نر الإكثار بعد هذا من النسخ ؛ لتأخرها واحتمال أنها منقولة عن نسخ متأخرة. وقد لوحظ على أكثر من نسخة منها كثرة الشذوذ، أو كثرة الخطأ، فاستبعدنا جميع ذلك مع توفر كثير منها، وبعضها لا يكاد ينفرد بشئ عن إحدى النسخ، كمخطوطة الظاهرية، لا تكاد تتميز بشئ عن النسخة (ج) بل هي متفقة معها إلا فيما ندر، وآثرنا عليها نسخة (ج) لما امتازت به بعد ذلك من فروق.

المبحث الثالث

لمحة موجزة عن : النسخ المطبوعة

لا غرو أن يتنافس أهل المطابع في طبع " مدارك التتريل " وهم يرون إلحاح الطالبين على اقتنائه، وكثرة سؤالهم عنه.

وقد جهدت في معرفة نسخة المطبوعة وحصرها، فاجتمع عندي من ذلك ثمان نسخ:

النسخة الأولى : طبعت عام ١٣٤٣ هـ بالمطبعة الحسينية المصرية، أربعة أجزاء، في مجلدين، واضح فيها أثر القدم.

وهي أقدم نسخة مطبوعة ظهرت فيما انتهى إليه البحث.

النسخة الثانية : طبعت عام ١٣٤٤ هـ، أي : بعد الأولى بعام واحد، وهي مثل التي قبلها، أجزاء ومجلدات، ونسقا وطباعة، صادرة عن المطبعة الحسينية أيضا.

النسخة الثالثة : طبعت عام ١٩٣٦ م، في ثلاثة مجلدات كبار بالمطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة. (١)

النسخة الرابعة : طبعت بهامش تفسير الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت : ٧٢٥) عن دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لم يكتب عليها تاريخ.

النسخة الخامسة :

---

(١) كتبت الآيات في صدور الصفحات، ورقمت الكلمات المفسرة، وكتب تفسيرها بالهامش على طريقة حسنة، تفصل الآيات عن الشرح، وهي طريقة تمكن المطالع من القراءة والتفسير والجمع بينهما إن شاء.

النسخة الخامسة :

نسخة عن دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، في أربعة أجـــزاء، وأربعة مجلدات، لم يكتب عليها تاريخ.

النسخة السادسة :

نسخة دار الكتاب العربي، في أربعة أجزاء جمعت في مجلدين. بدون تاريخ لا فرق بينهما وبين التي قبلها في شئ بل إحداهما صورة للأخرى، وهناك صور مشابهة لهـــذه الطبعات.

النسخة السابعة :

طبعت عام ١٤١٦ هـ في أربعة مجلدات عن دار النفائس، بلبنان.[١]

وقد يعجب المطلع ـ لأول وهلة ـ بحسن تجليدها وطباعتها، وتنسيقها ثم لا يلبـــث أن يفجأه في طريقه وهو يتصفحها ما أفسد جوهرها من سقط وتحريف وتصحيـــف، وزاد ذلك فسادا ما وضعه المحقق " الشعار " من تعليقات وكشف للمبهمات التي هي في واد، وبيانها في واد آخر، وهوعمل يترع ثقة القارئ بعامة ما تســـطو عليـــه دور الكتب التجارية باسم التحقيق والتخريج والتعليق، إلا ما ندر.

ولكي لا يظن القارئ أنني تجاوزت الإنصاف في النقد أعمد إلى ثلاث صفحات مـــن مقدمته وأبين ما يسند دعواي فيها مسندا ذلك بما يؤكده من ثنايـــا الكتـــاب، ولا أتجاوزذلك لأن فيه ما يكفي.

قال في ص (٧) من مصادر تفسيره: " ومن ثنايا تفسيره تبين أن الإمام النســـفي ـ رحمه الله ـ رجع أيضا إلى ١٤ كتابا ... وهي كما ذكرها مختصرة ".

ثم شرع ـ بعد ذلك في ذكرها، فذكر خمسة عشر مصدرا بدل أربعة عشر.

---

(١) كتب عليها : تحقيق الشيخ / مروان محمد الشعار.

وكان مما ذكر :

١ ــ كتاب الإيجاز، قال : " وهو كتاب " الإيجاز والإعجاز " لمحمد بن داوود الظاهري (ت ٢٩٧ هـ) , وأكد ذلك في هامش (٧) من ص (٢٩٦) وترجم لمحمد بن داود.[١]

وعلى هذا الكلام مؤاخذتان :

الأولى : لا يعرف لمحمد بن داود كتاب بهذا الاسم، ولا في هذا المعنى.

الثانية : كتاب الإيجاز هو باهر البرهان، أو: وضَحُ البرهان، لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، الملقب ببيان الحق المتوفى (بعد ٥٥٣ هـ).[٢]

وقد راجعت هذا الكلام الذي نقله عن النسفي ــ رحمه الله ــ في هذا الموضع، فإذا هو هُوَ.[٣]

٢ ــ ثم قال : " جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون، لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري.[٤]

ولقد يعجب القارئ حينما يعلم أن " جامع العلوم " الذي ينقل عنه النسفي لقب لعالم من العلماء، وليس كتابا كما يزعم المحقق.

وهو علي بن الحسين بن علي الأصفهاني الباقولي، له " البيان في شواهد القرآن " و " علل القراءات " توفي (نحو ٥٤٣هـ).[٥] ومما يشهد لذلك أن النسفي عندما ينقل عنه، يقول : قال جامع العلوم، ولا يقول : قال صاحب جامع العلوم، أو : في جامع العلوم.

---

(١) انظر : ج ٢ / ٦٨٥.

(٢) هذه الأسماء الثلاثة أطلقت على مسمى واحد، راجع كلام محققة كتاب باهر البرهان : ١ / ٣٠٢.

(٣) انظر : ج ٢ / ٢٩٦.

(٤) طبع عام ١٣٢٩ بحيدر آباد، معجم المطبوعات ٢ / ١٣٠١.

(٥) الأعلام : ٤ / ٢٧٩.

فأين هذا من ذاك ؟.

٣ –ثم قال (اللباب، وهو كتاب اللباب في تهذيب الأنساب،لعلي ابن محمد ابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠هـ).

وترجمه عند قول المصنف " قال صاحب اللباب:الخطاب في البقرة للأمة.."[(١)]

وكل من له أدنى إلمام بمعرفة الكتب يدرك بشاعة هذا التخليط بين كتب متباعدة في الفن والمقصود، فكتاب " اللباب " في الأَنساب وتهذيبها، لا شأن له بالتفسير وعلوم القرآن. وكتاب " اللباب " هذا – في أكبر الظن – هو كتاب " لباب التفاسير " لمحمود بن حمزة، المعروف بـ " تاج القراء " المتوفى (بعد ٥٠٠ هـ).[(٢)]

٤ – ثم قال : " النهر، وهو – على ظني – (النهر المادّ، مختصر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٦٥٤– ٧٤٥ هـ) ".

قلت كلامه هذا بعيد، لأن أبا حيّان ولد عام ٦٥٤هـ، وتوفي عام ٧٤٥هـ و" النهر الماد " مختصر من كتاب " البحر المحيط " ولم يصنف أبو حيان كتابه البحر إلا بعد نضج وتمكّن، جعله يستقل في الترجيح ويتفرد بمسائل في العربية، وقد استغرق تأليفه مدة طويلة، يشهد لذلك طول الكتاب وضخامته، وبعد ذلك كله بدا له أن يختصر منه كتابه " النهر الماد " كما بين ذلك في مقدمته.

فإذا اعتبر هذا كله – أعني تمكنه ذلك الذي أهّله لتلك الإمامة، والزمن الذي يحتاجه تأليفه للبحر، وكون الاختصار جاء متأخراً بعد الأصل بزمن – علمنا صحة دعواي بالبعد، لاسيّما إذا عُرف أن النسفي – رحمه الله – صنف تفسيره قبل عام ٦٩٦ هـ، وعمر أبي حيان نحو الثلاثين عاما، وقد عمر – رحمه الله – تسعين عاما.

---

(١) ١ / ٢٥٣.

(٢) انظر : كشف الظنون : ٢ / ١٥٤١.

فإذا ثبت أنه فرغ من تصنيفه قبل (٦٧٥هـ) كما هو مدون في "الفهرس الشامل" [(١)]، حيث ذكر أن إحدى نسخه بهذا التاريخ فقد اضمَحَلّ الشك، وثبت يقيناً أن النهر غير النهر الماد، ثم إن المصنف لم يُحِل إليه باسمه إلا في موضع واحد في سورة النور، في مسألة فقهية، ليس في النهر الماد منها حرف واحد. ولكن المحقق يعنى بأسماء ألفاظ بلا ذوات.

٥ ــ وقال عن " الديوان "[(٢)] : هو كتاب " التبيان في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي " لأبي البقاء العكبري (٥٣٨ ــ ٦١٦ هـ).[(٣)]

ولا أدري كيف يكون للعكبري كتاب على "الدّيوان " يسمّى " الديوان ".

نعم له كتاب في إعراب ديوان المتنبي[(٤)] أو شرحه.[(٥)]

والأقرب : أن يكون الديوان الذي عزا إليه النسفي هو " ديوان الأدب " في اللغة، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) خال الجوهري صاحب " الصحاح ". وهو كتاب معتبر في اللغة.[(٦)]

٧ ــ وقال عن المبسوط : " هو كتاب المبسوط في القراءات العشر " للحسن بن مهران، (ت ٣٨١ هـ)[(٧)].

وكتاب " المبسوط " في الفقه الحنفي لشمس الأئمة السرخسي ، ومبسوط آخر للحلواني عبد العزيز بن أحمد بن صالح إمام الحنفية في وقته، توفي سنة ٤٤٩ بـ (

(١) ص (٣٥٣)، قسم علوم القرآن ج ١.
(٢) ذكره المصنف عند تفسيره للآية (١٤) من سورة النمل.
(٣) انظر التفسير بتحقيقه : ٣ / ٢٩٩.
(٤) انظر : كشف الظنون : ١ / ٨١١.
(٥) انظر : الأعلام : ٤ / ٨٠.
(٦) كشف الظنون : ١ / ٧٧٤ ــ ٧٧٥، والأعلام : ١ / ٢٩٣.
(٧) ذكر ذلك في المقدمة، وفي ص ٣٠ من الجزء الأول.

كش) ودفن ببخارى[1]، وهذا هو المرجح لأنه من بلده ولأنه نقل عنه بالتصريح باسمه.

٦ ــ ثم قال، بعد قوله " مفاتيح لبعض الرموز ــ :

" مكي : يعني علماء مكة كابن كثير ومجاهد".

وقال عن المدني : " يعني علماء المدينة كيزيد ونافع وشيبة وإسماعيل.

" والبصري كعاصم الجحدري "... إلى آخر ما قال من تخليط يدركه من له إلمام يسير بالقراءات واصطلاح القراء.

ثم قال عن صاحب " الوقوف " : إنه هلال بن يحيى.

يريد : هلال بن يحيى بن مسلم البصري، له كتاب في : " أحكام الوقف " في الفقه، على مذهب أبي حنيفة، وكتاب " الوقوف " الذي ينقل منه النسفي : كتاب في الوقف في القرآن الكريم، فانظر إلى هذه المجازفة المنسلخة من أدنى تأمل وأمانة.

وقد تتبعت كثيرا ما ينقله النسفي في كتاب الوقوف فإذا هو كتاب الوقوف[2] للسجاوندي (أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن طيفور ت ٥٦٠).

وقد عمد المحقق إلى تشويه الكتاب بمثل هذا التراجم الخاطئة، وإنني لفي ريب من ثقتي بصدقه، وأما الخطأ فهو من شأن البشر.

وقال عن " ابن بحر " المفسر، هو عمرو بن الجاحظ [3] وما شأن الجاحظ بالتفسير , والحقيقة أن ابن بحر، هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم صاحب التفسير المشهور.

---

(١) نظر : كشف الظنون : ٢ / ٢٤٦.

(٢) طبع في ثلاثة مجلدات، حققه الدكتور محمد العبيري. وانظر : كلامه في آية (١٠) من سورة البقرة وآية (٤١) من سورة النحل، وقارن بينه وبين ما في النسخة تجده كذلك.

(٣) ج ١ / ٣١٧.

وقال عن أبي تراب : هو علي بن أبي طالب[1]، و لم يدر أنها كنية غلب إطلاقها على أحد العلماء المتقدمين الزهاد، " اشتهر بكنيته هذه حتى لا يكاد يعرف إلا بها " وهو من بلاد النسفي، أخذ عنه الإمام أحمد وغيره[2] (ت ٢٤٥هـ)[3].

ناهيك عن تخليطه في تعليقه على القراءات[4]، وغمزه أهل السنة والجماعة [5].

وقد قيل : من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

وهذا عارض من القول، والغرض متعلق بغير هذا النقد، وإنما أردت التنبيه عليه لئلا يغتر به.

النسخة الثامنة : طبعت عام ١٤١٩ هـ، عن دار الكلم الطيب في ثلاثة مجلدات، كتب على غلافه :

حققه وخرج أحاديثه : يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له : محي الدين مستو

وهي لا تقل عن أختها في كثرة الخطأ، وتكاد تخلو من التعليق والعزو مع تخريج ناقص، وإهمال للنصوص، وادعاء غير صادق بأن التحقيق اعتمد على نسخة الأحمدية، والمقابلة تكذب ذلك وتؤكد اعتمادهم على النسخة المطبوعة أو لا، مع خروجات يسيرة.

---

(١) أبو تراب يكنى بها علي بن أبي طالب، غير أنها لا تطلق عنه بدون قيد ولا سياق يفهم ذلك.

(٢) انظر ترجمته في الإعلام : ٤ / ٢٣٣.

(٣) وهناك : أبو تراب آخر، من بلاد المصنف، ذكرته في التنبيه الآتي في آخر البحث.

(٤) انظر : ٢ / ٤٠٦.

(٥) انظر : ٢ / ٨٣.

الفصل الثاني

قيمة الكتاب العلمية، ومنهج المؤلف فيه، ومصادره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

قيمة الكتاب العلمية :

إن " مدارك التتريل " لما جمعه من وجوه القراءة والإعراب، ودقـــائق علـــم البيـــان ولطائف التفسير، والتخليص، والتلخيص لكتاب " الكشاف " أورثه مكانة عالية بـين كتب التفسير، وعني به العلماء، ومن أعظم الأدلة على ذلك كثرة نسخه التي دونتـها الفهرسة، لاسيما بعد القرن العاشر، ومن صور العناية به، تلخيصه ونسخه، والتعليـق عليه، وتدريسه. وممن : اختصره : الشيخ زين الدين أو محمد عبد الرحمن بن أبي بكر العيني المتوفى سنة ٨٩٣هـــ، وزاد فيه.(١)

وكل ذلك لما أجملته من مميزات، أفصلها في الآتي :

---

(١) كان يدرس بالأزهر ... ويدرس في هذه الأزمان ببعض المعاهد والمدارس كمعهد الحـــرم المكي في ، المرحلة الثانوية.

١ ـــ توسطه في مقداره، إذ لم يكن " بالطويل الممل ولا بالقصير المخل "[١] وتوسطه في العبارة فقد كان مصنفه ـــ رحمه الله ـــ سلس العبارة قليل الحشو والتعقيد، وتوسطه في اختياره في معظم التأويلات والاختيارات.

٢ ـــ جمعه بين كثير من اتجاهات التفسير ومذاهبه، فلم يكن يغلب عليه النحو واختلاف النحاة كتفسير أبي حيان، ولا الفقه فقط كما في أكثر كتب أحكام القرآن، ولا الميل إلى الإغراب والإكثار من الإسرائيليات، ولا طرح جانب الدراية، ولا الخلو من جميع ذلك ككثير من كتب التفسير المختصره، أو : المبسوطة، كتفسير الظلال.

٣ ـــ عنايته باللغة، دلالة، ونحوا، وبيانا. ولا غرو في ذلك فقد كان " الكشاف " هو العذب النمير الذي استقى منه ذلك وزاد ونقص.

٤ ـــ نقله للقراءات معزوة إلى أصحابها، وعنايته بها ملحوظة تتجاوز الزمخشري بمراحل، و لم يكن ينقلها مجردة من غير توجيه ولا تخريج إذا استدعى المقام ذلك، بل كان يذكر عللها، إلا في حروف يسيرة.

٥ ـــ اهتمامه الواضح ببيان آراء المعتزلة وكشف شبههم والرد عليهم و ربما كان ذلك لأدنى ملابسة، ولو كان في ذلك بعض تكرار. كما في مسألة "المعدوم " و " أفعال العباد " و " مرتكب الكبيرة " [٢].

٦ ـــ ذكره لكثير من الأقوال المنقولة عن بعض السلف ومن بعدهم كابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة، و عطاء، وغيرهم.

٧ ـــ ذكره للمسائل الفقهية، وعرضه لها بإيجاز في مواضعها، وقد يشير إلى منزع استدلال خفي من آية ليست من آيات الأحكام كاستدلال أبي حنيفة لقوله تعالى : (

---

(١) كشف الظنون : ٢ / ١٦٤٠.

(٢) انظر الآيات : (٩) و (٦٦ــ ٦٧) من سورة مريم، و الآية (١) من سورة : الحج.

ثم أنشأناه خلقا آخر) على أن من غصب بيضة وجاء منها فرخ ضمن الغاصب بيضة فقط، لأن الذي تولد من البيضة خلق آخر غير الذي غصبه، وإن كان منه.(١)

وعني به العلماء تعليقا وديباجة، ومن الحواشي التي كتبت عليه :

١ــ حاشية الجنبوري (إله داد) ت٩٢٣، بعنوان : حاشية على مدارك التتريل.

٢ ــ وحاشية أخرى لمجهول، دونتها لنا الفهرسة.(٢)

٣ ــ " حاشية الكتر الجليل على مدارك التتريل وحقائق التأويل(٣) " للعلامة النسفي،في التفسير، تأليف إبراهيم إبراهيم بصيله الجناجي بلدا، والمالكي مذهبا، المتوفى بعد سنة ١٣٣٢ هــ.

اطلعت على هذا الحاشية وقرأت مواضع متفرقة منها، وجدت المصنف عمد إلى تفسير كتاب الآلوسي، ونقل منه العبارات المناسبة في كل مقام بتصرف وبلا تصرف، يبين ذلك كله، ويعزو إليه، واستعان معه بما ينقله من تفسير الفخر الرازي، والسمين في " الدر المصون "، و"حاشية الشهاب " على البيضاوي وأبي السعود، وقد يعود إلى الزمخشري، ويندر أن يرجع إلى غير هؤلاء، وطالعت مقدمته في أول كتابه، ورأيت أنها تشتمل على ما يفيد، وعلى ما يدعوني إلى التعليق عليه.

وها أنذا أنقل بعضها، ثم أذكر ذينك.

قال ــ رحمه الله ــ : " قد شرعت في قراءة كتاب النسفي في التفسير على طلبتي بالأزهر الشريف سنة ١٣٣١هــ، سنة ١٣٣٢ هــ، ١٩١٣م، ١٩١٤ ميلادية فألفيته رموزا وطلسمات، وقراءات، ومعميات، روح التفسير الحقيقية منعدمة، أو

(١) انظر : تفسير الآية (١٤) من سورة المؤمنون.

(٢) أنظر : الفهرس الشامل : ٣٥٨.

(٣) مكونة من أربعة أجزاء كبار، منها نسخة ميكرفيلمية بمعهد البحوث العلمية بجامعــــة أم القرى، رقم (١٤٢٦)

تكاد، والمطلع عليه لا يمكنه أن ينال منه طلبته(١)، و يعثر على ضالته، وعلى الجملة تفسير لا ينقع غله(٢)، ولا يروي الصادي(٣) ؛ لذلك استعنت بالله العلي الأعلى وجمعت حاشية من أمهات التفاسير المعول عليها والتي يرجع إليها".

التعليق على هذا النص :

١ ــ وضع الجناجي حاشيته في عهد قريب لا يبلغ ما بيننا وبينه مائة عام.

٢ ــ كان الكتاب ــ أعني تفسير النسفي ــ أحد مقررات الأزهر في التفسير.

٣ ــ لم يصب ــ رحمه الله ــ الصواب في وصفه لتفسير النسفي بأنه رموز وطلسمات.. ومعميات، إلى آخر ما قال. وقد برئ من ذلك و عبارته سلسلة مفهومة، ليس فيها حشو ولا تعقيد، كما سبق بيانه قريبا، بل بعض عبارات النسفي أوضح من بعض الدقائق الغامضة التي ينقلها الجناجي من الحواشي وكتب التفسير المذكورة سلفا.

ولو كان روح التفسير الحقيقية منعدمة وكله رموزا وطلمسات لما صح أن يختصر، والمعميات والألغاز لا تختصر بل تبسط وتشرح.

و قدتناوله الباحثون دراسة ومقارنة :

ومما اطلعت عليه أو قرأت عليه في هذا :

١ــ " الدخيل في تفسير الإمام النسفي " أطروحة مقدمة من قسم التفسير، بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

أعدها : سمير عبد العزيز السيد شليوه، وأشرف عليها شيخنا الأستاذ الدكتور : محمد أحمد يوسف القاسم ــ أحسن الله ذكره ــ.

---

(١) بفتح الطاء وكسر اللام، ما طلبه المرء. القاموس : ١٤١ (طلب).
(٢) الغل والغلة بضم الغين، العطش، أو شدته، أو حرارة الجوف. القاموس ١٣٤٣ (غلل).
(٣) العطشان. القاموس ١٦٧٩ (صدا).

تناول ـــ في صلب موضوعه ـــ الدخيل والإسرائيليات ومعناهما وأثرهما ثم الإسرائيليات في حق الملائكة، ثم الأنبياء، آدم، فنوح،فالذبيح، فيوسف، فأيوب .... الخ، ثم ما ورد من ذلك في أصحاب الكهف، ثم الدخيل في الأحاديث الموضوعة في تفسير النسفي.

٢ ـــ أبو البركات : " عبد الله بن أحمد النسفي وكتابه مدارك التتزيل "

رسالة دكتواره مقدمة من : بدر الدين جتين آر. إلى معهد العلوم الإجتماعية، جامعة أتاتورك عام ١٩٨٤.

٣ ـــ " منهج الإمام النسفي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود "

رسالة مقدمة للحصول على درجة العالمية " الدكتوراه " في التفسير وعلوم القرآن قدمها : محمود لطفي محمد جاد عبد العاطي من أصول الدين بجامعة الأزهر، أشرف عليها الأستاذ الدكتور : سمير عبد العزيز شليوه.

تكلم فيه عن مصادر النسفي في تفسيره، ومنهجه في تفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين ثم من بعدهم ومصادره في ذلك ومنهجه في آراء القراءات وأسباب التزول، وموقفه من أحاديث فضائل السور، وعنايته بالإعراب والمسائل الصرفيه والنواحي البلاغية ثم فصّل القول في بيان آرائه الاعتقاديه، ثم منهجه في الفقه وأصوله وأثر التصوف في تفسيره، وموقفه من الإسرائيليات ....

ثم عقد مقارنة بين تفسيره وتفسير الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود.(١)

---

(١) قدمت الرسالة عام ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢ م، وعدد صفحاتها قريب من عدد رســـالة " الدخيل في تفسير النسفي " الآنفة الذكر.

المبحث الثاني

منهجـــــه في تفســــيره

تفسير النسفي تفسير لجميع آيات القرآن على حدّ سواء، لا يترك بعـــض الآيــات لنظيرها مما سبق تفسيره، كما فعل كثير من المفسرين، ومن ثَمّ جاء في أجزاء متقاربة، يسير في ذلك على طريق واحدة، يورد الحرف أو الكلمة، أو الجملـــة، أو الآيـــة، ثم يشرحها بما يناسب، وقد يفصل في شرحها مبينا أصل الكلمة وإن كان فيها تنـــوع قراءات بينها، يعزو كل قراءة إلى قارئها، وقد يحتج لها إن اقتضى المقام ذلك، يســوق في شرحه الآية أو الحديث، أو الأثر، وأقوال أهل اللغة، تفســيرا القــرآن للقــرآن، وبالسنة، وبأقوال السلف من الصحابة وتابعيهم، وبلغة العرب، وليس ذلك دأبـــه في جميع الآيات ولا في كل آية يتوفر فيها ذلك ـــ أعني ـــ وجود آية مضمرة أو حديث ...الخ ـــ بل دأبه وعادته شرح الآية، وقد يعرض لمثل ذلك، وهو كثير، ويحتج علـى المعتزلة وغيرهم في ما خالفوا فيه.

يقول في الآية : وهي دليل لنا.. أو هي رد على من يقول كذا..

وعلى غرار ذلك يحتج لمذهبه الحنفي دون مناقشة للأدلة في الغالب , و لم يخل تفســيره من لطائف دقيقة، وعبارات رشيقة، زادته نورا وحلاوة.

ذلك مجمل منهجه.

والآن ننفذ إلى بيان ذلك مفصلا ومدللا عليه من تفسيره ليكون المنهج أوضح بذكر نماذج ثم أوضح من خلالها منهجه.

النص الأول :

قال ـــ رحمه الله ـــ عند تفسيره للآية الأولى، من سورة الكهف : " (الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ (الكتاب) القرآن وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أي : شيئا من العوج، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، يقال : في رأيه عوج وفي عصاه عوج. والمراد : نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيئ منه من الحكمة " (١).

إيضاح المنهج من خلال النص :

إذا أنعمنا النظر في هذا النص اتضح الآتي :

١ ـــ سهولة العبارة واتساق الكلام، حيث فسر المضمر في " عبده " بالظاهر، وهو محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والمجمل وهو " الكتاب " بالمبين، وهو القرآن.

٢ـــ ثم ألوى بعد ذلك على الكلام في الشرح الذي بين النكتة في الآية.

٣ ـــ ثم فسر بعد ذلك خاتمة الآية بقوله : " شيئا من العوج " وهي عبارة دقيقة أفادتها النكرة في " عوجا " فإنها تفيد مع النفي السابق عدم العوج قل أو كثر.

٤ ـــ ثم تخلص من ذلك إلى ذكر تلك الفائدة اللغوية المفيدة الفرق بين العوج (بالكسر) والعوج (بالفتح).

٥ ـــ وكان مناسبا بعد هذا أن يأتي بالمعنى المراد، لأن المعنى المراد هو المعنى المقصود الذي جيئ بالكلام من أجله.

(١) ١ / الكهف : الآية : (١).

٦ ـــ الكلام الأخير في تفسيره أفاده من الزمخشري[1]، وليس كل ما قالـــه في الآيـــة منه، ففي اختياره وتركه دقة وراءها علم، وحسن اختيار.

النص الثاني :

في تفسير قوله تعالى : (وإن منك إلا ورادها) :

" (وإن منكم) أحد (إلا واردها) داخلها، والمراد : النار، والورود : الدخول عنـد علي وابن عباس ـــ رضي الله عنهم ـــ، وعليه جمهور أهل السنة لقولـــه تعـــالى : (فأوردهم النار) [هود : ٩٨]، ولقوله تعالى : (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوهـــا) [الأنبياء : ٩٩] ولقوله تعالى : (ثم ننجي الذين اتقوا) [مريم : ٧٢] ؛ إذ النجـــاة إنما تكون بعد الدخول ؛ لقوله عليه السلام : الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ... "[2].

الإيضاح :

في هذا النص أمور تقدم بعضها في النص الأول :

١ ـــ ذكر ما يشير إلى الخلاف في معنى الورود.

٢ ـــ الاحتجاج بتفسير الصحابة.

٣ ـــ الترجيح.

٤ ـــ التأيد بالقرآن، تفسيرا للقرآن بالقرآن.

٥ ـــ التأيد بالحديث، تفسيرا للقرآن بالسنة.

النص الثالث :

" (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما) تمييز، أي : وسع علمـــه كل شئ".[3]

---

(١) الكشاف : ٢ / ٦٧٥.

(٢) تفسيره للآية (٧١) من سورة مريم.

(٣) تفسيره للآية : (٩٨) من سورة طه.

الإيضاح :

١ ـــ اخترت هذا الموضع من تفسيره، لبيان اختلاف المقام، فليس في الآية ما يحتاج إلى مثل ما سبق، ومن ثم اكتفى بتلك الكلمات اليسيرة.

٢ ـــ اكتفى في تفسير الجملة الأخيرة بإعراب كلمة " علما " وهو من الدقة بمكان لأنه به يتضح تركيب الكلام، وقد أشار إلى أن ذلك التمييز محول عن الفاعل، بقوله: " وسع علمه كل شئ " فأوضح المراد والمعنى.

النص الرابع :

" (ثم أنشأناه) الضمير يعود إلى الإنسان، أو : إلى المذكور، (خلقا آخر) أي : خلقا مباينا للخلق الأول حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وسميعا وبصيرا، وكان بضد هذه الصفات. ولهذا قلنا : إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ، لأنه خلق آخر سوى البيضة.

(فتبارك) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف، وليس بصفة لأنه نكرة، وإن أضيف ؛ لأن المضاف إليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقديرا، فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه.

وقيل: إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ـــ عليه السلام ـــ فنطق بذلك قبلها إملائه، فقال له رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ اكتب هكذا نزلت، فقال عبد الله : إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي، فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح، وقيل : هذه الحكاية غير صحيحة، لأن ارتداده كان بالمدينة، وهذه السورة مكية، وقيل : القائل : عمر، أو : معاذ ـــ رضي الله عنهما ـــ "(١).

الإيضاح :

هذا النص جمع ـــ إضافة إلى ما سبق ـــ أمورا :

---

(١) الآية : (١٤) من سورة المؤمنون.

١ ــ بسط الإعراب بذكر الوجوه وإبطال البعيد منها مدللا عليه.

٢ ــ في قوله : " فترك ذكر المميز ".

٣ ــ ذكر ما ورد حول الآية باستيفاء، حيث ذكر قصة ابن أبي سرح، ثم نقل القول بأنها غير صحيحة، ودليل ذلك، ثم القولين الآخرين.

كل ذلك في إيجاز، فالطابع العام الذي نقوله في شرحه : الميل إلى الإيجاز ولو كان في الكلام تفصيل.

النص الخامس :

" (وعليها) وعلى الأنعام في البر، (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل ؛ لأنها هي المحمول عليها في العادة، فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن، لأنها سفائن البر، قال ذو الرمة :

* سفينة بر تحت خدي زمامها *

يريد ناقته ".(١)

الإيضاح :

١ ــ يلاحظ من خلال هذا النص ومما تقدم توحد المنهج في بيان الضمائر وعودها وإلحاق الكلمات المفسرة كأنها متممة للنظم القرآني.

٢ ــ ليس من طريقته الإكثار من الاستشهاد بالشعر , وأكثر السور خالية من ذلك والحاجة الملجئة ــ هنا ــ إلى الاستشهاد ببيت " غيلان " واضحة.

النص السادس :

" (فالتقطه) أخذه، قال الزجاج : كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي : ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا، كقولهم : للموت ما تلد

---

(١) الآية (٢٢) المؤمنون.

الوالدة، وهي لم تلد لأن يموت ولدُها ولكن المصير إلى ذلك، كذا قاله الزجاج، وعن هذا قال المفسرون : إن هذه لام العاقبة والصيرورة.

وقال صاحب " الكشاف " : هي لام كي التي معناها التعليل، كقولك : جئتك لتكرمني، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز ؛ لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبّه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجئ (وحزنا) وحُزْنا : علي وحمزة، وهما لغتان كالعُدم والعدم ".[1]

الإيضاح :

١ ـــ في هذا النص : التصريح بالنقل عن الزجاج، وهو يكثر النقل عنه وقد عزا إليه ـــ ههنا ـــ مرتين.

٢ ـــ وفيه التصريح بالنقل عن صاحب " الكشاف " وهذا يثير سؤالا كيف يصرح بالنقل عنه هنا ويعزو إليه، وأكثر تفسيره مستفاد منه بلا عزو ؟ ألا يوهم ذلك أنه قليل الرجوع إليه ؟

والجواب : أن جميع ما أخذه عنه بلا عزو أفاده منه على سبيل اختياره واصطفائه،ولما كان ـــ هنا ـــ قول للزمخشري مخالف ذكره معزوا إليه ؛ على أنه من مفرادته، أو ما شَذّبِهِ ابتداعا، أو نكارة.

٣ ـــ وضح اختلاف القراء السبعة مع التوجيه بإيجاز، فيما احتاج إلى توجيه.

ولعناية المصنف بجانب القراءات أود أن تكلم في ذلك بعناية وبسط.

(١) الآية : (٨) القصص.

أولا : ذكره للقراءات :

أما القراءات السبع فلا يكاد يفوِّت منها شيئا إلا فيما ندر كقراءة البزي (سحابٌ ظلماتٌ)[1] بالإضافة (سحابُ ظلماتٍ) وقراءة قنبل (سحابٌ ظلماتٍ) بتنوين الأول مرفوعا والثاني مجروراً.[2]

وأما القراءات الثلاث فيذكرها كثيرا، ويترك ذكرها كثيرا.

وأما ما فوق ذلك فالغالب عدم ذكره، وقد بين شيئا من ذلك لا سيما إذا اشتمل على معنى يزيد المعنى وضوحا، كقراءة من قرأ (لا إله إلا هو رب العرش العظيم) [المؤمنون : ١١٦] برفع الميم.

ثانيا : توجيهه للقراءة وتخريجها :

لم يطرد منهجه في توجيه القراءة، تارة يوجهها، وتارة يتركها بلا توجيه، ومعظم ما استشكله بعض العلماء يعرض إلى توجيهه كما فعل في قراءة (إن هذان لساحران) بتشديد " إنّ " مع الألف في " هذان " فقد أطال في ذلك وجاء بتخريجات عدة.[3]

و قريبا من ذلك فعل في قراءة شعبة وابن عامر (وكذلك نجّي المؤمنين) فهو يقول : (نجِّيْ) : شامي وأبو بكر، بإدغام النون في الجيم عند البعض، لأن النون لا تدغم في الجيم، وقيل : تقديره : نجي النجاة المؤمنين، فسكن الياء تخفيفا، وأسند الفعل إلى المصدر، ونصب " المؤمنين " بالنجاء، لكن فيه إقامة المصدرمقام الفاعل مع وجود المفعول، وهذا لا يجوز، وفيه تسكين الياء، وبابه : الضرورات ... الخ ".[4]

---

(١) سورة النور : ٤٠.

(٢) انظر : التلخيص في القراءات الثمان : ٣٤٤.

(٣) راجع كلامه عند الآية (٦٣) من سورة طه.

(٤) راجع كلامه عند الآية (٨٨) من سورة الأنبياء.

المبحث الثالث

مصادره

لا غنى لأي مصنف في التفسير عن الرجوع إلى مصادر يستقي منها ويثري بها كتابه، ولو كان ذلك ثقافته المؤسسة على التزود من سابق المصادر.

ولعل من نافلة القول أن نذكر " القرآن الكريم " في طليعة مصادره، وكذلك السنة النبوية، ومأثور السلف من الصحابة والتابعين. ولا أرى حاجة إلى تفصيل ذلك وبيان مواضع من تفسيره توضحه، لأن الغرض متعلق ببيان المصادر الخاصة المتمثلة في مصنفات من قبله.

١ـ مصادره في القراءات :

اعتمد النسفي في نقله للقراءات ومسائل الوقف على مصادر، ولم أجد له عزوا لأحد من مصنفي القراءات ولا إلى كتاب، ومن المرجح لدي أنه اعتمد كثيرا على كتاب " الغاية في القراءات العشر " لأبي بكر أحمد بن الحسن بن مهران (ت : ٣٨١هـ) وأضرب مثلا على ذلك تؤكد الاتفاق في الألفاظ بين الكلامين.

يقول النسفي ــ رحمه الله ــ في تفسير قول الله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) (أذن) مدني وبصري عاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص ".(١)

وقال في (لهدمت صوامع) " وبالتخفيف : حجازي " (٢).

---

(١) الآية (٣٩) الحج.

(٢) الآية (٤٠) من سورة الحج.

وقال في (تعدون) " يعدون " : مكي وكوفي غير عاصم.[١]

وإذا عدنا إلى كتاب " الغاية " وجدنا الاتفاق في التعبير بهذه الألفاظ وترتيب القراء.[٢]

وتختلف الكتب الأخرى فيهما ـــ أعني الترتيب وألقاب القراء ـــ كأن يعبر بنافع وابن كثير وأبي جعفر بدل حجازي، أو : بحمزة وعلي، بدل قوله : " كوفي غير عاصم " أو يقال: بدل " حجازي " حرمي، وأهل الحجاز.[٣]

ومن مصادره في الاحتجاج للقراءة : كتاب " الحجة لأبي على الفارسي (ت :٣٧٧) فهو ينقل عنه بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة.

فتراه ـــ مثلا ـــ عند كلامه على قراءة (إن هذان لساحران) يقول ـــ بعد ذكره لقول من قال : " إن " بمعنى نعم، والهاء للوقف، و " هذا " مبتدأ، و " ساحران " خبره مبتدأ محذوف، واللام داخله على المبتدأ والمحذوف تقديره : هذان لهما سلحران ... إلى أن يقول : " قاله أبو علي ".[٤]

٢ ـــ وفي وقوف القرآن يعتمد كثيرا على كتاب " علل الوقوف " لابن طيفور السجاوندي (ت ٥٦٠ هـــ).

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسير الآية العاشرة من سورة البقرة : " قال صاحب الوقوف : الوقف لازم على (بمؤمنين) ؛ لأنه لو وصل لصار التقدير : وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصل ... ".

ويقول في تفسيره قول الله تعالى : (ولأجر الآخرة أكبر) [النحل : ٤١] :ـــ

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الحج.

(٢) راجع الغاية : ٢١٤.

(٣) انظر : الإرشاد : ٤٥٠، وغاية الاختصار : ٢ / ٥٧٨.

(٤) راجع كلامه في الآية : (٦٣) من سورة طه. وانظر : الحجة في القراءات السبع لأبي علي ٥ / ٢٢٩، وما بعدها.

" الوقف لازم عليه لأن جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف، والضمير للكفار أي : لو علموا ذلك لرغبوا في الدين ".

وهو بمعناه في كتاب ابن طيفور السجاوندي.(١)

وأما في إعراب القرآن " : فعمدته في ذلك " التبيان " لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) فينقل عنه بلا عزو في الغالب، ووجدته يعزو إليه في إعراب لفظ (ويلكم) في قوله تعالى : (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم) قال : " وفي التبيان في إعراب القرآن، هو مفعول فعل محذوف، أي : ألزمكم الله ويلكم ".(٢)

٣ــ مصادره في التفسير :

غير خاف على المتأمل أن النسفي ــ رحمه الله ــ اعتمد على تفسير الزمخشري أول ما يكون، من أول التفسير إلى آخره، ولا يبعد كثيرا عن الصواب من يقول : هو مختصر لكتاب الكشاف، نقل منه، وترك ما جاء فيه من اعتزال، وتعقب تلك المسائل بالرد عليها واطراحها.

إذن فكتاب : " الكشاف " هو أول هذه المصادر.

وأضرب على ذلك مثلا، أوضح بها للقارئ صدق ذلك.

ففي مفتتح سورة النحل يقول :

" كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد، فقيل لهم : (أتى أمر الله) الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه ".(٣)

وهذا الكلام برمته هو كلام الزمخشري حرفا حرفا، وعلى هذا النمط وشبهه يسير في نقله عنه بتصرفه فيه تارة ونقله بنصه تارة، وتركه ثالثة أخرى.

---

(١) راجع : ٢ / ٦٣٨.

(٢) انظر : تفسيره للآية : (٨٠) من سورة القصص.

(٣) الآية (١) سورة النحل من تفسير النسفي، والكشاف : ٢ / ٥٦٩.

ومن نقله مع تصرف قوله في تفسير قوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) [النحل : ١٢٨] " سمي الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام.. والمعنى : إن صُنِيع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله، ولا تزيدوا عليه ".(١)

وهذه هي عبارة النسفي، المنتزعة من عبارة الزمخشري مع تصرف فيها، وأنقل الآن كلام الزمخشري ليتم التنظير.

قال الزمخشري : " سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة، والمعنى : إن صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ".(٢)

ومن أمثلة تنكّبه عبارات الزمخشري الاعتزالية كلامه في تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [الإسراء : ١٥].

قال ـــ رحمه الله ـــ : " وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولا يلزمهم الحجة ".(٣)

وعبارة الزمخشري : " وما صحّ منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن نبعث إليهم رسولا فلزمهم الحجة ".(٤)

ومن مصادره في علوم القرآن : كتاب " الإيجاز " لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري المعروف بـــ " بيان الحق ت : ٥٥٣).

و" الإيجاز " أحد ثلاثة أسماء أطلقت على مسمى واحد، والإسمان الآخران هما " باهر البرهان " و " وضح البرهان "(٥).(١)

---

(١) الآية (١٢٦) من سورة النحل.
(٢) الكشاف : ٢ / ٦١٩.
(٣) الآية (١٥) من سورة الإسراء.
(٤) الكشاف : ٢ / ٦٥٨.
(٥) حققه بهذا الاسم : صفوان الداودي وطبع في مجلدين عام ١٤١٨هـ. وحققه بالاسم الأول سعاد بابقي .

ومما نقله النسفي عنه وأسنده إليه قوله عند تفسير قوله تعالى : (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) [هود : ١١١].

قال صاحب الإيجاز : " (لما) فيه معنى الظرف وقد أجل في الكلام اختصار كأنه قيل : وإن كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم.

وقال الكسائي : ليس لي بتشديد (لما) علم ".

وإذا عدنا إلى كلام النيسابوري في الكتاب المذكور وجدناه هو هو بمعناه وأكثر لفظه.[٢]

وممن أفاد منه كثيرا : جامع العلوم (علي بن الحسين الباقولي).

قال في تفسير قوله تعالى : (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) [البقرة : ٩٧].

" قال جامع العلوم وغيره : لو يعمر بمعنى أن يعمر، فـ (لو) هنا نابت عن (أن) و (أن) مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول (يود).

وقد دونت التراجم لجامع العلوم كتابين في علوم القرآن.

الأول : " البيان في شواهد القرآن " والثاني : " علل القراءات "[٣] كما نقل عنه الجر بالمجاورة في آية الوضوء[٤].

وأكثر ما ينقل في معاني القرآن وإعرابه من الزجاج أبي إسحاق، إبراهيم بن السري (ـ ٣١١هـ).في مواضع لا تحصى كثرة، مصرحا فيها بالعزو إليه.

فقد نقل عنه في سور النحل والإسراء، والكهف أكثر من عشرة مواضع، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : (فضربنا على ءاذانهم في الكهف سنين عددا) قال الزجاج : أي : تعد عددا لكثرتها، لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عد،

---

(١) راجع : ١ / ٣٠٢ من باهر البرهان.
(٢) باهر البرهان : ٢ / ٦٨٥.
(٣) مطبوع باسم كشف المعضلات.
(٤) المائدة : (٧).

فأما (دراهم معدودة) [يوسف : ٢٠] فهي على القلة، لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير". [١]

٤ ــ مصادره في العقيدة :

أكبر ما يعول عليه في ذلك، كتاب " تأويلات أهل السنة " لأبي منصور محمد، ابن محمد الماتوريدي (ت ٣٣٣هــ) وهو كتاب لا يدانيه كتاب ــ عند أصحابه ــ ولا يوازن به شئ من تصانيف من سبقه لديهم. [٢]

ينقل عنه باللفظ وبالمعنى.

قال في تفسير الآية الثامنة من سورة البقرة : " قال الشيخ أبو منصور ــ رحمه الله-: الكافر لما لم يسمع قول الحق و لم ينظر في نفسه وفي غيره من المخلوقين ... جعل كأن على بصره غشاوة.. ".

وقال في تفسير الآية (١٤٣) من سورة الأعراف : " وذكر الشيخ في " التأويلات " أن موسى ــ عليه السلام ــ سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى ".

وقال في تفسير الآية (١١٣) من سورة هود : " هذا خطاب لأتباع الكفرة ... ".

٥ ــ وفي الحديث :

ونقله للحديث من كتب عديدة، بعضها متمحض في الحديث وبعضها في التفسير، ولعل من هذا النوع الأخير كتاب :

ــ"الكشف والبيان " للثعلبي.

ــ و " الكشاف " للزمخشري.

ومن النوع الأول كتاب " المصابيح، للإمام البغوي (ت ٥١٠ هــ) فقد قال في تفسير الآية الأولى من سورة الفاتحة : " والحديث مذكور في صحاح المصابيح ". [١]

---

(١) الآية (١١) من سورة الكهف، وانظر تفسير الآية (٩) و (٦٦) و (٨٦) من سورة النحل، والآية (٥) و (٤١) و (٦٣) و (٩٦) من سورة طه.

(٢) انظر : كشف الظنون : ١ / ٣٣٥ ــ ٣٣٦.

وقال نحوا من ذلك في تفسير الآية (٢٦) من سورة يونس.

٦ ــ وفي الفقه :

اعتمد على مصادر منها :

ــ " المبسوط " لفخر الإسلام، علي بن محمد البزدوي المتوفى سنة ٤٨٢هــ.

أول نقل عنه في تفسير البسملة في أول الفاتحة إذ قال : " ذكره فخـــر الإســـلام في المبسوط ".

ــ وكتاب الكافي، وهو له.[٢] إذ قاله في الموضع السابق : " وتمام تقريره في الكافي "

ــ وكتاب " النهر "[٣] نقل عنه في موضع واحد[٤]، إذ قال : " وإذا التعنا ــ كمـــا بين في النهر ــ لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما ".

وله نقل عن، أبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هــ) والكرخي وداود بن علي الظاهري ــ (٢٧٠ ٢ هــ).

٧ ــ وفي اللغة : معنى، ونحو وصرفا، عن جمع من الضالعين فيها، أمثال :

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هــ) فقد نقل عنه اختيـــاره عـــدم القـــول بالاشتقاق في الاسم الأعظم.[٥]

وسيبويه، أبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هــ).[٦]

والفراء، يحيى بن زياد الكوفي (ت٢٠٧ هــ).[٧]

والأخفش الأوسط، أبي الحسن، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هــ).[١]

---

(١) يشير إلى حديث " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين " الذي ذكره قبل ذلك.

(٢) ذكرت في مبحث مصادره نبذة عنه.

(٣) لم أهتد إلى اسمه كاملا ولا عرفت مصنفه.

(٤) انظر : تفسيره الآية (٩) من سورة النور.

(٥) انظر : تفسيره الآية الأولى من سورة الفاتحة.

(٦) انظر : تفسير الآية (٦٦) من سورة النحل، والآية (٦٩) من سورة مريم.

(٧) انظر : تفسير الآية (٧٧) من سورة الشعراء، والآية (٦) من سورة المؤمنون.

والمبرّد، محمد بن يزيد الأزدي .[٢]

والأزهري، محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠ هـ).

٨ ـ وفي التصوّف والرقائق :

يكثر النقل عن كثير من الزهّاد، كالجنيد بن محمد بن الجنيد، المتوفى (٢٩٧هـ).[٣]

والتُّستَري، سهل بن عبد الله بن يونس (ت ٢٣٣هـ).[٤]

وشقيق بن إبراهيم البلخي (ت ١٤٩ هـ).[٥]

والشَّبلي، دُلَف بن جحدر الشبلي (ت ٣٣٤ هـ).[٦]

وعن أبي بكر محمد بن عمر الورّاق .[٧]

ومحمد بن المنكدر بن عبد الله (ت ١٣٠ هـ).[٨]

وإبراهيم الخواص (ت ٢٩١ هـ).[٩]

وكذلك عن أبي سعيد القرشي.[١٠] وعن أبي تراب، وابن عطاء وغيرهم.

ولا شك أن هناك مصادر أخرى، في فنون أخرى، وفي هذه الفنون، وإنما أردنا أن نذكر لمحة دالة توضح هذا الجانب مع شيئ من التفصيل.

رحم الله الإمام النسفي ونفع بعلومه .

---

(١) انظر : تفسير الآية (١٥ و ٧٠) من سورة طه.

(٢) انظر : تفسير الآية (٦٣) من سورة طه، والآية (٢٠) من سورة مريم.

(٣) انظر : تفسير الآية (٣٩) من سورة آل عمران.

(٤) انظر : تفسير الآية (١٠١) من سورة يوسف.

(٥) انظر : تفسير الآية (١٧) من سورة الأعراف.

(٦) انظر : تفسير الآية (٩٩) من سورة الأعراف.

(٧) انظر : تفسيره للآية (٩٢) من سورة آل عمران.

(٨) انظر : نقله عنه في تفسيره الآية (٤٧) من سورة الزمر.

(٩) انظر : نقله عنه في تفسيره الآية (٦١) من سورة الرحمن.

(١٠) انظر : تفسيره الآية (٤٣) من سورة الشورى.

سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر ونحوه ممال حمزة وعلي وابو عمرو و
من تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة
من الآيات والكتاب السورة او القرآن الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها او المحكم عن الكذب
والاختلاف [illegible] أكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجيب منه أن أوحينا
اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا
الى رجل منهم ان انذر الناس بان انذر او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم
جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من
ابناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر
بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا
بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار
للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على
الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق
بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة
على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق او سبق السعادة قال الكافرون
ان هذا الكتاب [illegible] لسحر مبين وقرئ لساحر مبين فهذا اشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا ان

ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
اي استولى فقد تقدس الله عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر الامر يقضي و
يقدر على مقتضى الحكمة [illegible] امر الخلق كله من ملكوت السموات والارض والعرش
ولما ذكر ما يدل على عظمته [illegible] من خلق السموات والارض والاستواء على العرش
اتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يجترئ احد [illegible] قضائه
والتدبير وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه
ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو الذي يستحق العبادة فاعبدوه
وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون [illegible] تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود
المصلح النافع اليه مرجعكم جميعا حال اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا
للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه
مرجعكم حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف
معناه التعليل لوجوب المرجع اليه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible]
بانه ابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزي اي ليجزيهم بقسطهم ويوفيهم اجورهم او بقسطهم اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا
حين آمنوا لان الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا اوجه لمقابلة قوله والذين
كفروا لهم شراب من حميم [illegible] بما كانوا يكفرون [illegible]
الذي جعل الشمس ضياء [illegible]
[illegible] والقمر نورا [illegible]
القمر وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل

كم لا يجوز ان لا يكون فاعل يهد لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله اهلكنا من
قبلهم من القرون كعاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم اي اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وبلادهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون المواعظ فيتعظون اولم يروا انا نسوق الماء يجري المطر
والانهار الى الارض الجرز اي الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لانه رعي ولا
يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله فنخرج به بالماء زرعا تاكل منه من الزرع
انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى
ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون
يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى
هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن قل يوم الفتح اي
يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم او يوم بدر او يوم
فتح مكة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهذا الكلام لا ينطبق جوابا على
سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه
التكذيب والاستهزاء اجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا
به ولا تستهزئوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم
في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم
فانهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند الغرق فاعرض عنهم
وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام
لا ينام حتى يقرأ تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته
لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام وعن ابن مسعود قال سورة تنزيل هي المانعة
تمنع من عذاب القبر. قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب المجلد الثاني من اجل
مولانا الصدر المعظم معدن الفضل والكرم فخر العرب والعجم صاحب السيف والسنان الامام
المذهب ... القرآن حافظ الحق والملة والدين ... ادام الله ظلاله اجلاله وجلاله

ظلاله ومتع المسلمين بطول بقائه بالنبي وآله في عشية يوم الثلثاء الثامن عشر من شهر ... سنة
ست وتسعين وستمائة على يد العبد الضعيف الخاطر الراجي الى رحمة الله الملك ربه المنعم لطيفه
محمد بن علي بن الصلاة القزويني في المدرسة السلطانية ... صينت عن الحدثان اللهم اغفر لصاحبه ولكاتبه
ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات حامدا لله ومصليا على نبيه

مكتبة الأسد
دمشق

التصنيف:

الورود:

بسم الله الرحمن الرحيم وحسبي الا الله لا هو عليه توكلت وصلى الله على
سيدنا محمد وسلم الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام المقدس بصفاته عن ادراك
العقول والافهام المتصف بالالوهية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية بعد كل
محدود الملك الذي طبست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي ازاحت سطوات كبريائه
الافكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان
المتعالي عن مضاهات الاجسام ومشابهة الايام القادر الذي لا يشار اليه
بالتكييف القاهر الذي لا يسال عن التحميل والتكليف العليم الذي خلق الانسان وعلمه
البيان الحليم الذي نزل القران شفاء للارواح والابدان والصلاة والسلام على المستل
من ارومة البلاغة والبراعة المحل في بحبوحة الفصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى الخليقة
الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى اله وشيعته وعلى الاخذين بعهوده وشريعته
مولانا الشيخ الامام المعظم وحبر الهمام المقدم استاد اهل الارض محيي السنة
والفرض كشاف حقايق اسرار التنزيل مفتاح دقايق اسرار التاويل ترجمان كلام
الرحمن صاحب علم المعاني والبيان الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه
في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم
الانبيا والمرسلين اكمل فحول المجتهدين قدوة قدوم المحققين ذو السعادات
والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول
بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سالني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التاويلات
جامعا لوجوه الاعراب والقراات متضمنا لدقايق علم البديع والاشارات
حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس
بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا
لقوة البشر عن درك هذا الوطر واخذا بسبيل الحذر عن ركوب الخطر حتى
شرعت فيه بتوفيق الله تعالى والعوايق كثيرة واتممته في مدة يسيرة
وسميته بمدارك التنزيل وحقايق التاويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير

وبالاجابة

وبالاجابة جدير فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية
ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى
الكعبة وتسمى ام القران للحديث ولاشتمالها على المعاني التي في القران وسورة
الكنز لقوله عليه الصلاة والسلام فاتحة الكتاب
الوافية والكافية لذلك وسورة
شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لما
روي ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القران
قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس واتها سبع
بالاتفاق والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قرا المدينة والبصرة والشام على
ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك
والابتدا بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم
في الصلاة وقرا مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه
الشافعي واصحابه رحمهم الله وهم يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف
مع الامر بتجريد القران وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع
عشرة اية من كتاب الله تعالى ولنا حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله قسمت الصلاة اي الفاتحة بيني وبين عبدي
نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال
واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال فالابتدا بقوله الحمد لله
رب العالمين دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة
لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضر لان
التسمية اية من القران انزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام رحمه الله
وللتبرك في الابتدا بها

كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه الصلاة والسلام فاتحة الكتاب

وقف مدرسة الاحمدية بمدينة حلب المحمية

حكي قول جبريل عليه السلام انه الخلق [illegible] حتى قام عليه السلام عند الخلال العقد ة [illegible]
كانا [illegible] يتحول جبريل عليه السلام لقوله بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء
يؤذيك [illegible] كان [illegible] كتاب الله وكلام رسول الله عليه السلام لانها
كان بالسريانية والعبرية والعربية [illegible] لا يجب اعتقاده [illegible] عليه ونعوذ بالله من
شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ومن شر ما خلق وتمام العمل ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله مصابيح [illegible] واصحابه
[illegible] السلام والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

[illegible] هذه النسخ اللطيفة والسفينة [illegible]
[illegible] الصدور [illegible]
[illegible] الآيات والغايات [illegible]
[illegible] بلاد المسلمين على يد العبد
الضعيف النحيف الحقير الفقير المحتاج الى لقاء الله المتضرع الى
الله في ليله ونهاره الخائف منه من سوء عمله [illegible]
محمد بن حاجي غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه في يوم
الجمعة وقت الضحى الكبرى [illegible] الله المبارك [illegible]
في تاريخ سنة سبع وعشرين وسبعمائة الهجرية والسلام

سيبقى خطوطي في الاوراق برهة والكاتب تحت التراب رميم

[illegible] لا عيب فيه وعلا

قال المصطفى ارحمك الله [illegible]

القسم الثاني

النص المحقق

سورة النحل

مكية، وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾.

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو*[1] نزول العذاب بهم يوم بدر ؛ استهزاء وتكذيبا بالوعد، فقيل لهم :

١- ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا ﴾[2] أي : هو بمنزلة الآتي الواقع، وإن كان منتظرا لقرب وقوعه[3] ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تبرأ وجل[4]

---

(١) في " ج " ونزول.

(٢) يشير إلى سبب نزولها، نقل الواحدي عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال الكفار بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون..فلما امتدت الأيام قالوا : يامحمد مانرى شئيا مما تخوفنا به، فأنزل الله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه). انظر : أسباب النزول : (٢٨٤) وزاد المسير : (٤ / ٣٢٤).

(٣) هذا أحد أقوال ثلاثة في المراد بالفعل " أتى ". والثاني : أن يكون بمعنى " يأتي " كما يقال : أتاك الخير فأبشر. ومثله قوله تعالى : (ونادى أصحاب الجنة) [الأعراف : ٤٤]. والثالث : أن المراد : أتى بعض عذاب الله كالجدب والجوع اللذين نزلا بهم، فالماضي — هنا — على حقيقته. انظر : زاد المسير : ٤ / ٣٢٤. والذي اختاره المصنف هو الذي رجحه النحاس كما في معاني القرآن : (٤ / ٥٢).

(٤) في " ج " جل وعز.

عن أن يكون له شريك أو[1] عن إشراكهم، فـ "ما " موصولة أو مصدرية، واتصال هذا باستعجالهم من حيث أن[2] استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك.

٢- ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ وبالتخفيف : مكي وأبو عمرو[3] ﴿ بِٱلرُّوحِ ﴾ بالوحي أو : بالقرآن ؛ لأن كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، أو : يحيي القلوب الميتة بالجهل مِنْ ﴿ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ أن مفسرة ؛ لأن تنزيل[4] الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى (أنذروا أنه لا إله إلى أنا

---

(١) في " ج " وعن.

(٢) هكذا بفتح همزة " ان " على المشهور على الألسنة، وهي في المطبوعة بالكسر، وهو المشهور الأفصح عند أهل اللغة، والفتح ليس بلحن، وبالغ ابن هشام فقال : " وقد أولع الفقهاء وغيرهم بفتح (إن) بعد حيث وهو لحن فاحش، فإنها لا تضاف إلا إلى جملة" شذور الذهب : ٢٠٥.

وقال ابن مالك في الخلاصة :

وألزموا إضافة إلى الجمل ... حيث وإذ وإن ينوّن يحتمل

(٣) معهما رويس عن يعقوب، وقرأ روح عنه بتاء ونون مفتوحتين وزاي مشددة مفتوحة " تنزل " ؛ على حذف إحدى التائين. أصله : تتنزل.

والمراد بـ " مكي " ابن كثير المكي، أحد القراء السبعة، اسمه عبد الله بن عبد الدار، ورجح الذهبي أن أصله فارسي، روى عن عدد من الصحابة كعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك، ولد سنة (٤٥) وتوفي سنة (١٢٠).انظر ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ٨٦ ــ ٨٨، وغاية النهاية لابن الجزري ١ / ٤٤٣.

وأبو عمرو : هو ابن العلاء المازني النحوي، اسمه زبان، وقيل : اسمه كنيته إمام العربية من الأكراد بالبصرة، عرض القراءة على مجاهد وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر وغيرهم ولد سنة ٦٨ ــ وتوفي سنة ١٥٤ هـ.

انظر ترجمته في معرفة القراء (١ / ١٠٠ ــ ١٠٤) وبغية الوعاة للسيوطي : (١ / ١٠٤)

(٤) في " ب " تنزل.

فاتقون) أعلموا بأن الأمر ذلك، من : نذرت بكذا إذا علمته[1]، والمعنى : أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون فخافون، وبالياء يعقوب[2].

ثم دل على وحدانيته[3]، وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السماوات والأرض وهو قوله :

٣ـ ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ وبالتاء في الموضعين : حمزة وعلي[4]، وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله:

٤ـ ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ أي : فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه، مكافح لخصومه، مبين لحجته بعد ما كان نطفة لا حس به ولا حركة، أو فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه، قائل من يحي العظام وهي رميم،

---

(١) نذر بالشئ، كفرح : علمه فحذره. القاموس (نذر) : ٦١٩.

(٢) ينظر : إرشاد المبتدي في القراءات العشر لأبي العز القلانسي : (٤٠٥). والنشر في القراءات العشر لابن الجزري : (٢ / ٣٠٦). ويعقوب هوابن إسحاق بن زيد الحضرمي، إمام أهل البصرة في القراءات وأحد العشرة القراء، كان لا يلحن في كلامه، فصيحا ذا علم وجاه، مات سنة (٢٠٥ هـ)، انظر ترجمته في : غاية النهاية ٢ / ٣٨٦ ـ ٣٨٩، وبغية الوعاة : ٢ / ٣٤٨.

(٣) في " ب " واحدانية.

(٤) وافقهما خلف العاشر، والباقون بالياء. انظر : الغاية (١٧٠) والنشر : (٢ / ٢٨٢).
وحمزة هو : الإمام المقرئ حمزة بن عمارة الكوفي التميمي الزيات أخذ القراءة عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، واختار مذهب حمران في القراءة، مات سنة ١٥٦ هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ١/ ٩٠ ـ ٩٢، وغاية النهاية ١ / ٢٦١ ـ ٢٦٣
وعلي : هو علي بن حمزة الكسائي الكوفي أحد الأئمة السبعة، سمع من جعفر الصادق والأعمش، وجود القرآن على حمزة، توفي سنة ١٨٩ هـ على الصحيح. راجع غاية النهاية (١ / ٥٣٥ ـ ٥٤٠) وبغية الوعاة (٢ / ١٦٢ ـ ١٦٤).

وهو وصف للإنسان بالوقاحة [1] والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لابد له[2] منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر[3] أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله :

٥. ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾ هي الأزواج الثمانية[4] وأكثر ما يقع على الإبل[5] وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر، كقوله : (والقمر قدرناه[6])[7] أو : بالعطف على " الإنسان "، أي : خلق الإنسان والأنعام[8] ثم قال : خلقها لكم، أي : ما خلقها إلا لكم يا جنس الإنسان ﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر[9] ﴿ وَمَنَٰفِعُ ﴾ وهي نسلها ودرها[1] ﴿

---

(١) قلة الحياء. القاموس : (٣١٦).

(٢) في " ج " : ما لا بد منه.

(٣) في " ج " : وحمل.

(٤) هي المفصلة في سورة الأنعام في قوله تعالى : (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ...) إلى قوله : (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) [١٤٣ ـــ ١٤٤].

(٥) مقتضى كلام أهل اللغة يقضي بأن العرب إذا أفردت النعم أرادت بها الإبل فإذا قالت : الأنعام أرادت بها الأزواج الثمانية.
بذلك جزم ابن الأعرابي والفراء وغيرهما. انظر : لسان العرب " نعم " ١٢(/ ٥٨٥).

(٦) في " ج " : زاد (منازل).

(٧) يس ٣٩، فيكون منصوبا على الاشتغال، والأصل : وقدرنا القمر، وخلق الأنعام.. انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : (٣ / ١٩١) والتبيان للعكبري : (٢ / ٧٨٩).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف : (٢ / ٥٧٠) وابن عطية في المحرر الوجيز (٣ / ٨٧٣) ورجح الوجه الأول.

(٩) سوف يأتي تفسير " الوبر " في آية (٨٠) من هذه السورة , وفي عين (الشعر) وجهان : السكون ثم الفتح. انظر : القاموس المحيط (شعر) ٥٣٣.

﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها، لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده[2] الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر : فكغير المتغذى[3] به، كالجاري مجرى التفكه.

٦- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ترسلونها [4] بالغداة إلى مسارحها، من الله تعالى بالتجمل بها، كما من بالانتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي، لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت[5] بإراحتها وتسريحها الأفنية، وفرحت أربابها وكسبتهم[6] * [7] الجاه والحرمة عند الناس، وإنما قدمت الإراحة على التسريح ؛ لأن الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع.

---

(١) لفظ " منافع " أوسع من ذنيك إذ يشمل كل ما ينتفع به كالركوب عليها والعمل بها والانتفاع بأبوالها وغير ذلك. وانظر : معاني القرآن للزجاج : (٣ / ١٩١) وزاد المسير : (٤ / ٣٢٦).

(٢) في " ب " يعتمد.

(٣) في " ج " المعتد.

(٤) في " ب " و " ج " : وترسلونها.

(٥) في " ج " : تزينت.

(٦) في " ج " : أكسبتهم.

(٧) كسب من باب ضرب، ويتعدى إلى مفعولين بنفسه، قال الفيومي " قال ثعلب : وكلهم يقول : كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابي فإنه يقول : أكسبك بالألف " المصباح المنير (٢ / ١٩٣).

٧ــ ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ ﴾ أحمالكم ﴿ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ ﴾ وبفتح الشين أبو جعفر(١)، وهما لغتان في معنى المشقة، وقيل: المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشق فالنصف، كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد، والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه ــ لو لم تخلق الإبل - إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم(٢)، أو: معناه لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: أثقالكم: أبدانكم، ومنه الثقلان للجن والإنس، ومنه:

" وأخرجت الأرض أثقالها "(٣) أي: بني آدم ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

٨ــ ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ ﴾ عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء(٤) للركوب والزينة، وقد احتج أبو حنيفة(٥) ــ رحمه الله ــ على حرمة أكل لحم الخيل؛ لأنه(٦) علل خلقها للركوب والزينة، و لم يذكر

---

(١) انظر: المبسوط / ٢٢٣، والإرشاد / ٤٠١.

(٢) في " ج " أثقالكم على ظهوركم.

(٣) الزلزلة: (٢).

(٤) في نسخة " ج ": هذه.

(٥) النعمان بن ثابت، أحد الأئمة الأربعة، من أصل فارسي، له: مسند في الحديث، وينسب إليه . الفقه الأكبر " ولد سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٥٠هــ) صنف في ترجمته كتب. انظر الأعلام: ٨ /٣٦.

(٦) في " ج ": بأنه.

الأكل بعدما ذكره في الأنعام، ومنفعة الأكل أقوى، والآية سيقت لبيان النعمة، ولا يليق بالحكيم أن يذكر في موضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاها[1]، وانتصاب ﴿زِينَةً ج﴾ على المفعول له ؛ عطفا على محل ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾، وخلق ما لا تعلمون[2] من أصناف خلائقه، وهو قوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره.

٩- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ المراد به الجنس ؛ ولهذا قال : ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ج﴾ والقصد : مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد[3]، يقال : سبيل قصد وقاصد

---

(١) ثبت في البخاري كتاب صيد الذبائح رقم ٥٥١٩، باب لحوم الخيل ج (٦ / ٢٨٥) ومسلم، الصيد والذبائح رقم ٣٨ باب في أكل لحوم الخيل ٣ / ١٥١٤.
عن أسماء ابنة أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ قالت : "نحرنا على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرسا فأكلناه "وملحظ الإمام أبي حنيفة في الآية قوي لولا هذا الحديث , ويمكن الجواب عن التعليل المذكور في قوله : ولا يليق ... الخ بأن الخيل من نفيس الحيوان المركوب بل هو أنفسها ونعمة ركوبها أكبر من نعمة الانتفاع بأكلها، وبأن العادة لم تكن جارية باقتنائها لذبحها ثم أكلها حتى يمتن عليهم بذلك وإنما امتن عليهم بما هو في أنفسهم أعظم وأولى. وقد ذكر الجصاص في كتابه أحكام القرآن (٥ / ٣) أن أبا حنيفة " لا يطلق فيه التحريم وليس هو عنده كلحم الحمار الأهلي، وإنما يكرهه لتعارض الأخبار الحاظرة والمبيحة ". وقال ابن حزم في المحلى (٧ / ٤٠٩) : " وما نعلم من أحد من السلف كراهة أكل لحوم الخيل إلا رواية عن ابن عباس لا تصح ".

(٢) في " ج " : تعلمون.

(٣) ينعت بالمصدر كثيرا على تأويله بالمشتق، فيقال : رجل عدل أي : ذو عدل ورجل رضا وامرأة رضا، أي : ذو رضا وذات رضا، وإليه الإشارة بقول ابن مالك :

ونعتوا بمصدر كثيرا   فالتزموا الإفراد والتذكيرا

الألفية بشرح ابن الناظم : (٤٩٥).

أي : مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه[1] السالك لا يعدل عنه، ومعناه : أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه، كقوله : " إن علينا للهدى "[2] وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا[3] وقيل : معناه : إلى الله، وقال الزجاج[4] : معناه : وعلى الله تبين الطريق [5] المستقيم والدعاء إليه بالحجج[6] ﴿ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ ومن السبيل مائل عن الاستقامة ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام [7]

---

(١) في " ب " : يقصده.

(٢) الليل : (١٢).

(٣) وآخر الآية وهو قوله تعالى : (ولو شاء لهداكم أجمعين) أكبر دليل على بطلان قول من استدل بهذه الآية على أن الله ــ تعالى ــ يجب عليه شيء، ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لقال : وقد هداكم أجمعين والمصنف تنكب عبارة الزمخشري إذ قال : " فإن الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه " الكشاف : (٣ / ٥٧٢)، وقد أحسن ابن المنير ما شاء في الرد عليه وبسط هذه المسألة،راجع الانصاف، المطبوع بحاشية الكشاف ٣ / ٥٧٢ ــ ٥٧٣.

(٤) إبراهيم بن السري، ابو إسحاق، عالم بالعربية، من تلاميذ المبرد، له : معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، وغيرهما، توفي سنة ٣١١هـ.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ١ / ٤١١ ــ ٤١٣.

(٥) في " ج " : الواضح المستقيم.

(٦) عبارة الزجاج : " على الله تبيين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين " معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ١٩٢.

(٧) لأن الهداية في القرآن على أربعة أوجه :
الأول : الهداية العامة التي يدخل فيها كل مكلف من العقل والفطنة، كما في قوله تعالى : (ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) [طه : ٥٠].
الثانية : هداية الدلالة والإرشاد : كما في قوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) [السجدة : ٢٤].

١٠- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ "لكم" : متعلق بـ "أنزل"، أو : خبرٌ لشراب وهو ما يشرب ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني : الشجر الذي ترعاه المواشي ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ من سمات الماشية إذا رعت فهي سائمة، وأسامها، صاحبها وهو من السومة، وهو[1] العلامة ؛ لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض.

١١- ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ولم يقل: كل الثمرات؛ لأن كلها لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون[2] بها عليه و على قدرته وحكمته، والآية : الدلالة الواضحة.

١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بنصب الكل : علي[3] وجعل ﴿ٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾

الثالثة : الهداية في الآخرة إلى الجنة، كقوله تعالى : (سيهديهم ويصلح بالهم) [محمد : ٥].

الرابعة : هداية التوفيق، وهي التي ذكرها المصنف، رحمه الله، انظر : المفردات للراغب الأصفهاني : ٥٣٨.

(١) في " ب " و " ج " : وهي.

(٢) في " ب " يستدلون.

(٣) الكسائي. تقدمت ترجمته.

"فقط"[١] حفص[٢] ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ ﴾ شامي[٣] على الابتداء والخبر ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ جمع الآية، وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

---

(١) سقط من " ب ".

(٢) حفص بن سليمان الأسدي، صاحب عاصم وأعلم الناس بقراءته كان في القراءة ثبتا متقنا حافظا ضابطا، وضعف في الحديث، توفي سنة (١٨٠ هـ)، انظر : معرفة القراء : ١/ ١٤٠ ـ ١٤١. وغاية النهاية ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) عبد الله بن عامر الدمشقي، إمام أهل الشام، أحد القراء السبعة، وأحد التابعين ائتم به عمر بن عبد العزيز، ومات سنة ١١٨هـ. انظر : غاية النهاية ١ / ٤٢٣ ـ ٤٢٥، وشذرات الذهب ١ / ١٥٦.

وحاصل ما في هذه الآية من قراءات :

قراءة برفع الكلمات الأربع لابن عامر الشامي، والرفع على الابتداء ومسخرات " خبر " وما قبلها معطوف على " والشمس " , وقراءة برفع الأخريين ونصب الأوليين لعاصم من رواية حفص، عطف " والشمس والقمر " على معمول " سخر "، ثم ابتدأ " والنجوم مسخرات " على الابتداء والخبر، وقراءة بالنصب في الكلمات الأربع وهي قراءة باقي العشرة ومنهم علي الكسائي الذي ذكره المصنف وحده. وحجة من نصب أنه عطف هؤلاء الكلمات على " الليل والنهار " وأعمل فيها " وسخر " ولفظ " مسخرات " حال مؤكدة.

انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب (٢ / ٣٥)، والبحر المحيط لأبي حيان : (٥ / ٤٦٥).

١٣- ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معطوفٌ على "الليل والنهار" أي : ماخلق فيها من حيوانٍ وشجرٍ وثمرٍ وغير ذلك[١] ﴿ مُخْتَلِفًا ﴾ حال ﴿ أَلْوَانُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتعظون.

١٤- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ هو السمك ووصفه بالطراة ؛ لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل طريا[٢] خيفة الفساد[٣]، وإنما لا يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحما، لأن الأيمان على العرف، ومن قال لغلامه : اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار ﴿ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً ﴾ هي اللؤلؤة والمرجان ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ المراد : بلبسهم لبس نسائهم، ولكنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ ﴾ جواري تجري جريا وتشق الماء شقا، والمخر : شق الماء بحيزومها[٤] ﴿ فِيهِ ﴾ في البحر ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ هومعطوف على محذوف أي : لتعتبروا ولتبتغوا[١] وابتغاء الفضل التجارة ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله على

---

(١) في " ب " وغيره لكم.

(٢) في " ب " و " ج " : سريعا طريا.

(٣) وهذا مشهور عند أهل الطب مصرح به في كتبهم، انظر : كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار : ٢ / ٣٤.

(٤) حيزوم السفينة : صدرها، قال طرفة بن العبد في معلقته : يشق حباب الماء حيزومها بها ∴ كما قسم الترب المعايل باليد.
انظر : أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري : ٣٩٣.

ولتبتغوا[1] وابتغاء الفضل التجارة ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله على ما أنعم عليكم به.

١٥- ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ﴾ جبالا ثوابت ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب، أو : لئلا تميد بكم، لكن حذف المضاف أكثر[2] قيل : خلق الله الأرض فجعلت تمور[3] فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت[4]

﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ وجعل فيها أنهارا ؛ لأن " ألقى " فيه معنى جعل ﴿ وَسُبُلًا ﴾ طرقا ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم، أو : إلى توحيد ربكم.

---

(١) وجعله ابن عطية معطوفا على (لتأكلوا) انظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٤٨) وهو المتبادر والأوفق.

(٢) ذكر الوجهين مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن : (٤١٧) وقدم الأول، واقتصر عليه الزجاج في المعاني : (٣ / ١٩٣) والفرق بينهما : أن الأول محله النصب والثاني في موضع جر، وقدره العكبري : " مخافة أن تميد " التبيان : (٢ / ٧٩٣).

(٣) في " ج " : تميد.

(٤) هذا القول جاء مسندا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه الترمذي في سننه بإسناده إلى أنس ابن مالك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم (٤/ ٥) برقم (٣٤٢٨). وفي لفظه اختلاف وزيادة. قال الترمذي : " هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وذكره الألباني في ضعيف الترمذي : (٤٤٠) وضعفه في تحقيق مشكاة المصابيح (١٩٢٣) وأورده الطبري في تفسيره : (١٤ / ٩٠) موقوفا على الحسن، وكذلك النحاس في معاني القرآن : (٣ / ٦٠).

١٦ـــ ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ ﴾ هي معالم الطرق، وكل ما يستدل به السابلة[١] من جبـــل وغير ذلك ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ المراد بالنجم : الجنس، أو : هو الثريـــا[٢] والفرقدان[٣] وبنات نعش[٤] والجدي[٥]، فإن قلـــت ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ مخر ج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم، كأنه قيـــل : وبـــالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بـــ ﴿ هُمْ ﴾ ؟ قلت : كأنه أراد قر يشا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغـــيرهم، فكـــان الشكر أوجب عليهم وباعتبار ألزم لهم فخصصوا.

١٧- ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ ﴾ أي : الله تعالى ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ ﴾ أي : الأصنـــام وجيء بـــ (من) الذي هو لأولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فأجروهـــا مجرى أولي العلم، ولأن[٦] المعنى : أن من يخلق ليس كمن لايخلق مـــن أولي العلـــم فكيف بما لا علم عنده ؟ وإنمـــا لم يقل : أفمن لا يخلق ليس كمن يخلق مع اقتضـــاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله، لأنهـــم

(١) السابلة : من الطرق المسلوكة، والقوم المختلفة عليها، وهو المراد هنا، القاموس (سـبل) ١٣٠٨.

(٢) نجم معروف، تصغير ثروى،سمي به لكثرة كواكبه مع ضيق المحل. القـــاموس (ثـرى) ١٦٣٥.

(٣) تثنية فرقد، جاء في الشعر مثنى ومفردا. القاموس (فرقد) ٣٩١.

(٤) سبعة كواكب، أربعة منها نعش، وثلاث بنات، تسمى بنات نعش الكبرى، ومثلها بنات نعش الصغرى، واحدها : ابن نعش. انظر القاموس (نعش) ٧٨٤.

(٥) نجم دائر مع بنات نعش الآنفة الذكر. القاموس (جدى) ١٦٣٨.

(٦) في " ب " و " ج " : أو لأن.

حيث[1] جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها، فأنكر ذلك عليهم بقوله : أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة[2] في خلق الأفعال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون[3] فساد ما أنتم عليه.

١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تضبطوا عددها، ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وإنما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها[4] ما لا ينحصر[5] ولا يعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم.

١٩- ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من أقوالكم وأفعالكم، وهو وعيد.[6]

٢٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وبالتاء : غير عاصم[1] ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

---

(١) في " ج " : حين.

(٢) فرقة من فرق الإسلاميين، سموا بذلك منذ اعتزال زعيمهم واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، قالوا بخلق القرآن، وخلق أفعال العباد، ونفي الصفات والرؤية وتخليد مرتكب الكبيرة، انظر : المنية والأمل في شرح الملل والنحل لأحمد بن يحيى المرتضى اليماني (٢٥ ـــ ٣٦) والكفاية في العقيدة والفرق والمذاهب (٨٤).

(٣) فتعرفوا.

(٤) في " ب " و " ج " : ما وراءها.

(٥) في " ج " : لا ينحصر.

(٦) وذلك لما اشتمل عليه من تهديد يفزع القلوب، لأن الله الذي يعلم السر والعلانية محاسب على ذلك.

٢١- ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ أي: هم أموات ﴿ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون، وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالغيب[٢] ومعنى " أموات غير أحياء " أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي : غير جائز عليهم[٣] الموت وأمرهم بالعكس من ذلك، والضمير في " يبعثون " للداعين، أي لا يشعرون متى تبعث عبدهم، وفيه : تهكم بالمشركين، وأن آلهتهم لايعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء[٤] منهم على عبادهم؟ وفيه دلالة على أنه لابد من البعث.

٢٢- ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي : ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله، وأن معبودكم واحد ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ للوحدانية ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ عنها وعن الإقرار بها.

---

(١) قرأ عاصم " يدعون " بالياء، والباقون بالتاء. انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ٣٧١، والكشف عن وجوه القراءات : ٢ / ٣٥، وعاصم : هو ابن أبي النجود، أبو بكر ابن بهدلة الحناط، إمام أهل الكوفة في الإقراء، أحد الأئمة السبعة، وعنه أخذ حفص وشعبة. توفي سنة ١٢٠ هـ وقيل سنة ١٢٧ هـ، وقيل : غير ذلك.

انظر غاية النهاية ١ / ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٢) في " ج " : بالبعث.

(٣) في " ب " عليه، وله وجه.

(٤) في " ج " جزاء أعمالهم.

٢٣- ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقا[١] ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي : سرهم وعلانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ عن التوحيد يعني : المشركين.

٢٤- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ "ماذا" منصوب بـ (أنزل) أي : أي شيء أنزل ربكم؟ أو : مرفوع بالابتداء[٢]، أي : أي شئ أنزله ربكم؟ و" أساطير" خبر مبتدأ محذوف[٣]، قيل[٤] : هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ـ ﷺ ـ [٥] إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ [٦] قالوا أساطير

---

(١) فسرها بعض النحويين بـ (لا بد) و (لا محالة)، وقالت فرقة : معناها : حق أن الله، ومذهب سيبويه أن " لا " نفي لما تقدم و " جرم " معناها : حق ووجب مع قوله بالملازمة بينهما. انظر المحرر الوجيز : ٣ / ٣٨٧.

(٢) في " ج " : على الابتداء.

(٣) وهذا هو الذي اختاره مكي، واقتصر عليه، ووجه ذلك بأن السؤال لما كان مرفوعا جرى مجرى الجواب على ذلك فرفع " أساطير الأولين " وجعله في الموضع الثاني في قوله تعالى : (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا..) منصوبا، لأن السؤال منصوب. انظر : المشكل : ٤١٨.

(٤) هذا القول ذكره السمرقندي في تفسيره بحر العلوم : ٢ / ٢٣٢، قال " وروى أسباط عن السعدي، قال : اجتمعت قريش فقالوا : إن محمدا رجل حلو اللسان ..... فمن جاءه يريده ردوه ... "

وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٤ / ١١٦ معزوا لابن أبي حاتم.

(٥) ليست في الأصل ولا في " ب ".

(٦) ليست في الأصل ولا في " ب ".

الأولين، أي : أحاديث الأولين وأباطيلهم، واحدها أسطورة، وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ[1] يخبروهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيرا.

٢٥- ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ أي : قالوا ذلك إضلالا للناس، فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم، وهو وزر الإضلال ؛ لأن المضل والضال شريكان واللام للتعليل ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ حال من المفعول، أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ محل "ما" رفع[2].

٢٦- ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ أي : من جهة القواعد وهي الأساطين، وهذا تمثيل، يعني: أنهم سووا منصوبات ليمكروا[3] بها رسل الله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات: كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين[4] فيأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا. والجمهور : على أن المراد به : نمروذ بن كنعان[5]

---

(١) ليست في الأصل ولا في " ب ".

(٢) على الفاعلية، كما هو مقرر في قواعد النحو، والمعنى : ساء الشئ وزرهم، كما تقول : بئس الشئ. انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣ / ١٩٥.

(٣) عدى الفعل بنفسه، وهو يتعدى بنفسه وبالباء، انظر القاموس [الحاشية] " مكر " : ٦١٤.

(٤) جمع اسطوانة : السارية " العمود الذي يكون في البيت ونحوه " راجع القاموس " سطن " : ١٥٥٥.

(٥) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح،ملك بابل، قيل : استمر ملكه أربعمائة عام، هو صاحب إبراهيم الذي حاجه في ربه، كما قال المفسرون وغيرهم، من علماء النسب والأخبار، انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١ / ١٣٩.

حين بنى الصرح ببابل[1] طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه، فهلكوا[2]، فأتى الله[3] أي : أمره بالاستئصال ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ[4] ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

٢٧- ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾ على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم، تشاقون نافع[5]، أي : تشاقوني[6] فيهم، لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي : الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم

وقيل المراد به : بخت نصر، كما عزاه ابن جرير في تفسيره : (١٤ / ٢٤٤) إلى مجاهد. وقال الرازي : " والأصح أن هذا عام في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالمحقين " مفاتيح الغيب : ٢٠ / ٢٠.

(١) مدينة كانت بالعراق قديمة، مشهورة الذكر، تسمى مدينة السحر لطول بنيانها وعظمه. انظر : معجم ما استعجم لعبد الله البكري : ١ / ٢١٨.

(٢) في " ج " : وماتوا وهلكوا.

(٣) في " ب " : فأتاه.

(٤) في " ب " : فأتهم. وهو خطأ.

(٥) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، كنيته : أبو رُويم، أحد القراء السبعة، كان إمام القراءة في وقته دون نزاع، أخذ عنه قالون وورش والأصمعي والليث بن سعد وغيرهم، توفي سنة ١٦٩ هـ وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في السبعة لابن مجاهد ٥٣ ـ ٦٤، وغاية النهاية لابن الجزري : ٢ / ٣٣٠ ـ ٣٣٤.

(٦) في " ج " : تشاقوني فيهم.

ويشاقون إليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم، أو : هم الملائكة[1] ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ ﴾ الفضيحة ﴿ وَٱلسُّوٓءَ ﴾ العذاب ﴿ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

٢٨- ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ وبالياء حمزة[2]، وكذا ما بعده[3] ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالكفر بالله ﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي :الصلح والاستسلام، أي : أخبتوا[4] وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق، وقالوا ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ﴾ وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعدوان، فرد عليهم أولوا العلم، وقالوا ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يجازيكم عليه، وهذا أيضا من الشماتة، وكذلك :

٢٩- ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جهنم.

٣٠- ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ الشرك ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾ وإنما نصب هذا ورفع "أساطير" ؛ لأن التقدير: هنا أنزل خيرا، فأطبقوا الجواب على السؤال، وثم[5] التقدير : هو أساطير الأولين، فعدلوا بالجواب ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟

---

(١) وقيل الحفظة منهم، قاله : مقاتل، وقيل : إنهم المؤمنون. انظر زاد المسير : ٤ / ٣٣٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) انظر : المبسوط : ٢٢٤، والتحبير : ١٣٣. والموضع الذي بعده (الذين تتوفاهم الملئكة طيبين ...).

(٤) في " ب " : أخبطوا.

(٥) أي : هناك في الموضع الأول : (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين).

﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : آمنوا وعملوا الصالحات، أو : قالوا لا إله إلا الله ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ بالرفع، أي : ثواب وأمن وغنيمة، وهو بدل من (خيرا)، حكاية لقول الذين اتقوا، أي : قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا، ثم حكاه[1] أو : هو كلام مستأنف عدة للقائلين، وجعل قولهم من جملة إحسانهم ﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ أي : لهم في الآخرة ما هو خير منها، كقوله : (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة)[2] ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره.

٣١- ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ خبر مبتدأ [3] محذوف، أو : هي المخصوص بالمدح ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ حال ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

٣٢- ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر، لأنه في مقابلة "ظالمي أنفسهم" ﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ قيل : إذا أشرف العبد المؤمن [4] جاءه ملك فيقول[5] : السلام عليك ياولي الله، الله يقرأ عليك

---

(١) وتقدير الكلام : قال الذين اتقوا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة. وهذا الإعراب للزمخشري كما في الكشاف : ٢ / ٥٧٩، وانظر : الدر المصون : ٧ / ٢١٥.

(٢) آل عمران : ١٤٨.

(٣) في " ج " : خبر لمبتدأ.

(٤) في " ج " : على الموت.

(٥) في المطبوعة : " فقال ".

السلام، وبشره [1] بالجنة[2]. ويقال لهم في الآخرة: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بعلمكم.

٣٣- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظر هؤلاء الكفار ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم. وبالياء: حمزة [3] وعلي[4] ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: العذاب المستأصل، والقيامة ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك ﴿ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ﴾ بتدميرهم ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير.

٣٤- ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ جزاء سيئات أعمالهم ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

٣٥- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ هذا الكلام[5] صدر منهم استهزاء، ولو قالوه اعتقادا

---

(١) في " ج " : ويبشره.

(٢) ذكره الطبري بمعناه عن محمد بن كعب القرظي، وابن عباس. وذكره هو وابن الجوزي عن البراء بن عازب. انظر : جامع البيان : ١٤ / ١٠١، وزاد المسير : ٤ / ٣٣٧. وذكره في الكشاف، غير معزو ٢ / ٥٧٩.

(٣) في " ج " : علي وحمزة.

(٤) وافقهما خلف العاشر : ينظر : غاية الاختصار : ٢ / ٤٩١. والاتحاف : ٢ / ١٨٤.

(٥) في " ج " : كلام.

لكان صوابا ﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ يعني : البحيرة والسائبة[1] ونحوهما ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي : كذبوا الرسل، وحرموا الحلال، وقالوا مثل قولهم استهزاء ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه.

٣٦ـ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بأن وحدوه ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الشيطان، يعني : طاعته ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ لاختيار[2] الهدى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ أي : لزمت لاختياره إياها ﴿ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ حيث أهلكهم الله وأجلى[3] ديارهم عنهم.

---

(١) هي الناقة كانوا في الجاهلية يبحرون أذنها، أي : يشقونها إذا نُتجت خمسة أبطن، ولا تركب ولا تذبح ولا تطرد عن ماء.
والسائبة : التي تسيب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لبنها ولا يحزون وبرها ولا يحملون عليها شيئا. وفي معنى السائبة والبحيرة أقوال أخرى. راجع زاد المسير لابن الجوزي : ٢ / ٢٦٤، ٢٦٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٦ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٢) في " ج " : (لاختيارهم). وكلا اللفظين صحيح ؛ لأن " من " يستعمل في المفرد والمثنى والجمع مذكرها ومؤنثها، قال في الخلاصة ـ بعد أن ذكر صيغ الموصول كلها :
ومن وما وأل تساوي ما ذكر..
انظر الألفية بشرح ابن الناظم : ٨٥.

(٣) في " ج ": وأخلى.

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ـــ [صلى الله عليه وسلم]ـــ [1] على إيمانهم، أعلمه أنهم من قسم من حقت عليه[2] الضلالة فقال :

٣٧- ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ بفتح الياء وكسر الدال كوفي[3]، الباقون بضم الياء وفتح الدال[4] والوجه فيه أن يضل مبتدأ و(لا يهدى) خبره[5] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم، ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من " ج ".

(٢) في المطبوعة : عليه.

(٣) المراد بالكوفي : قراء الكوفة، وهم من العشرة، عاصم وحمزة والكسائي، ورواتهم، وخلف العاشر واحد منهم. انظر المبسوط : ٤٦ و ٥٩ و ٦٨.

قال الشاطبي :

وبالكوفة الغراء منهم ثلاثة　　　أذاعوا فقد ضاعت شذا وقرنفلا

إلى أن يقول :

وأما علي فالكسائي نعته　　　لما كان في الإحرام فيه تسربلا.

حرز الأماني بشرح ابن القاصح : ١٥ ـــ ١٦.

(٤) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٤٠، والتحبير : ١٣٤.

(٥) هذا الوجه ذكره أبو البقاء العكبري، زاد وجها آخر وهو : أن " لا يهدي من يضل " بجملته خبر " إن " كقولك : إن زيدا لا يضرب أبوه، انظر : التبيان في إعراب القرآن.

وفي معنى وإعراب قراءة الكوفيين وجهان :

الأول : أن يكون المعنى : فإن الله لا يهدي من يضله، أي : لا يهدي الله من يضله كقوله تعالى (من يضلل الله فلا هادي له) [الأعراف : ١٨٦] والفاعل ضمير مستتر عائد على " لله " و " من " مفعول به لـ " يهدي ".

الثاني : أن يكون " يهدي " بمعنى يهتدي، والتقدير : إن الله لا يهتدي من يضله هو. انظر الموضح لابن أبي مريم : (٢ / ٧٣٥)، والدر المصون للسمين الحلبي : (٧ / ٢١٣)،

٣٨- ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ معطوف على ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾ هو إثبات لما بعد النفي، أي : بلى يبعثهم ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ وهو مصدر مؤكد لما دل عليه (بلى)، أي : يبعثهم ليبين لهم، والضمير لـ "من يموت "، وهو يشمل المؤمنين ﴿ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ هو الحق ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴾ في قولهم ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾

٤٠- ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي : فهو يكون، وبالنصب : شامي وعلي[1]، على جواب (كن)[2] (قولنا) مبتدأ، و(أن نقول) خبره، و(كن فيكون) من : كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له : احدث فهو يحدث بلا توقف، وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبين أن مرادا لا يمتنع عليه، وأن وجوده عند إرادته غير متوقف

وقد رجح ابن جرير قراءة غير الكوفيين لوضوح المعنى فيها ولأن مجئ " يهدي " بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب. انظر : جامع البيان : ٤ / ١٠٤.

(١) انظر : التلخيص في القراءات الثمان : ٢١٣، وغاية الاختصار : ٢ / ٤١٥.

(٢) وفيه وجه آخر، وهو أن يكون عطفا على : " أن يقول " والمعنى : أن يقول فيكون.
وأما قراءة الرفع فعلى الوجه الذي أشار إليه المصنف على معنى : ما أراد الله فهو يكون.
انظر حجة القراءات لابن زنجلة : ٣٩٠.
والوجه الذي ذكره المصنف استبعده أبو البقاء. انظر التبيان : (٢ / ٧٩٦) وقد طعن في قراءة النصب في المواضع الأخرى التي لا تحتمل وجه العطف كآية (١١٧) من سورة البقرة : انظر تفصيل ذلك ورفع الإشكال : توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا : للباحث ص ١١٧.

كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع المنتظر[1] ولا قول ثم ، والمعنى : أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات.

٤١- ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾ في حقه ولوجهه ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم من هاجر إلى المدينة ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً ﴾ صفة للمصدر، أي : تبوئة حسنة، أو : لنبوئنهم مباءة حسنة، وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم ﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ ﴾ الوقف لازم عليه لأن جواب ﴿ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ محذوف[2] والضمير : للكفار، أي: لو عملوا ذلك لرغبوا في الدين، أو للمهاجرين، أي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

٤٢- ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ أي : هم الذين صبروا، أو : أعني الذين صبروا وكلاهما مدح، أي : صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم[3] وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله ﴿

---

(١) في " ب " المنتظر الممتثل، وسقط من " ج " : المنتظر.

(٢) لأن جواب " لو " محذوف، أي : لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة، وحصول الأجر ليس مشروطا بعلمهم. انظر : علل الوقوف لابن طيفور السجاوندي : ٢ / ٦٣٨.

وجعله الأشموني من باب الوقف الجائز مع إقراره تفسير السجاوندي، انظر : منار الهدى في الوقف والابتداء لأحمد ابن محمد الأشموني : ٢١٤.

(٣) في " ج " : رءوسهم.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي : يفوضون الأمر إلى رهم ويرضون بما أصلهم في دين الله.

ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل :

٤٣- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾[١] على ألسنة الملائكة.

نوحي حفص[٢] ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي[٣] : أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا، وقيل للكتاب : الذكر، لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٤٤- ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي : بالمعجزات والكتب، والباء : تتعلق[٤] بـ "رجالا " صفة له، أي : رجالا ملتبسين[٥] بالبينات[٦]، أو : بـ "أرسلنا" مضمرا، كأنه قيل : بم أرسلوا ؟[٧] فقلت بالبينات[٨]، أو : بـ "يوحى" أي : يوحى إليهم

---

(١) أورده ابن جرير في تفسيره : ١٤ / ١٠٩ بإسناده إلى ابن عباس، وفي سنده بشر بن عمارة الخثيمي، قال ابن حجر : ضعيف، التقريب : ١٢٣، رقم الترجمة : ٦٩٧، وساقه الواحدي بلا إسناد في أسبات الترول : ٢٨٦.

(٢) انظر : السبعة : ٣٧٣، والكتر : ١٧٧.

(٣) سقط من " ج ".

(٤) في " ب " و" ج " يتعلق.

(٥) هكذا في جميع النسخ ولعل الصواب " متلبسين ".

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف : ٢ / ٥٨٤، قال في الدر المصون : ٧ / ٢٢٢" وهو وجه حسن " وقال في اللباب، ٢ / ٦٢ " لا محذور فيه ".

(٧) في " ج " : أرسل الرسل.

(٨) الذي يأتلف فيه الكلام وينسق واللفظ أن يكون المضمر : "أرسلوا" لوجهين : الأول، أن يكون السؤال المقدر : بم أرسلوا ؟ لا بم أرسلناهم.

بالبينات، أو : بـ "لا تعلمون"، وقوله " فاسألوا أهل الذكر" اعتراض على الوجوه المتقدمة [1] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ في الذكر مما أمروا به[2] ونهوا عنه، ووعدوا [3] وأوعدوا [4] ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في تنبيهاته، فيتنبهوا [5].

الثاني : أن في الآية هذا اللفظ بعينه، وهو " أرسلنا " فلو قيل بهذا لأمكن الاكتفاء به ولكان فيه غنية، وهو قول قد قال به الزمخشري كما في الكشاف : ٢ / ٥٨٤، ونقل عن الحوفي، كما في الدر : ٧ / ٢٢٢، وضعفه أبو البقاء، لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها. انظر : التبيان : ٢ / ٧٩٦، ومثل هذا يجوز عند الكسائي والأخفش. انظر : البحر المحيط : ٥ / ٤٧٩.

وجاء في الشعر :

نبئهم عذبوا بالنار جارهم

ولا يعذّب إلا اللهُ بالنار.

أورده أبو البقاء وأبو حيان في المصدرين السابقين.

(١) في " ج " زيادة : قوله.

(٢) لفظ (به) سقط من " ب ".

(٣) في " ج " : زيادة (به).

(٤) الوعد : يستعمل في الخير والشر، والإيعاد في الشر، قال عامر ابن الطفيل :

وإني وإن أوعدته أو وعدته

لمخلف إيعادي ومنجز موعدي.

راجع الصحاح للجوهري (وعد) ٢ / ٥٥١.

(٥) في " ج " : فينتبهوا.

٤٥- ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: المكرات السيئات[(١)] وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله ﷺ[(٢)] ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما فعل بمن تقدمهم ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي : بغتة.

٤٦- ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾ متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

٤٧- ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ متخوفين، وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا، فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله (من حيث لا يشعرون)

﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث يحلم[(٣)] عنكم ولايعاجلكم مع استحقاقكم، والمعنى : أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم.

---

(١) حذف الموصوف مع بقاء صفته، وهو كثير في القرآن، كقوله تعالى : (أن اعمل سابغات) [سبأ : ١١] أي دروعا سابغات، انظر :شرح التصريح : ٢ / ١١٩، ط الأزهر، البابي الحلبي، وهمع الهوامع : ٥ / ١٨٩. وفي ذلك قال ابن مالك في " الخلاصة " :

وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفي النعت يقل.

الألفية بشرح ابن الناظم : ٤٩٨، والبهجة المرضية على الألفية للسيوطي : ٢٥٧.

(٢) ليس في الأصل و " ب ".

(٣) من باب كرم، وأما فعل النوم فعلى زنة (نصر) وأما (حلم) بكسر اللام فهو في الجلد إذا وقع فيه الحلم. وفي نحو هذا يقول الناظم :

حَلَم في النوم أتى كنصرا وضمه في العقل حكم قد جرى

وفي الأديم جاء مثل فَرِحا لفاسد الدبغ.فكن مصححا.

٤٨ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾[١] وبالتاء: حمزة وعلي وأبو بكر[٢] ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ ما موصولة بـ " خلق الله "، وهو مبهم، بيانه ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ﴾ أي: يرجع عن موضع إلى موضع. وبالتاء: بصري[٣] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: الأيمان ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال.

عن مجاهد[٤]: إذا زالت الشمس سجد كل شيء[٥] ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون، وهو حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع[٦]، وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو والنون: لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو:

---

(١) في " ب " (ألم) وهو خطأ.

(٢) انظر: السبعة: ٣٧٣ وغاية الاختصار: ٢ / ٤٥٠، والنشر: ٢ / ٣٠٤، ولم يذكر أحد منهم أبا بكر، بل قراءته كقراءة حفص ومن وافقه بالياء.

(٣) المراد بالبصري: قراء البصرة من العشرة، وهم أبو عمرو أحد السبعة، ويعقوب أحد الثلاثة المتممين للعشرة، وتقدمت ترجمة كل واحد منهما. انظر: غاية الاختصار: ٢ / ٥٤١، والنشر: ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، من كبار مفسري التابعين، أخذ التفسير على ابن عباس، يقال: مات وهو ساجد عام ١٠٤ هـ. الأعلام: ٥/٢٧٨.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره: ١٤ / ١١٥، وبمعناه عن الضحاك أيضا.

(٦) المصنف تابع الزمخشري ـ هنا على عادته ـ واعترض عليه بأن الحال لا يجوز مجيئه من المضاف إليه لدى أكثر النحاة. قال أبو حيان: " ومن ذهب إلى أنه إذا كان المضاف جزءا أو كالجزء جاز، وقد يخبر هنا ويقول الظلال وإن لم تكن جزءا من الأجرام فهي كالجزء لأن وجودها ناشئ عن وجودها ". البحر المحيط ٥ / ٤٨٢.
وانظر: الدر المصون: ١ / ٢٣٢، وجعله أبو البقاء حالا من الضمير في " سجدا " ثم قال: " ويجوز أن يكون حالا ثانية معطوفة " انظر التبيان: ٢ / ٧٩٧، يعني أن يكون حالا معطوفا على " سجدا " وهي حال من الظلال.

لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب، والمعنى : أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقـادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة.

٤٩- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ "مـن" بيان لما في السماوت وما في الأرض جميعا على أن في السماوات خلقا يدبون فيـها كما تدب الأناسي في الأرض، أو : بيان لمـا في الأرض وحـده، والمـراد بمـا في السماوات ملائكتهن، وبقوله :

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم، قيل : المراد بسجود المكلفـين : طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم : انقيـاده[1] لإرادة الله، ومعـنى الانقيـاد يجمعهما، فلم يختلفا، فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما اذ هـو صـالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بـ "مـن" لتنـاول العقـلاء خاصـة ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٥٠- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ هو حال من الضمير في " لايسـتكبرون " أي : لا يستكبرون خائفين ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أن علقته بـ " يخافون " فمعناه : يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وأن علقته بـ "ربهم " حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا[2] لهم ظاهرا[3]، كقوله : " وهو القاهر فـوق عبـاده"[4] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا

---

(١) في " ج " : انقيادهم.

(٢) في " ج " : غالبا.

(٣) في " ب " و " ج " : قاهرا.

(٤) الأنعام : ٦٢.

يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي، وأنهم بين الخوف والرجاء [1].

٥١- ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا : عندي رجال ثلاثة، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص، فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال : رجل واحد ورجلان اثنان، قلت الإسم الحامل لمعنى الإفراد أوالتثنية[2] دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه، والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت : إنما هو إله و لم تؤكده بواحد لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية ﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم، وهو من طريقة الالتفات[3]، وهو أبلغ في الترهيب[4] من قوله فإياه فارهبوه [5]. فارهبوني : يعقوب [6].

٥٢- ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾ أي : الطاعة ﴿ وَاصِبًا ۚ ﴾ واجبا ثابتا لأن كل نعمة منه، فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، وهو

---

(١) تكليف الملائكة.

(٢) في " ب " و " ج " والتثنية.

(٣) الالتفات في علم المعاني هو : التعبير عن معنى بطريق من التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بآخر منها، كالالتفات في قوله تعالى : (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) [يس : ٢٢] فيه التفات من التكلم إلى الخطاب. راجع الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ١٥٨.

(٤) في " ج " : الترغيب، وهو بعيد.

(٥) في " ج " : فإياي فارهبون.

(٦) بإثبات الياء في الوقف والوصل. انظر : الكنز : ١٨٤.

حال عمل فيه الظرف، أو : وله الجزاء دائمـا يعني : الثـواب والعقـاب ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾.

٥٣- ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾ وأي : شيء اتصل بكم من نعمة، عافية، وغـنى، وخصب ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ فـهو مـن الله ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ المـرض، والفقر، والجدب ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ فما تتضرعون إلا إليه، والجؤار : رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

٥٤- ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ الخطاب في ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾ إن كان عاما فالمراد بـالفريق الكفـرة، وإن كان الخطاب للمشركين فقوله : "منكم " للبيان، لا للتعبيض، كأنه قال : فإذا فريـق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله " فلما نجاهم إلى البر فمنـهم مقتصد "[1].

٥٥- ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كـأنهم جعلـوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، ثم أوعدهم فقال ﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ هو عدول إلى الخطاب [2] على التهديد.

٥٦- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أي : لآلهتـهم، ومعنى لا يعلموها[3] أنهم يسموها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عنـد

---

(١) لقمان : (٣٢).

(٢) يريد أنه عدل من الغيبة إلى الخطاب، وهو من الالتفات الذي سبق تعريفه قبل قليل.

(٣) في " ج " لا يعلمون.

الله، وليس كذلك لأنها جماد لا تنفع ولا تضر[١]، أو : الضمير في ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ للآلهة أي : لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر، أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا، وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ وعيد ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ أنها[٢] آلهة، وأنها أهل للتقرب إليها.

٥٧- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ كانت خزاعة وكنانة تقول : الملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه، أو تعجب من قولهم ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يعني : البنين، ويجوز في "ما" الرفع على الابتداء و"لهم" الخبر، والنصب على العطف على " البنات " [٣]، و" سبحانه" : اعتراض[٤] بين المعطوف والمعطوف عليه، أي : وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.

٥٨- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ أي : صار، فظل وأمسى وأصبح، و"بات " تستعمل بمعنى الصيرورة[٥] لأن أكثر الوضع يتفق بالليل

---

(١) في " ج " : لا تضر ولا تنفع.

(٢) في " ج " : من أنها.

(٣) ذكر الفراء الوجهين واختار الرفع , انظر معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ٢ / ١٠٥، وقال أبو البقاء العكبري : " وضعف قوم هذا الوجه (وجه النصب) وقالوا : لو كان كذلك لقال : ولأنفسهم، وفيه نظر " وكان قد ذكر النصب عطفا على (نصيبا) في الآية التي قبلها (ويجعلون لله نصيبا). انظر : التبيان ٢ / ٧٩٨ ـــ ٧٩٩.

(٤) الاعتراض في باب المعاني نوع من الإطناب، وهو " أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين بجملة لا محل لها من الإعراب لنكته. ... كالتنزيه " في الآية المذكورة، أو الدعاء، أو التنبيه.

الإيضاح : ٣١٤.

(٥) انظر : الكشاف : ٢ / ٥٨٨.

فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبه والحياء من الناس ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوء حنقا[1] على المرأة.

٥٩- ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ يستخفي منهم من أجل سوء المبشر به، ومن أجل تعييره[2]، ويحدث نفسه وينظر ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أيمسك ما بشر به على هوان[3] وذل ﴿ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ أم يئده[4] ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله، ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف.

٦٠- ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾ صفة السوء، وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث،ووأدهن خشية الإملاق، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهو الغني عن العالمين، والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب في تنفيذ ما أراد ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في إمهال العباد.

٦١- ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ على الأرض[5] ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ قط، ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين.

---

(١) الحنق : الغيظ، أو شدته، فعله كفرح. القاموس (حنق) ١١٣٢.

(٢) في " ب " و " ج " : تعبيرهم.

(٣) في " ج " : هول.

(٤) يدفنه حيا، ماضيه (وأد). انظر : القاموس : ٤١٣.

(٥) لم يجر للأرض ذكر حتى يعود الضمير عليها. لكن فحوى الكلام يفهم ذلك، فقوله بعدها : " من دابة " يوضح هذا ؛ لأن الدبيب من الإنسان يكون على الأرض. وانظر معاني النحاس : ٤ / ٧٧، والبحر المحيط : ٥ / ٤٩٠.

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه [١] ــ: إن الحبارى[٢] لتموت في وكرها[٣] بظلم الظالم. وعن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ : كاد الجعل[٤] يهلك في جحره بذنب ابن آدم[٥]، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ من مشرك يدب عليها[٦] *[٧] ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي : أجل كل أحد، أو : وقت يقتضيه[٨] الحكمة، أو : القيامة ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

٦٢- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم، ويجعلون له أرذل أموالهم، ولأصنامهم أكرمها ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ مع ذلك، أي : ويقولون الكذب ﴿

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) طائر، لفظه يطلق على الذكر والأنثى والواحد والجمع، وألفه للتأنيث، القاموس (حبر) ٤٧٣.

(٣) عشها، جمعه : أوكر وأوكار، ووكور، ووكر، القاموس (وكر) ٦٣٥.

(٤) دويبة، يجمع على جعلان بالكسر. القاموس (جعل) ١٢٦٣.
أخرجه الطبري في تفسيره : ١٤ / ١٢٦، وفي إسناده : محمد بن جابر التمامي وهو متروك، راجع الكافي الشافي : ٢ / ٥٨٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره : ١٤ / ١٢٦، وعزاه ابن حجر لابن أبي شيبة، والحاكم والطبراني من طريق أبي الأحوص : الشافي الكافي : ٢ / ٥٨٩.

(٦) لم أجد هنا ذكر هذا القول عن ابن عباس ولا عن غيره.

(٧) لفظ " عليها " سقط من " ج ".

(٨) في " ب " و " ج " : تقتضيه.

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، وهي الجنة إن كان البعث حقا، كقوله[1] : " ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى "[2] و" أن لهم الحسنى " بدل من "الكذب" ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ "مفرطون" نافع، "مفرطون" أبو جعفر[3]، المفتوح[4] بمعنى مقدمون على النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته، أو : منسيون متركون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته[5]، والمكسور المخفف من الإفراط[6] في المعاصي، والمشدد من التفريط في الطاعات، أي : التقصير فيها.[7]

---

(١) في " ج " : كقوله.

(٢) فصلت : (٥٠).

(٣) قراءة نافع بكسر الراء مخففة، وقراءة أبي جعفر بكسرها مشددة، وقراءة باقي العشرة بفتح الراء مخففة. انظر: المبسوط : ٢٢٥، والكتر : ١٨٣.

(٤) في " ب " و" ج " : فالمفتوح.

(٥) انظر : الكشف : ٢ / ٣٨، والموضح : ٢ / ٧٣٩، والإبراز : ٣ / ٣١٢، والقول بأنهم معجلون هو المعنى القريب الذي يدل عليه أصل المادة (فرط) وهي في جميع القرآن راجعة إلى هذا الأصل كما يدل عليه كلام الراغب في المفردات : ٣٧٦ ــ ٣٧٧. والمتأمل في جميع استعمالات الكلمة في اللغة العربية يجدها راجعة إلى هذا المعنى بلا تكلف ولا تعسف، ولا أدري لأي معنى جعل ابن فارس هذا المادة تئول إلى : إزالة شئ عن مكانه وتنحيه عنه. راجع مقاييس اللغة : ٤ / ٤٩٠ (فرط)، وقد ذكر أبو عبيدة المعنى الثاني في مجاز القرآن. انظره في : ١ : ٣٦١، وقال مكي بعد أن ذكر المعنيين : " والاختيار ما عليه الجماعة، وكذلك كل ما سكتنا عن ذكر الاختيار فما عليه الجماعة هو الاختيار " الكشف : ٢ / ٣٨.

(٦) ينظر : الموضح : ٢ / ٧٣٨ ــ ٧٣٩. وإبراز المعاني لأبي شامة : ٣ / ٣١١ ــ ٣١٢، والإفراط : مجاوزة الحد.

(٧) انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٣، والدر المصون : ٧ / ٢٤٨ ــ ٢٤٩، وتاج العروس : ٥ / ١٩٧ (فرط).

٦٣- ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ أي : أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من[1] الأمم ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ من الكفر والتكذيب بالرسل ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ أي : قرينهم في الدنيا تولى إضلالهم بالغرور، أو الضمير لمشركي قريش، أي : فهو ولي أمثالهم اليوم[2] ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ في القيامة.

٦٤- ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ للناس ﴿ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ هو البعث، لأنه كان فيهم من يؤمن به ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب[3] ودخل[1] اللام على التبيين[2] لأنه فعل المخاطب لا فعل المترل ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ .

---

(١) في " ب " : إلى.

(٢) هذا الوجه جوزه الزمخشري في الكشاف ٢ / ٥٩٢، واستبعده أبو حيان لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو إليه وإلى حذف مضاف. انظر البحر المحيط : ٥ / ٤٩١، ولعل الذي حمل الزمخشري على ذلك الظرف الحالي " اليوم " وكان قد فسره الزمخشري بأنه حكاية الحال الماضية أو حكاية الحالة الآتية، وانظر : الدر المصون : ٧ / ٢٤٩.

(٣) هذا كلام الزمخشري بنصه، الكشاف ٢ / ٥٩٠، وتعقبه أبو حيان ـــ جريا على عادته ـــ فقال : " وقول الزمخشري : معطوف على محل " لتبين " ليس بصحيح لأن محله ليس نصبا ... ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل. البحر : ٥ / ٤٩١، وتعقب السمين الحلبي شيخه أبا حيان ـــ على غير عادته ـــ فمنع من هذا المنع؛لأن محل الجار والمجرور النصب لأنه فضلة وحكى فيه عدم الخلاف، هذا على التسليم بأن الزمخشري أراد أنهما منصوبان لأجل العطف على المحل إنما جعلهما منصوبين بأنزل الكتاب وهو مسلط على " لتبين " و " وهدى ورحمة ". انظر الدر المصون : ٧ / ٢٥٠.

٦٥- ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع إنصاف وتدبر، لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع.

٦٦- ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ وبفتح النون : نافع وشامي وأبو بكر[٣] قال الزجاج : سقيته وأسقيته بمعنى واحد[٤] ذكر سيبويه[٥] الأنعام في الأسماء المفردة الواردة على " أفعال"[٦] ولذا رجع[٧] الضمير إليه مفردا، وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه جمع[٨] وهو استئناف، كأنه قيل : كيف العبرة ؟ فقال[٩] : نسقيكم مما في بطونه ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ أي : يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله، قيل : إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته، فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في

---

(١) في " ب " : فدخل، وفي " ج " : ودخلت.

(٢) في " ب " و " ج " : لتبين.

(٣) انظر : التلخيص : ٣٠٦، وغاية الاختصار : ٢ / ٥٤١، والنشر : ٢ / ٣٠٤.

(٤) ذكر ذلك في معاني القرآن : ٣ / ٢٠٨، وانظر : الأفعال لابن القطاع : ٢ / ١٦٥.

(٥) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، إمام النحاة، وأول من بسط النحو، توفي سنة ١٨٠ هـ الأعلام ٥ / ٨١.

(٦) الكتاب : ٣ / ٢٣٠.

(٧) رجع : يستعمل لازما ومتعديا، واستعمله المصنف ـ هنا ـ متعديا ومنه في القرآن : (ثم ارجع البصر كرتين) وقوله تعالى : (فلا ترجعوهن إلى الكفار).

(٨) في " ب " و " ج " : الجمع.

(٩) في الأصل : وقال :، والصواب ما أثبته.

العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش، ثم ينحدر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

وسئل شقيق[1] عن الإخلاص فقال: تمييز العمل عن العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم ﴿ سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يغص أحد باللبن قط، و" من " الأولى: للتبعيض، لأن اللبن بعض ما في بطونها، والثانية: لابتداء الغاية.

٦٧- ويتعلق ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي: من عصيرها[2] وحذف لدلالة " نسقيكم " قبله[3] عليه، وقوله: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ بيان وكشف عن كنه الإسقاء، أو: تتخذون و" منه " من تكرير الظرف للتوكيد، والضمير في منه يرجع إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، والسكر: الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا، وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا[4] ثم فيه وجهان: أحدهما: أن

---

(١) شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي، أبو علي، زاهد، يقال: هو أول من تكلم في علوم الأحوال (التصوف) بخراسان كان من كبار المجاهدين، مات غازيا عام ١٩٤ هـ رحمه الله. الأعلام: ٣ / ١٧١.

(٢) في " ج ": عصيرهما.

(٣) في " أ ": قبل.

(٤) وقيل: هو من أسماء الخمر، وليس بمنقول، وقيل: اسم للخل، بلغة الحبشة، حكي عن ابن عباس.

وقيل: اسم للعصير مادام حلوا، سمي به لأنه لو ترك لاستحال خمرا. انظر: القرطبي: ١٠ ١٢٨، والدر المصون: ٧ / ٢٦٠ ـــ ٢٦١.

وليس بين هذا المعاني تعارض، بل يمكن حمل المراد عليها كلها، فإن الخل يستحيل إليه الخمر، وهو قبل أن يصير خمرا شراب حلو ولا فرق بين كون الاسم منقولا أو مرتجلا في المعنى؛ إذ لا أثر فيه يذكر. الله أعلم.

تكون[1] الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة، وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة، وقيل : السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد. وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف ـ رضي الله عنهما[2] ـ إلى حد السكر، ويحتجان بهذه الآية وبقوله ـ عليه السلام ـ : (الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب)[3] وأخبار[4] جمة ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ هو الخل والرب[5] والتمر والزبيب وغير ذلك ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

٦٨- ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وألهم ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ هي أن المفسرة، لأن الإيحاء فيه معنى القول، قال الزجاج : واحد النحل

---

(١) في " ج " : أن الآية.

(٢) في " ج " : رحمهما الله.

(٣) أخرجه النسائي عن ابن عباس موقوفا عليه (٨ / ٣٢١) كتاب الأشربة، باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أراد شرب السكر، برقم : ٥٦٨٤، وهو بلفظ " حرمت الخمر قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب " وأخرجه العقيلي في الضعفاء : ٤ / ١٢٣ ـ ١٢٤ بلفظ " حرمت الخمر بعينها والسكر من كل شراب " في ترجمة محمد بن الفرات، من طريقه، وهو منكر الحديث، كما في ضعفاء العقيلي عن البخاري، رقم الترجمة : ١٦١٨، وصوب الزيلعي وقفه. انظر : نصب الراية : ٤ / ٣٠٧. والطبراني في الكبير : ١٠ / ٣٣٩، موقوفا عليه.

قال ابن حجر : " وفيه محمد بن الفرات الكوفي، وهو منكر الحديث " الكافي الشافي : ٢ / ٥٩٣.

(٤) في " ب " و " ج " : وبأخبار.

(٥) الرب : ما يطبخ من التمر وقيل هو الخاثر من كل ثمرة بعد اعتصارها، تاج العروس : ١ / ٢٦٥ (ريب).

نحلة كنخل ونخلة[1] والتأنيث باعتبار هذا، ومن في "من الجبال" ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾ يرفعون من سقوف البيت، أو : ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي يتعسل فيها للتبعيض ؛ لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش، والضمير في "يعرشون" للناس. وبضم الراء : شامي وأبو بكر [2].

٦٩- ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أي : ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها[3] فإذا أكلتها ﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو : إذا أكلت الثمار المواضع[4] من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ﴿ ذُلُلٗاۚ ﴾ جمع ذلول، وهي حال من السبل [5]؛ لأن الله تعالى ذللها وسهلها، أومن الضمير في "فاسلكي"، أي : وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ ﴾ يريد : العسل ؛ لأنه مما يشرب تلقيه من فيها ﴿ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾ منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب[6]، أو على ألوان تغذيتها ﴿ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ ﴾ لأنه

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢١٠.

(٢) انظر : التلخيص : ٢٦٨، والكنز : ١٦١. والإتحاف : ٢ / ٦١.

(٣) في " ج " : تشتهينها.والمثبت له وجه.

(٤) في " ب " و " ج " : في المواضع.

(٥) وقيل : حال من النحل، والمعنى : أوحى إليها حال كونها مطيعة منقادة لما يسرت له. انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠٦. وهو قريب من الوجه الذي بعده.

(٦) ذكر أن الأبيض تلقيه شباب النحل، والكهول الأصفر، والشيب الأحمر. انظر البحر المحيط : ٥ / ٤٩٧، والمصنف لف ذلك ونشره على طريقة الترتيب.

من جملة الأدوية النافعة، وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض[1] أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك[2]، وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه[3]، أو لأن فيه بعض الشفاء، لأن النكرة في الإثبات تخص، وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام : "اسقه عسلا" فجاء[4] وقال[5] : زاده شرا، فقال عليه السلام : " صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا " فسقاه فصح [6].

---

(١) في الأصل : غرض، والصواب ما أثبته.

(٢) لا يكاد أهل الطب والعارفون بمنافع الأغذية يختلفون في عظم منافعه وكثرتها، وأنه غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة، ويكادون يتفقون على أنه لا يشفي من كل داء بل ربما كان مضرا بالعرض لمن احتدمت عليه الصفراء بسبب حرارته ويبسه، ولم يقل الله : فيه شفاء لكل داء، وقد فصل العلامة ابن القيم فيه تفصيلا يوجب الرجوع إليه، انظر : زاد المعاد : ٤ / ٣ ــ ٣٦، ولإسحاق بن سليمان في كتاب الأغذية والأدوية ص ٣١١ ــ ٣١٣ كلام حسن، ولابن حزم جواب شاف على اعتراض ابن النغريلة على هذه الآية لما قال : كيف يكون في العسل شفاء، وهو يؤذي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة ؟، انظره في رسائل ابن حزم ص ٦٢ (الرد على ابن النغريلة).

(٣) ينكر المسند إليه لأغراض، منها : التعظيم، كقوله تعالى : (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي : عظيمة، وقد يجتمع التكثير مع التعظيم كقوله تعالى : (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل) أي : ذوو عدد كثير وآيات عظام. انظر :تلخيص المفتاح : (٣٢٠) ويمكن إدراج الآية في هذا المعنى الذي جمع الكثرة والعظم، أي : فيه شفاء كثير وعظيم.

(٤) في" ج " : فجاءه.

(٥) في " ب " : فقال.

(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، كتاب الطب، باب دواء المبطون، ٧ / ٢٤. رقم الحديث ٥٧١٦، ومسلم ٤ / ١٧٣٦ أيضا، رقم الحديث : ٩١.
والحاكم في المستدرك : ٤ / ٤٠٢، استدركه سهوا وهو برمته في الصحيحين، والترمذي ٤ / ٣٥٧ برقم ٢٠٨٢، كتاب الطب، باب التداوي بالعسل. كلهم عن أبي سعيد.
وانظر الكافي الشاف ٢ / ٥٩٥..

وعن ابن مسعود[١] ــ رضي الله عنه ــ : " العسل شفاء من كل داء، والقــرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل " [٢].

ومن بدع الرافضة[٣] أن المراد بالنحل : علي وقومه. وعن بعضهم أنه[٤] قال عنــد المهدي : إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجــل : جعــل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحدث به المنصور فـاتخذوه أضحوكة[٥] مــن أضاحيكــهم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في عجيب أمرها فيعلم[٦] أن الله أودعها[٧] علما بذلك وفطنها كمـا أعطـى[٨] أولي العقول عقولهم.

٧٠- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ بقبض أرواحكــم مــن أبدانكــم ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة، أو : ثمانون، أو : تسعون[٩] ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ لينسى مــا

ومسلم في السلام (٢٢١٧) باب التداوي بالعسل.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢) والحاكم (٤ / ٢٠٠)

(٣) في " ب " و " ج " : الروافض.

(٤) في " ج " : أن رجلا.

(٥) الأضحوكة : بضم الهمزة والحاء : ما يضحك منه. مختار : ٤٠١.

(٦) في " ج " : فيعلمون.

(٧) في الأصل : أدعها، وهو خطأ.

(٨) في " ج " أعطي، وفي " ب " اللفظتان.

(٩) قال بعض العلماء : عمر الإنسان له أربع مراتب، سن الطفولة، والنمو وهو إلى ثلاثــين سنة، وهو غاية سنة الشباب

يعلم، أو : لئلا يعلم زيادة علم على علمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بحكم التحويل إلى الأرذل من الأكمل، (١) والإفناء من الإحياء ﴿قَدِيرٌ﴾ على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء.

٧١- ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ أي : جعلكم متفاوتين في الرزق، فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ في الرزق، يعني : الملاك ﴿بِرَآدِّي﴾ بمعطي ﴿رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ وكان(٢) ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب، لأنه جواب النفي بالفاء، وتقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق، وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن

والمرتبة الثانية : سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين إلى أربعين وهو غاية القوة وكمال العقل، والثالثة : الكهولة وهي إلى الستين. وهذه المرتبة يشرع الإنسان فيها في النقص، لكنه يكون نقصا خفيا، والرابعة : سن الشيخوخة والانحطاط وهو من الستين إلى آخر العمر. والقول بأن أرذل العمر خمس وسبعون منسوب إلى علي، والقول بأنه تسعون منسوب إلى قتادة. انظر : السراج المنير للخطيب الشربيني : ٢ / ٢٤٦.

(١) في " ب "، و" ج " : أو إلى.

(٢) في " ج " : فكان.

تجعلوا عبيدي لي شركاء ؟ ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ وبالتاء : أبو بكر[1]. فجعل ذلك من[2] جملة جحود النعمة.

٧٢- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي : من جنسكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة والخدمة، ومنه قول القانت : وإليك نسعى ونحفد[3]. واختلف فيه، فقيل هم الأختان[4] على البنات، وقيل : أولاد الأولاد، أو: المعنى[5] وجعل لكم حفدة، أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ أي : بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ هو ما يعتقدون[6] من منفعة الأصنام وشفاعتها ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: الإسلام ﴿ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ أو : الباطل : الشيطان والنعمة : محمد ـ عليه

---

(١) انظر : الإقناع لابن الباذش : ٢ / ٦٨٣، والموضح : ٢ / ٧٤٠، والنشر : ٢ / ٣٠٤.

(٢) في " ج " : في.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن : ٢ / ٢١٠ عن خالد ابن أبي عمران، مرسلا , وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٤٩/١عن عبيد بن عمير عن عمر موقوفا. .

(٤) في الأصل : الأختيان.والأختان : جمع : ختن، بفتح التاء : الصهر، أو كل من كان من قبل المرأة، كالأب والأخ، والمرأة : ختنة. القاموس : ٥٤٠، (ختن) والأصل في معنى الحافد: المتحرك المتبرع بالخدمة من الأقارب كان أو من الأجانب. مفردات الراغب : ١٢٣.

(٥) في " ج " : والمعنى.

(٦) في " ج " : يعتقدونه.

السلام[1] ــ أو : الباطل : ما يسول لهم الشيطان، من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما، ونعمة الله : ما أحل لهم.

٧٣- ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا ﴾ أي : الصنم، وجماد[2] لا يملك أن يرزق شيئا، فالرزق : يكون بمعنى المصدر، وبمعنى ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أي : لا يملك أن يرزق شيئا، وإن أردت المرزوق كان "شيئا" بدلا منه، أي : قليلا، و" من السموات والأرض " صلة للرزق إن كان مصدرا، أي : لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا، وصفة إن كان اسما لـ "ما" يرزق، والضمير في ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ، والمعنى : لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم [3].

٧٤- ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ فلا تجعلوا لله مثلا، فإنه لا مثل له، أي : فلا تجعلوا له شركاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أنه لا مثل له من الخلق ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، أو: إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك، والوجه الأول، ثم ضرب المثل فقال :

٧٥- ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا ﴾ هو بدل من "مثلا" ﴿ مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ مصدران في موضع الحال، أي : مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين

---

(١) في " ج " : صلى الله عليه وسلم.

(٢) في " ج " : وهو جماد.

(٣) في " ج " : منهم.

عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف[1] شاء، وقيد بالمملوك ليميز[2] من الحر، لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا، إذ هما من عباد الله، وبـ "لا يقدر " على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف، و"من " موصوفة أي : وحرا رزقناه، ليطابق عبدا، أو : موصولة ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ جمع الضمير ؛ لإرادة الجمع، أي : لا يستوي القبيلان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن[3] الحمد والعبادة لله، ثم زاد في البيان فقال :

٧٦- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي : ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة، أو : كفاية مهم لم ينفع و لم يأت بنجح ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة، فهو يأمر الناس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته[4] وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع.

---

(١) في " ج " : ما.

(٢) في " ج " : ليميزه.

(٣) في " ج " : بأن.

(٤) في " ب " وفي "   " : ونعمه.

٧٧- ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي : يختص[١] به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه، أو : أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب من[٢] أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ في قرب كونها وسرعة قيامها ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿ أَوْ هُوَ ﴾ أي الأمر ﴿ أَقْرَبُ ۚ ﴾ وليس هذا لشك ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل : بل هو أقرب[٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات، ثم دل على قدرته بما بعده فقال :

٧٨- ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ وبكسر الألف وفتح الميم علي اتباعا لكسرة النون، وبكسرهما حمزة[٤] والهاء : مزيدة في أمات[٥] للتوكيد، كما زيدت في أراق فقيل أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة[٦] ﴿ لَا تَعْلَمُونَ

---

(١) فهم الاختصاص من تقديم الجار والمجرور.

(٢) في " ج " : عن.

(٣) كقوله تعالى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات :١٤٧].
على أحد الأقوال. انظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٩٣.
والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي : ٣ / ٥٣٣.

(٤) انظر : الموضح : ٢ / ٧٤١، والإرشاد : ٤٠٤. والنشر : ٢ / ٣٠٤.

(٥) في " ج " : أمهات.

(٦) يحتمل أن يكون الزائد الهمزة : لأن أصل الفعل : هراق، فدخلت عليه الهمزة فصار : أهراق، وصنيع صاحب القاموس يقضي بأن الهاء أصلية، أو هي مبدلة من أراق، ومعنى أراق : صب، يقال : هراق الماء يهريقه هراقة، وأهرقه يهرقه إهراقا.

﴿ شَيْـًٔا ﴾ حال، أي : غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكـم في البطـون ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه، واجتلاب العلـم والعمل به، من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه، والأفئدة في فـؤاد كالأغربـة في غراب[1]، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرهـا [2].

٧٩- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ وبالتاء وحمزة بدون واو وشـامي[3]*[4] ﴿ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسبـاب المواطيـة[5] لذلك ﴿ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ هو الهواء المتباعد من الأرض في سـمت العلوّ ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في قبضهن وبسطهنّ ووقوفهن ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ بقدرته، وفيـه :

انظر : القاموس (هرق) / ١٢٠٠. والمراد بقوله : وشذت زيادها في الواحـدة، أي : في المفرد، واستشهد له الزمخشري بقول الشاعر:

* أمهتي خندف وإلياس أبي *

انظر : الكشاف : (٢ / ٥٩٩ ــ ٦٠٠).

(١) يريد : أنه مثله في وزن الجمع لا في أن غرابا لا يجمع إلا على أغربة.

(٤) انظر : الموضح ٢ / ٧٤٢، وإرشاد المبتدئ : ٤٠٤.

(٣) في " ب " و " ج " : شامي وحمزة.

(٢) جموع القلة محصورة في أربعة أوزان، جمعها بيت ابن مـالك : أفعلـة أفعـل ثم فعلـه ثمت أفعال جموع قلة.

وما ذكره المصنف أشار إليه ابن مالك بقوله :

وبعض ذي بكثرة وضعًا يفي   كأرجل، والعكس جاء كالصفي.

انظر الألفية بشرح ابن عقيل : ٢ / ٥٣٧ ــ ٥٣٨.

(٥) في " ج " : المواتية.

نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأن الخلق لا غنى به عن الخالق.

٨٠- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ هو فعل بمعنى مفعول، أي[1] : يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾ هي قباب الأدم[2] ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ تروها خفيفة المحمل في الضرب والنقص والنقل ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ بسكون العين : كوفي وشامي، وبفتح العين غيرهم[3]. والظّعن بفتح العين وسكونها الارتحال ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ قراركم في منازلكم، والمعنى : أنها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر، على أن اليوم بمعنى الوقت ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ﴾ أي : أصواف الضأن ﴿ وَأَوْبَارِهَا ﴾ وأوبار الإبل ﴿ وَأَشْعَارِهَآ ﴾ وأشعار المعز[4] ﴿ أَثَٰثًا ﴾ متاع البيت ﴿ وَمَتَٰعًا ﴾ وشيئا ينتفع به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ مدة من الزمان.

٨١- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾ كالأشجار والسقوف ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ جمع كنّ، وهو ما سترك من كهف وغار[5] *(1)

---

(١) في " ج " زيادة : ما.

(٢) اسم جمع للأديم، وهو الجلد مطلقا، أو الأحمر، المدبوغ منه. القاموس (أدم) ١٣٨٨.

(٣) انظر : الموضح : ٢ / ٧٤٣، والنشر : ٢ / ٣٠٤.

(٤) قال ابن عادل : " وذكر الأصواف والأوبار، ولم يذكر القطن والكتّان ؛ لأنهما لم يكونا ببلاد العرب. اللباب : ١٢ / ١٣٤.

(٥) في " ج " : أو غار.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ﴾ هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ وهي تقي البرد أيضا إلا أنه اكتفى بأحد الضدين ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم، والبأس : شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ أي : تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له.

٨٢- ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾[٢] أعرضوا عن الإسلام ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي : فلا تبعة عليك في ذلك، لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت.

٨٣- ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ التي أعددناها بأقوالهم، فإنهم يقولون : إنها من الله ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم، أو : في الشدة ثم في الرخاء ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أي : الجاحدون غير المعترفين، أو : نعمة الله نبوة محمد عليه السلام[٣] كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا، أكثرهم الجاحدون

---

(١) أكثر المعاجم العربية تفسر كلا منهما بالآخر ولا تفرق بينهما وفرق بينهما في اللسان، فقال : " الكهف : كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار " لسان العرب (كهف) ٩ / ٣١٠.

(٢) هذا الفعل يجوز أن يكون ماضيا، ويكون التفاتا من الخطاب إلى الغيبة، ويجوز أن يكون مضارعا، والأصل : تتولوا فحذف إحدى التاءين، ولاالتفات حينئذ، بل هو جار على مقتضى الظاهر. وانظر : الدر المصون : ٧ / ٢٧٧.

(٣) في " ج " : صلى الله عليه وسلم.

المنكرون بقلوبهم، وثم : يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة، لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

٨٤- ﴿ وَيَوْمَ ﴾ انتصابه باذكر[١] ﴿ نَبْعَثُ ﴾ نحشر ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ نبيها[٢] يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في الاعتذار، والمعنى لا حجة لهم، فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ولا هم يسترضون، أي : لايقال لهم ارضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل، ومعنى ثم أنهم يمنون،[٣] بعد شهادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما هو أطم[٤] [وأغلب منها][٥] وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة.

٨٥- ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ كفروا ﴿ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾ أي : العذاب بعد الدخول ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون قبله.

٨٦- ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ أوثانهم التي عبدوها ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ﴾ أي : آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿ ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ﴾ أي نعبد ﴿ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ

---

(١) وقيل : هو معطوف على ظرف محذوف، أي : ينكرونها اليوم ويوم نبعث، وقيل : بإضمار " خوفهم "، وقيل : تقديره : ويوم نبعث وقعوا في أمر عظيم. انظر : اللباب : ١٢ / ١٣٦.

(٢) في " ج " : نبيا.

(٣) في " ج " زيادة : أي يبتلون.

(٤) في " ب " زيادة : منها.

(٥) ما بين المعقوفتين في " ج ".

﴿ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي : أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لا تعرف من عبدها، ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك[1].

٨٧- ﴿ وَأَلْقَوْاْ ﴾ يعني الذين ظلموا ﴿ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ وبطل عنهم ﴿ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم.

٨٨- ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في أنفسهم ﴿ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وحملوا غيرهم على الكفر ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله ﴿ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ بكونهم مفسدين الناس بالصد.

٨٩- ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني : نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ على أمتك ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا ﴾ بيانا[2] بليغا ﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أمور الدين، أما في الأحكام المنصوصة فظاهر، وكذا فيما ثبت بالسنة، أو : الإجماع، أو : بقول الصحابي[3]، أو : بالقياس، لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله [4] ــ صلى الله عليه وسلم ــ وطاعته بقوله : " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول "[1] وحثنا على

(١) في " ج " عن الشرك.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) في " ج " : الصحابة.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ".

ـــ وطاعته بقوله : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول "(١) وحثنا على الإجماع فيــه بقوله : "ويتبع غير سبيل المؤمنين "(٢) وقد رضي رسول الله ـــ عليه السلام(٣) ـــ لأمته باتباع أصحابه بقوله :

" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "(٤) وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طـرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله : (فاعتبروا يا أولي الابصار)(٥) فكـانت

---

(١) النساء (٥٩).

(٢) النساء (١١٥) ووجه ذلك أن الله جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلا يجوز الخروج عن سبيل المؤمنين كما لا يجوز مشاققة الرسول، وهذه الآيـة أصل في الإجماع ن يصدر بها الأصوليون الكلام في حجية الإجماع وحرمة مخالفته، راجع الكاشف عن المحصول في الأصول لابن عباد العجلي الأصفهاني : ٥ / ٣٥٦، والابتـهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده التاج : ٢ / ٣٥٣.

(٣) في " ج " : صلى الله عليه وسلم.

(٤) ذكره الحافظ في تلخيص الحبير ٤ / ١٩٠ عن ابن عمر وعزاه للدارقطني في غرائب مالك من طريق جميل بن زيد عن مالك وقال : جميل لا يعرف، وعزاه إلى عبد بن حميد مـن طريق حمزة النصيبي، وقال : حمزة : ضعيف جدا. وللبزار من رواية عبد الرحيم بن زيـد العمي، وهو كذاب وخرجه في الكافي الشافي : ٢ / ٦٠٣ ـــ ٦٠٤ , ونقل عن البيهقي قوله : " هذا المتن المشهور، وأسانيده كلها ضعيفة " وأورده الزبيدي في إتحاف السـادة المتقين : ٢ / ٢٢٣، وذكره العجلوني في كشف الخفاء : ١ / ١٤٧، وعـزاه للبيـهقي والديلمي.

(٥) الحشر (٢)، ووجه دلالتها على القياس ـــ لدى المستدل بها ـــ أن الاعتبار مشتق مـن العبور وهو المجاوزة، والقياس عبور من حكم الأصل إلى حكم الفرع فكان داخلا تحـت هذا الأمر. و لم يسلم بهذا كثير من المحققين من مثبتي القيـاس ومنكريـه، وقـالوا : إن الاعتبار هو الاتعاظ، أو العجب ؛ كما في قوله تعالى : (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) [النور : ٤٤]، وقوله : (وإن لكم في الأنعام لعبرة) [النحل : ٦٦] ثم إن سـياق الآية لا يأتلف مع ما قرروه، فلو قال : يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فقيسـوا الذرة على البر لم يستقم الكلام، وكان ركيكا غير لائق بالشرع، انظر : ملخص إبطـال

السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة بالجنة لهم[1].

٩٠- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل حق إلى ذي حقه[2] ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ إلى من أساء إليكم، أو: هما الفرض والندب، لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره[3] الندب ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ وإعطاء ذي القرابة، وهو صلة الرحم ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ عن الذنوب المفرطة في القبح ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ ما تنكره العقول ﴿ وَٱلْبَغْىِ ﴾ طلب التطاول بالظلم والكبر ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ حال[4] أو مستأنف ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون بمواعظ الله، وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون[5]، قال ما كنت أسلمت إلا حياء منه — صلى الله عليه وسلم —

القياس لابن حزم: ٢٧ — ٢٨، وراجع البحر المحيط للزركشي: ٥ / ٢٢— ٢٣، وتشنيف المسامع، له، ورقة: ١٠٢ وشرح الكوكب الساطع للسيوطي ورقة: ١١٥، وإرشاد الفحول: ٣٤٠ — ٣٤١.

(١) في " ج ": لهم بالجنة.

(٢) في " ج " كل ذي حق إلى حقه.

(٣) في الأصل: أن يجبره، والصواب ما أثبته.

(٤) من المنوي في " وينهى "، أي وينهى محذر. الفريد ٣ / ٢٤٤.

(٥) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، هاجر إلى الحبشة، وتوفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات ودفن بالبقيع من المهاجرين (الإصابة ٦ / ٤٩٥).

لكثرة ما كان يعرض علي الإسلام و لم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي، فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال : والله إن له لحلاو ة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر. وقال أبو جهل : إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق[٣]. وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر[٤]" ولهذا[٥] يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي[٦].

٩١- ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ هي البيعة لرسول الله ـــ [صلى الله عليه وسلم][٧] ـــ على الإسلام[٨] (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)[٩] ﴾

---

(٣) ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥١، والسيوطي في الدر المنثور : ٤ / ٢٤١ بسياق مقارب. وجاء بها الواحدي ٢٨٧ في سياق آخر.

(٤) هذه المقولة لابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ فقد جاء في الحاكم أنه قال : " إن أجمع آية في القرآن لخير أو شر آية في النحل (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) المستدرك : ٢ / ٣٥٦، كتاب التفسير، سورة النحل، وقال : صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي والطبري : ١٤ / ١٦٣، وانظر : تفسير الخازن (٤ / ١١١)، وكذلك البغوي بحاشيته (في الصفحة نفسها).

(٥) في " ب " : ولذا.

(٦) قال الحسن البصري : " والله ما ترك العدل والإحسان شيئا من طاعة الله إلا جمعاه، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغي شيئا من معصية الله إلا جمعوه " زاد المسير : ٤ / ٣٦٩، وانظر : تفسير الحسن البصري للدكتور : محمد عبد الرحيم : ٢ / ٧٤.

(٧) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٨) أحد التأويلين في الآية، ذكره الطبري عن بريدة، انظر تفسيره : ١٤ / ١٦٥، وهو على هذا التفسير من سبب نزول.

(٩) سورة الفتح (١٠).

﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ أي[1] : أيمان البيعة ﴿ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ بعد توثيقها باسم الله، وأكد ووكد لغتان فصيحتان، والأصل : الواو، والهمزة بدل منها[2] ﴿ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا ﴾ شاهدا ورقيبا، لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به.

٩٢- ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ في نقض الأيمان ﴿ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ﴾ كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته ﴿ أَنكَٰثًا ﴾ جمع نكث، وهو ما ينكث فتله، قيل هي ريطة، وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن[3] ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ حال "كأنكاثا"[4] ﴿ دَخَلًا ﴾ أحد مفعولي "اتخذ"، أي : ولا

---

(١) ساقطة من " ج ".

(٢) هذا قول الزجاج ولفظه. تابع المصنف فيه الزمخشري الذي تابع أبا إسحاق، وصنيع واصفي المعاجم يشير إلى أن كلا منهما أصل، وقال السمين الحلبي : " وليست الهمزة بدلا من واو كما زعم أبو إسحاق لأن الاستعمالين في المادتين متساويان، فليس ادعاء كون أحدهما أصلا إولى من الآخر ". الدر المصون : ٧ / ٢٨٠، وانظر معاني الزجاج : ٣ / ٢١٦، والكشاف : ٢ / ٦٠٦.

(٣) قال السهيلي في التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء الأعلام في القرآن الكريم (٩٥) : وهي " ريطة بنت سعد بن زيد ابن تميم، ويقال : هي من قريش، وكانت تغزل ثم تنقض غزلها وكانت تعرف بالجعرانية، فضربت العرب بها المثل في الحمق ونقض ما أحكم من العقود وأبرم من العهود.

(٤) ساقطة من " ب ".

تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ أي : مفسدة وخيانة ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾ بسبب أن تكون أمة يعني : جماعة قريش ﴿ هِيَ أَرْبَىٰ ﴾[1] أزيد عددا وأوفر مالا ﴿ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ من جماعة المؤمنين، هي أربى مبتدأ وخبر، في موضع الرفع صفة لأمة، وأمة فاعل تكون، وهي تامة، وهي ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ﴾ الضمير للمصدر أي أنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من أيمان البيعة لرسول — الله صلى الله عليه وسلم —[2] أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب، وفيه : تحذير عن مخالفة ملة الإسلام.

٩٣- ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ حنيفة مسلمة ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ من علم منه اختيار الضلال[3] ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ من علم منه اختيار الهداية ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يوم القيامة فتجزون به.

٩٤- ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظمه ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ فتزل. أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها، وإنما وحدت القدم ونكرت

---

(١) في " ج " : (هي أربى من أمة).

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) في " ج " : الضلالة.

لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت [(١)] فكيف بأقدام كثيرة ؟ ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ في الدنيا ﴿ بِمَا صَدَدتُّمْ ﴾ بصدودكم ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدكم غيركم، لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الآخرة.

٩٥- ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ ﴾ ولا تستبدلوا ﴿ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ وبيعة رسول [صلى الله عليه وسلم][(٢)] ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عرضا من الدنيا يسيرا، كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا " بها "[(٣)] من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدوهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله [صلى الله عليه وسلم][(٤)] فثبتهم الله

﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ إن "ما عند الله"[(٥)] من ثواب الآخرة ﴿ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

٩٦- ﴿ مَا عِندَكُمْ ﴾ من أعراض الدنيا ﴿ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من خزائن

---

(١) في " ج " : تثبت.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) ليست في " ب " و" ج ".

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٥) ساقط من " ج ".

رحمته[1] ﴿ بَاقٍ ﴾ لا ينفذ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ وبالنون : مكي وعـــاصم[2] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ على أذى المشركين ومشاق الإســـلام ﴿ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

٩٧- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ "من" مبهم يتناول النوعـين إلا أن ظاهره للذكور، فبين بقوله من ذكر أو : أنثى ليعم الموعد النوعين"جميعـــا"[3] ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ شرط الإيمان ، لأن أعمال الكفار غير معتد بها، وهو يدل علـــى أن العمل ليس من الإيمـــان[4] ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ أي : في الدنيـــا لقوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وعـــده الله

---

(١) في " ب " : نعمته.

(٢) ـــ الغاية : ١٨٩ ، والإرشاد : ٤٠٤ .

(٣) ساقطة من " ج ".

(٤) إن كان المراد أن العمل ليس جزءا من إيمان المؤمن بل هو منفصل عنه ، فهو خلاف الحق الذي عليه الجماهير من السلف والخلف ، فالعمل عندهم أحد أركان الإيمان الثلاثة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فهو من صميم الإيمان ، وبوب البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان فقال : " الإيمان قول وعمل " قال الحافظ في الفتح : " وهذا المعنى الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك " والتقييد بذلك " وهو مؤمن " لأنه لا اعتداد بأعمال الكفرة في الآخرة مطلقاً ، والمصنف كرر هذا المعنى في مواضع كما في أول " المؤمنون " وعلقت عليه هناك . راجع : فتح الباري : ١ / ٤٦ ، ومجموع الفتاوى : ٧ / ٤٠ ،

: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله : " فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة " وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا، إن كان موسرا فظاهر، وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى، وأما الفاجر: فأمره بالعكس، إن كان معسرا فظاهر، وإن كان موسرا الحرص[1] لا يدعه أن يتهيأ بعيشه ، وقيل : الحياة الطيبة القناعة، أو حلاوة الطاعة، أو : المعرفة بالله وصدق المقام مع الله، وصدق الوقوف على أمر الله، والإعراض عما سوى الله.

٩٨- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فإذا أردت قراءت القرآن ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ فعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له، والفاء : لتعقيب إذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور ﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ يعني : إبليس ﴿ ٱلرَّجِيمِ ﴾ المطرود ، أو : الملعون.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : قرأت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلت : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي : " قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه الصلاة والسلام "[2]

وتفسير الشوكاني : ٣ / ١٩٢ ، والآلوسي : ١٤ / ٢٢٦ ، وشرح العقيدة السفارينية : ١٩٣ .

(١) في " ب " و " ج " فالحرص وهو أولى.

(٢) الحديث في تفسير الثعلبي : رواه مسلسلا عن شيخه أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي إلى ابن مسعود، ورواه عنه الواحدي في الوسيط : ٣ / ٨٣. وأورده الزمخشري في الكشاف : ٢ / ٦٠٩، وخرجه ابن حجر في الكافي بما سبق.

٩٩- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ﴾ لإبليس ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ تسلطٌ وولايـــة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه.

١٠٠- ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يتخذونه ولياً ويتبعـــون وساوسه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ الضمير يعـــود إلى رهـــم، أو : إلى الشيطان، أي : بسببه.

١٠١- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ تبديل الآية مكان الآية هـــو النسخ، والله ـــ تعالى ـــ ينسخُ الشَّرائع بالشرائع لحكمة رآها، وهو معنى قوله ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ وبالتخفيف : مكي وأبـــو عمـــرو[1] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍۭ﴾ هو جواب " إذا" ، وقوله : " والله أعلم بما يـــترل " اعـــتراض ، كانوا يقولون : إنَّ محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غـــداً ، فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشـــقّ بـــالأهون، والأهـــون بالأشق ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الحكمة في ذلك.

١٠٢- ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ أي : جبريل عليه الســـلام، أضيـــف إلى القدس وهو الطهر كما يقال : حاتم الجود، والمراد : الروح المقدس وحاتم الجواد، والمقدس : المطهر من المآثم ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ من عنده وأمره ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ حـــال، أي : نزَّله ملتبسا بالحكمة ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا، والحكمة ، لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمـــة

[1] ـــ انظر : الإرشاد : ٢٢٨ ، والتحبير : ٨٩ .

وصوابٌ ، حكم لهم بثبات القدم ، وصحة اليقين وطمأنينة القلـوب ﴿ وَهُـدًى وَبُـشْرَىٰ ﴾ مفعول لهما معطوفان على محل " ليثبت" ، والتقدير : تثبيتا لهـــم وإرشاداً أو بشارة ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ وفيه : تعريض بحصول أضداد هذه الخصـــال لغيرهم.

١٠٣- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ أرادوا به غلاما كان لحويط قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه عائش أو : يعيش، وكان صاحب كتب، أو : هو جبر غلام روه لعامر بن الحضرمي[1] ، أو : عبدان : جَبْر ويَسار، كانا يقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يسمع ما يقرآن ، أو : سلمان الفارسي[2] ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ وبفتح الياء والحاء : حمزة وعلي[3] ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان عجمي[4] غيرُ بيّن ، وهذا القرآن لسان عربي مبين، ذو بيان وفصاحة، رداً لقولهم، وإبطالاً لطعنهم، وهذه الجملة ـــ أعني قوله[5] : " لسان الذي يلحدون إليه أعجمي " ـــ لا محل لها، لأنها مستأنفة جواب لقولهم، واللسان اللغة، ويقال : ألحدَ القبر ولَحَدَه وهو ملحَد وملْحُود إذا أمال حفرة عن الاستقامة فحُفر في شق منه، استعير لكل إمالة عن الاستقامة، فقالوا : ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد ، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلِّها.

---

(١) ـــ عامر بن عبد الله الحضرمي ، قتل مع المشركين في بدر ، قتله عمار بن ياسر .انظر . : الإصابة : ٣ / ٤ .

(٢) ـــ انظر : الطبري : ١٤ / ١٧٨ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي : ٢ / ١١٦ ـــ ١١٧ .

(٣) ـــ انظر : الإرشاد : ٣٤١ ، والتحبير : ١٣٤ .

(٤) ـــ في " ج " أعجمي .

(٥) ـــ ساقط من " ج " .

١٠٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي : القرآن ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ ما داموا مختارين للكفر[1] ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة على كفرهم.

١٠٥- ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾ على الله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن، لأنه لا يترقب عقاباً عليه، وهو رد لقولهم : " إنما أنت مفتر " ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الذين لا يؤمنون، أي : وأولئك ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب ؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو : أولئك هم الكاذبون في قولهم : " إنما أنت مفتر " .

١٠٦- جوزوا أن يكون : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ شرطا مبتدأ، وحذف جوابه ؛ لأنَّ جوابَ " من شرح " دالٌّ عليه، كأنه قيل : " من كفر بالله فعليهم غضب " ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ ساكن به ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ أي : من طاب به نفسا واعتقده ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ وأن يكون بدلاً من " الذين لا يؤمنون بآيات الله" ، على أن يجعل " وأولئك هم الكاذبون " اعتراضا بين البدل والمبدل منه، والمعنى : إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال : " ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله" ، وأن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك، أي : ومن كفر بالله، من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو : من الخبر الذي هو الكاذبون، أي : وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه، وأن ينتصب على الذم.

---

[1]- في " ج " الكفر .

روي أن أناسا من أهل مكة فتنوا ، فارتدوا، وكان منهم[1] من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار، وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا، وهما أول قتيلين في الإسلام، فقيل لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : إن عمارا كفر فقال: " كلا إن عمارا مليء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه وبدمه[2] "[3] فأتى عمار رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال : " مالك ؟ إن عادوا لك فعد لهم بما قلت " وما فعل أبوا[4] عمار أفضل ؛ لأن في الصبر على القتل إعزازا للإسلام.

١٠٧- ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ آثروا ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي : بسبب إيثارهم الدينا على الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ ما داموا مختارين للكفر.

١٠٨- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فلا يتدبرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ الكاملون[5] في الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاه.

---

(١) في " ج " فيهم .

(٢) في " ب " و " ج " ودمه .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١ / ٢٢، عن علي مرفوعا.
وذكره المتقي بكنز العمال رقم : ٣٣٥٤٠، وقال : وعزاه السيوطي للطبراني وأبي يعلى عن علي.

(٤) في " ج " أبو .

(٥) في " ج " أي الكاملون .

١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَسِرُونَ﴾

١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ " ثم " يدل على تباعد حال هؤلآء من حال أولئك ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة، أي : أنه لهم لا عليهم، يعني : أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر . " فَتَنُوا " شامي[1] ، أي : بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا ﴿ثُمَّ جَاهَدُواْ﴾[2] المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد[3] والصبر ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم لما كان

---

(١) ينظر التيسير : ١١٣، والإرشاد : ٤٠٤، والكنز : ١٨٤. والكفاية الكبرى للقلانسي : ٢ / ٤٠٧ .

(٢) يحتمل أن يكون الضمير في " فتنوا " راجعا على المهاجرين، والمعنى أنهم فتنوا غيرهم من المؤمنين قبل إسلامهم وهجرتهم، وهذا هو الذي اقتصر عليه الزمخشري في الكتاب ٢ / ٦١٣، ونقله المصنف.

ويحتمل أن يعود الضمير على الكافرين الذين فتنوا المؤمنين وعذبوهم والمعنى : من بعد ما فتن الكفار المؤمنين، وجاءت الآية بعد الكلام عن الكافرين.

ويجوز أن يعود الضمير على المؤمنين المهاجرين على معنى أنهم فتنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول كما فعل عمار بن ياسر أو لأنهم صبروا على العذاب فصاروا كالمعذبين أنفسهم.

انظر : شرح الهداية : ٢ / ٣٨٢، والكشف : ٢/ ٤١، وإبراز المعاني : ٣ / ٣١٥ ــ ٣١٦، والبحر المحيط : ٥ / ٥٤١.

(٣) في " ب " الاجتهاد.

منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لا يعذهم على ما قالوا في حالة الإكراه.

١١١- ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ منصوب بـ "رحيم" ، أو: بـ "اذكر" [١] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ وإنما أضيفت النفس إلى النفس ؛ لأنه يقال لعين الشيء وذاته ونفسه[٢] ، وفي نقيضه غيره، والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى هي الجملة، والثانية عينها وذاتها، فكأنه قيل : يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول نفسي نفسي[٣]، ومعنى المجادلة عنها : الاعتذار عنها، كقولهم : "هؤلاء أضلونا "[٤] " ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا "[٥] الآية " والله ربنا ما كنا مشركين "[٦] ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ تعطى جزاء عملها وافيا ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في ذلك.

١١٢- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرهم النعمة فكفروا وتولوا، فأنزل الله لهم نقمته، فيجوز

---

(١) فيكون ظرفا على الوجه الأول، وعلى الثاني مفعولا به، انظر الفريد : ٣ / ٢٤٨. وزيد وجه آخر، وهو أن يكون منصوبا بـ " لغفور ". ذكره اللباب : ١٢ / ١٧١.

(٢) في " ب " و " ج " نفسه .

(٣) والفرق بينهما : أن النفس الأولى ملاحظ فيها الأجزاء كأنه قال : كل أحد، والثانية غير ملاحظ فيها ذاك، وفي حاشية الشهاب بحث أوسع، راجع جـ ٥ ص ٣٧٤. وعبارة المصنف هي عبارة الكشاف الذي هو أصل هذا الكتاب مع تصرف يسير. راجع : ٢ / ٦١٣.

(٤) الأعراف : (٣٨).

(٥) الأحزاب : (٦٧١) وتتمتها : " فأضلونا السبيلا ".

(٦) الأنعام : (٢٣).

أن تراد[1]: قرية مقدرة ؛ على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها ، وضربها[2] الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ من القتل والسبي ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾ لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ واسعا ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ من كل بلد ﴿ فَكَفَرَتْ ﴾ أهلها[3] ﴿ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نعم كبؤس وأبؤس ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ الإذاقة واللباس : مستعارتان[4] ، والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، ووجه صحة ذلك أن: الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع، وأما: اللباس ، فقد شبه به لاشتماله على اللابس، ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على

---

(1) في " ب " و " ج " يراد .

(2) في " ب " و " ج " فضربها .

(3) هكذا في جميع النسخ، وهو جائز باعتبار أن الأهل اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وأشار إلى مثله ابن مالك بقوله :

وربما أكسب ثان أولا ... تأنيثا إن كان لحذف موهلا

وينشد في مثل هذا قول الشاعر :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم

راجع : شرح المكودي على الألفية : ١٤٧.

(4) في " ب " و " ج " استعارتان .

لباس الجوع والخوف ولأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيـــل : فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف [1].

١١٣- ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي : محمد ــ عليه الســـلام[2] ــ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي : في حال التباســـهم بالظلم، وقالوا[3]: إنه[4] القتل بالسيف يوم بدر.

روي أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجه إلى أهل مكة في سني القحـــط بطعام ففرق فيه، وقال[5] الله لهم ــ بعد أن أذاقهم الجوع ــ :

١١٤- ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [6] على يدي محمد [ﷺ][7] ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأمـــوال المـــأخوذه بالغـــارات والغصـــوب وخبـــائث الكســـوب ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تطيعون، أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنهـــا شفعاؤكم عنده.

ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم فقال :

---

(١) في الكشاف ما هو أوسع وأكثر تفصيلا، راجع : ٢ / ٦١٥.

(٢) ــ في " ج " صلى الله عليه وسلم .

(٣) ــ في " ج " قالوا .

(٤) أي العذاب.

(٥) ــ في " ب " و " ج " فقال .

(٦) انظر : تفسير ابن جرير : ١٤ / ١٨٨.

(٧) ــ ما بين المعقوفتين من " ج " وفي " ب " عليه السلام .

١١٥- ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

" إنما " للحصر، أي : المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها، وباقي الآية قد مر تفسيره.[1]

١١٦- ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ هو منصوب بـ"لا تقولوا" ، أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم : " ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا"[2] من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي، أو إلى القياس المستنبط منه، واللام مثلها في قولك ولا[3] تقولوا لما أحل الله هو حرام ، وقوله ﴿ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ

---

(١) في سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

وقد فسر ـــ هناك ـــ الميتة : بما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح، والدم السائل، لقوله في " سورة الأنعام ١٤٥ " (أو دما مسفوحا) ولحم خنزير ؛ جميع أجزائه، وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل.

وما أهل لغير الله به : ما ذبح للأصنام، فذكر عليه غير اسم الله وأصل الإهلال رفع الصوت، أي : رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية؛ باسم اللات والعزى.

والمضطر : الملجأ.

غير باغ ولا عاد : حالة كونه غير باغ ولا متعد قدر الحاجة.

فإن الله غفور رحيم : غفور للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار. " رحيم " حيث رخص. تفسير النسفي (النسخة المطبوعة) ١ / ٨٨ ٨٩.

(٢) الأنعام (١٣٩).

(٣) ـــ سقطت الواو من " ج " .

﴾ بدل من الكذب، لك أن تنصب " الكذب " بـ "تصف" وتجعل "ما"[١] مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بـ " لا تقولوا" ، أي : ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام ، [٢]لوصف ألسنتكم الكذب، أي : ولا تحرموا ولا تحللوا[٣] لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج[٤] ، فدعوى[٥] بلا برهان، وقوله : " تصف ألسنتكم الكذب " من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته ، كقولهم [٦] : وجهها يصف[٧] الجمال وعينها تصف السحر، واللام في ﴿ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ من التعليل الذي لا

---

(١) هذا هو الأظهر، والذي مشى عليه أكثر المعربين مقتصرين عليه. انظر : إعراب النحاس : ٢ / ٤٠٠، ومشكل إعراب القرآن لمكي : ٤٢٥ ــ ٤٢٦، والمحرر الوجيز : ٣ / ٤٢٩، والبيان لابن الأنباري : ٢ / ٨٤.
والمصنف تابع الزمخشري في تقديمه للوجه الأول، وإنما كان انتصابه بتصف هو أظهر الإعرابين لاختلافهم في تعدي " قال " بنفسه وفيه وجهان آخران :
أحدهما : أن يكون منصوبا على البدل من العائد المحذوف على " ما " إذا كانت بمعنى الذي، والتقدير : لما تصفه.
الثاني : أن ينتصب بإضمار أعني. ذكرهما العكبري في إعرابه ونقلهما ابن عادل في اللباب : ١٢ / ١٧٨ ــ ١٧٩ وقال في الثاني : " ولا حاجة إليه ولا معنى عليه ". .

(٢) ــ في " ج " زيادة : وهذا .

(٣) ــ في " ب " ولا تحللوا ولا تحرموا .

(٤)

(٥) ــ في " ب " و " ج " ودعوى .

(٦) ــ في " ج " كقولك .

(٧) ــ في الأصل : و " ب " تصف ، والأقرب ما أثبته . .

يتضمن معنى الغرض ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.

١١٧- ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[1] وَلَهُمْ هو خبر مبتدأ محذوف[2] أي : منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم.

١١٨- ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ في سورة الأنعام، يعني : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر)[3] الآية ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بالتحريم ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم.

١١٩- ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ في موضع الحال، أي : عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم، ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى ﴿ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ من بعد التوبة[4] ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ بتفكير ما كثروا قبل من الجرائم ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم.

---

(١) سقط من الأصل و " ب " بقية الآية : (ولهم عذاب أليم) .

(٢) إعراب النحاس : ٢ / ٤١١، والكشاف : ٢ / ٦١٦، وذكر في إعرابه وجه آخر، وهو : أن يكون مبتدأ، و " قليل " خبره، واستبعده ابن عادل ؛ للابتداء بالنكرة بلا مسوغ. انظر : اللباب : ١٢ / ١٨١.

(٣) الأنعام (١٤٦).

(٤) وقيل : على الجهالة، وقيل : على السوء ؛ لأنه على معنى المعصية. اللباب : ١٢ / ١٨١.

١٢٠- ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير ، كقوله[١] :

ليس من[٢] الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد : كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار[٣]، أو : كان أمة بمعنى مأموم أي[٤] : يؤمه الناس ، ليأخذوا منه الخير ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ هو القائم بما أمره الله، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن معاذا كان أمة قانتا لله، فقيل له : إنما هو إبراهيم [عليه السلام][٥] فقال: الأمة الذي يعلم الخير والقانت والمطيع لله ورسوله وكان معاذ ذلك[٦] [٧]، وقال عمر — رضي الله عنه — : لو كان معاذا حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله — ﷺ — يقول :" أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ومعاذ أمة لله قانت لله ، ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون][٨] ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا عن الأديان إلى ملة الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك

---

(١) البيت لأبي نواس، الحسن بن هاني، وهو في ديوانه ص ٤٥٤ من أبيات يمدح بها هارون الرشيد.

(٢) — في " ج " على ، وهو المشهور .

(٣) الذي في ابن جرير (١٤ / ١٩٢) عن مجاهد : " على حده " وهو قريب منه.

(٤) — ساقط من " ج " .

(٥) — ما بين المعقوفتين من : " ب " .

(٦) — في " ب " و " ج " كذلك .

(٧) ينظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٩١، وتفسير السمرقندي : ٢ / ٢٥٤.

(٨) قال ابن حجر : " لم أجده " انظر الكافي الشافي ٢ / ٦١٧. وذكره في الجامع الأزهر وعزاه للطبراني في الأوسط عن أبي بكر، قال " وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، متروك " ١/ ١٤٢.

تكذيبا لكفار قريش ؛ لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم، وحذف النون لتشبيهه بحروف اللين.

١٢١- ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيف فأخر غداه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما، فقال : الآن وجبت مؤاكلتكم، شكرا لله على أنه عافاني[1] وابتلاكم[2] ﴿ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ اختصه واصطفاه للنبوة ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ إلى ملة الإسلام.

١٢٢- ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ نبوة أو أموالا[3] وأولادا ، أو : تتريه[4] الله بذكره، فكل أهل دين يتولونه، أو قول المصلي منا : كما صليت على إبراهيم ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ لمن أهل الجنة.

١٢٣- ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في ثم تعظيم مترلة نبينا عليه الصلاة و السلام[5] وإجلال محله، والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته.

١٢٤- ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ أي : فرض عليهم تعظيمه،وترك الاصطياد فيه.

---

[1] ــ رسمت في الأصل : " عافواني " بالواو .

(٢) لم أجده في الطبري.

[3] ــ في " ج " وأموالا .

[4] ــ في " ج " تنويه .

[5] ــ سقط لفظ : (الصلاة) من " ب " و " ج " .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

روي : أن موسى ـــ عليه السلام ـــ أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة، وأن يكون يوم الجمعة ، فأبوا عليه ، وقالوا : نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض،وهو السبت إلا شرذمة منهم فقد رضوا بالجمعة[١].

فهذا[٢] اختلافهم في السبت، لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة، فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه[٣] ، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون، وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد، فمسخهم الله دون أولئك، وهو يحكم بينهم يوم القيامة، فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو أهله.

١٢٥- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى الاسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة الصحيحة المحكمة، وهي[٤] : الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة[٥] ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، أو : بالقرآن، أي : ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، أو : الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال، والموعظة الحسنة : أن تخلط[٦] الرغبة

---

(١) أورده البغوي (٤ / ١٢٣)، والخازن : (٤ / ١٢٣).

(٢) ـــ في " ب " وهذا .

(٣) ـــ سقط من " ج " .

(٤) ـــ في " ج " وهو .

(٥) هذا تفسير عام تضمن أقوالا ثلاثة رويت في تفسير الحكمة وهي :
الأول ـــ القرآن. والثاني : النبوة. انظر : تفسير الماوردي (٢ / ٤١٧)، وزاد المسير : (٤ / ٣٨٦). والثالث : الفقه، حكاه الضحاك عن ابن عباس. زاد المسير : (٤ / ٣٨٦).

(٦) ـــ في " ج " يخلط .

بالرهبة،والإنذار بالبشارة ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة، أو : بما يوقظ القلوب. ويعظ النفوس ويجلوا العقول، وهو : رد على من يأبى المناظرة في الدين[1]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

أي : هو أعلم بهم، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل،ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل.

١٢٦- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ سمي الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله : " وجزاء سيئة سيئة مثلها "[2] فالثانية ليست بسيئة، والمعنى : إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه[3] وروي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد، بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، فرأى النبي ــ عليه السلام ــ حمزة مبقور البطن فقال : " أما والذي أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك "[4] فنزلت، فكفر عن يمينه،

---

(١) راجع كتاب التقريب لابن حزم، والجدل في القرآن.

(٢) سورة الشورى : (٤٠).

(٣) وهو من باب المشاكلة في علم البديع، وهي ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه في صُحْبَتِهِ تحقيقا أو تقديرا . والآية من النوع التحقيقي، ومثل ذلك قول الشاعر :

قالوا:اقترح شيئا نُجِدْ لك طبخَه ... قلت:اطبخوا لي جُبةً وقميصا.

كأنه قال : خيطوا لي. راجع الإيضاح للقزويني : (٣٦٠).

(٤) أخرجه الدارقطني ٤ / ١١٦ عن ابن عباس والبيهقي في دلائل النبوة : ٣ / ٢٨٦، عن محمد بن كعب مرسلا، وخرجه ابن حجر في الكافي : ٢ / ٦١٩، ٦٢٠، وعزا قصة حمزة والمثلة إلى البزار والطبراني من حديث أبي هريرة، وذكر له رواية أخرى من طريق إسماعيل بن عياش، وأعله الدارقطني بإسماعيل لتفرده به، وهو ضعيف عن غير الشاميين.

وكف عما أراده، ولاخلاف في تحريم المثلة ؛ لورود الأخبار بالنهي عنـــها حـــتى الكلب العقور ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ الضمير في " لهو " يرجع إلى مصدر "صبرتم " والمراد بـــ " الصــــابرين " : المخـــاطبون، أي : ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع الصابرون[1] موضع الضمير ثناء مـــن الله عليهم، بأنهم[2] صابرون على الشدائد، ثم قال لرسول الله ـــ عليه السلام[3] ـــ :

١٢٧- ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ أنت، فعزم عليـــه بالصـــبر ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: بتوفيقه وتثبيته ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ على الكفار إن لم يؤمنـــوا، أو[4]علـــى المؤمنين وما فعل بهم الكافرون[5] ، فإنهم وصلوا إلى مطلوبهـــم ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ " ضيق " : مكي، والضيق : تخفيف الضيـــق، أي : في أمر ضيق، ويجوز أن يكونا مصدرين ، كالقيل والقول[6] والمعنى : ولا يضيقـــن صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك.

---

(1) ـــ في " ج " الصابرين ، على الحكاية ، أو جعله مفعولا به .

(2) ـــ في " ج " لأنهم .

(3) ـــ في " ج " صلى الله عليه وسلم .

(4) ـــ في " ج " وعلى .

(5) ـــ في " ج " الكفار .

(6) انظر : التلخيص في القراءات الثمان : (٣٠٧)، والكتر : (١٨٤) .
والضيق : بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وقيل : ما كان في نحو الدار والبيت فهو الضيق بالكسر، وما كان في القلب والصدر فهو بالفتح. شرح الهداية : (٢ / ٣٨٣)

١٢٨- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ أي : هـــو ولي الذين اجتنبوا السيئات، وولي العاملين بالطاعات . قيل[١] : من اتقـــى في أفعالـــه وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله.

ومعيته : نصرته في المأمور وعصمته في المخطور.

---

(١) ـــ في " ج " وقيل .

سورة بني إسرائيل [1]

[مكية وهي][2]

مائة وإحدى عشرة آية كوفي، وعشر بصري [3]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾ تتريه الله عن السوء، وهو علم للتسبيح كعثمان لرجل [4]، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره : أسبح الله سبحان، ثم نزل " سبحان " مترلة الفعل، فسد مسدّه [5] ودل على التتريه البليغ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ محمد [صلى الله عليه وسلم][6] وسرى وأسرى : لغتان [7] ﴿ لَيۡلًا ﴾ نصب على الظرف وقيَّده بالليل، والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد، أو : ليدل بلفظ التنكير على تقليل [8] مدة الإسراء،وأنه أسري به في بعض الليل من

---

(١) سقط هذا السطر من الأصل , في " ج " (الإسراء) بدل (بني إسرئيل).

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) في " ج " مائة وعشر بصري، وإحدى عشرة آية كوفي وشامي.وسقط من " ب " (وعشر بصري).

(٤) في " ب " و " ج " (للرجل).

(٥) والألف والنون فيه زائدتان، امتنع من الصرف لذلك، وقيل : انتصب على النداء. قاله : أبو عبيد. انظر : مشكل إعراب القرآن : (٤٢٧).

(٦) المثبت بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

(٧) انظر : القاموس (سرى) ٦٩.

(٨) في " ب " : تقرير.

مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة[1] ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل : أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب [2]، والمراد بالمسجد الحرام : الحرم، لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : الحرم كله مسجد[3] وقيل : هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، فقد قال ــ عليه السلام ــ : " بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل [عليه السلام][4] بالبراق، وقد عرج بي إلى السماء وفي تلك الليلة.[5]

---

(١) ذكر الجواب الأخير الزمخشري في الكشاف : (٢ / ٦٢١ ــ ٦٢٢) قال : ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة : من الليل، أي : بعض الليل " وانظر : الفريد : (٣ / ٢٥٦). واعترض ابن المنير على الزمخشري بأن هذا الجواب لا يليق يصلح أن يجاب به في نظائره كقوله تعالى : (فأسر بأهلك بقطع من الليل) [هود : ٨١]، وقوله تعالى : (فأسر بعبادي ليلا) [الدخان : ٢٣]، ثم قال : " وكأن الإسراء لما دل على أمرين، أحدهما : السير، والآخر : كونه ليلا أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتا في تفسير المخاطب، وتنبيها على أنه مقصود بالذكر." الانتصاف : (٦٢١).

(٢) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية، اسمها : فاختة، اسلمت يوم الفتح، التهذيب : (١٢ / ٤٨١) قال ابن حجر : " كأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنها " الكافي الشافي ٢ / ٦٢٢، وساقه ابن كثير بهذا الإسناد انظر تفسيره : ٤ / ٢٧٥..

(٣) جاء في القرآن في أكثر من آية إطلاق المسجد الحرام مرادا به الحرم كله، منها قوله تعالى : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)[التوبة٢٨]، وقوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) [البقرة : ١٩٦].

(٤) المثبت من " ب ".

(٥) أخرجه البخاري : ٤ / ٩٢ برقم ٣٢٠٧، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة،عن مالك بن صعصعة، ومسلم بكتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله : ١ / ١٥٠، وأحمد : ٤ / ٢٠٧، كلاهما عنه. وقد جاء حديث الإسراء بسياقات كثيرة، جمع

وكان العروج من بيت المقدس، وقد أخبر قريشا عن غيرهم[1] وعد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا مما رآه في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياء — عليهم السلام — وبلغ البيت المعمور، وسدرة المنتهى، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة.
وكان في اليقظة، وعن عائشة — رضي الله عنها — أنها قالت : والله ما فقد جسد رسول الله — [صلى الله عليه وسلم][2] — ولكن عرج بروحه[3] وعن معاوية مثله. وعلى الأول : الجمهور ؛ إذ لا فضيلة للحالم و مزية للنائم ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ يريد بركات الدين والدنيا، لأنه متعبد الأنبياء — [

كثيرا منها ابن كثير، في بعضها زيادة، وفي بعضها اختلاف، وقال في آخر كلامه : " ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يتحصل على مطلب " تفسيره : ١٤٥.
والخطاب وارد على بعض الرواة غير أنه لا يثبت إقراره من الجميع ألا ترى أن الحفاظ غلطوا " شريكا " في كثير من ألفاظ حديث الإسراء، كتحديد أمكنة الأنبياء عليهم السلام في السموات،وكون المعراج مناما، وكونه قبل البعثة، وشق الصدر عند الإسراء، ونسبة التدلي والدنو إلى الله تعالى، ومحل سدرة المنتهى، وذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، وغير ذلك، انظر : فتح الباري : ١٣ / ٤٠٤ — ٤٠٥.

(١) في " ب " و " ج " (عيرهم) وما في الأصل أعم، وهذا موافق للخبر.

(٢) المثبت بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره : (١٥ / ١٦). وأخرجه البخاري ومسلم، انظر : تفسير ابن كثير.

عليهم السلام][1] ـــ ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية، والأشجار المثمرة ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ أي : محمداً عليه السلام ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ للأقوال ﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بالأفعال، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل : أسرى، ثم باركنا، ثم إنه هو، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة.

٢ - ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ ﴾ أي : الكتاب، وهو التوراة ﴿ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ أي : لا تتخذوا، وبالياء : أبو عمرو أي : لئلا يتخذوا[2] ﴿ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ رباً تكلون إليه أموركم

٣ - ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ نصب على الاختصاص، أو : وعلى النداء فيمن قرأ (لا تتخذوا) بالتاء على النهي، أي : قلنا لهم : لا [تتخذوا][3] من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ إن نوحاً -عليه السلام- ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ في السراء والضر، والشكر مقابلة النعم بالثناء على المنعم، وروي : أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال : الحمد لله،وأنتم

---

(١) المثبت بين المعقوفتين من " ج ".

(٢) انظر : التلخيص : (١١٢)، والإرشاد ٤٠٦، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب، أي : قلنا لهم : لا تتخذوا من دوني وكيلاً.
ومن قرأ بالياء فلأن قبله ذكر الغيبة، وهو قوله : (وجعلناه هدى لبني إسرائيل)
ينظر : شرح الهداية : (٢ / ٣٨٤).

(٣) في الأصل : تتخذوني، والصواب : المثبت.

ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله أباؤكم أسوقهم، وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء لسنة الآباء، وقد عرفتم حال الآباء هنالك، فكونوا ــ أيها الأبناء ــ كذلك.

٤ - ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

وأوحينا إليهم وحيا مقضيا، أي : مقطوعا مبتوتا، بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة، والكتاب : التوراة، و " لتفسدن " : جواب محذوف، أو : جرى القضاء المبتوت مجرى القسم، وليكون[١] " لتفسدن " جوابا له ؛ كأنه قال : وأقسمنا لتفسدن[٢] في الأرض ﴿ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، أولاهما : قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام ــ حين أنذرهم سخط الله. والآخرة[٣] : قتل يحيى بن زكريا[٤] وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله، من قوله : " إن فرعون علا في الأرض "[٥] أو[٦] : المراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين.

٥- ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ أي : وعد عقاب أولاهما[٧]

---

(١) في " ب " و " ج " فيكون.

(٢) في " ج " لتفسدن في الأرض.

(٣) في " ب " و " ج " والأخرى.

(٤) في " ج " يحيى بن زكريا عليه السلام.

(٥) القصص : ٤.

(٦) في " ج " و.

(٧) لم يظهر لي الموجب لهذا التقدير، والمصنف أخذه من الزمخشري كما في الكشاف : ٢ / ٦٢٤، وهو بلا تقدير العقاب أوضح، وعليه عامة المفسرين، انظر : معاني الزجاج : ٣ / ٢٢٧، والوسيط : ٣ / ٩٧، والمحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٨، وتفسير

﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾ سلطنا عليكم ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أشداء في القتال، يعني : سنحاريب[1] وجنوده، أو بختنصر، أو: جالوت، قتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد، وسبوا منهم سبعين ألفا ﴿ فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ ترددوا للغارة فيها.

قال الزجاج : الجوس : طلب الشئ بالاستقصاء[2] ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ وكان وعد[3] العقاب وعدا لا بد أن يفعل.

٦- ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ أي : الدولة والغلبة ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو، قيل : هي قتل بختنصر، واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم، ورجوع الملك إليهم[4]" وقيل : أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت[5] ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ

القرطبي : ١٠ / ٢١٥. - ١٠ / ٢١٥. وانظر : البيان لما خفي في القرآن للسيد يحيى القاسم ، ورقة: ٦٨ .

يؤيد هذا أن العقاب هو قوله : (بعثنا عليكم)، وما ذكره الزمخشري سائغ غير أن عدم التقدير خير مما تكلف فيه التقدير.

(١) في " ج " سنجاريب.

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢٢٧.

(٣) في " ج " وعد الله.

(٤) انظر : تفسير ابن جرير : ١٥ / ٢٨ و ٣٠ وعزاه ابن كثير إلى سعيد بن جبير، تفسير القرآن العظيم : ٥ / ٤٦. ط. طيبة.

(٥) تفسير ابن جرير : ١٥ / ٣٠، والقرطبي : ١٠ / ٢١٧، وعزاه ابن جرير إلى ابن عباس.

﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ مما كنتم، وهو تمييز، جمع نفر[1] هو من : ينفر مع الرجل من قومه[2].

٧- ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ قيل : اللام بمعنى " على " كقوله : (وعليها ما اكتسبت)[3] والصحيح : أنها على بابها : لأن اللام للاختصاص، والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أو سيئة يعني : أن الإحسان والإساءة، كلاهما[4] مختص بأنفسكم، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن علي ـــ رضي الله عنه ـــ : ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلاها[5] ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾[6] وعد المرة الآخرة بعثناهم ﴿ لِيَسُـٔۥا ﴾ أي : هؤلاء ﴿ وُجُوهَكُمْ ﴾ وحذف لدلالة ذكره أولا عليه، أي : ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة[7] كقوله : (سيئت وجوه الذين كفروا)[8] ليسوء : شامي وحمزة وأبو بكر، والضمير لله عز وجل، أو للوعد، أو : للبعث، لنسوء[9] : علي ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ بيت المقدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ

(١) في " ج " و.

(٢) ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل، أي : وجعلناكم أكثر نافرا. انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٣٩، والدر المصون : ٧ / ٣١٥.

(٣) البقرة : (٢٨٦).

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) لم أجده في غير الكشاف : ٢ / ٦٢٥، ومعنى شقه الأول منكر.

(٦) في " ج " فإذا جاء وعد الآخرة، وعد المرة الآخرة.

(٧) في " ب " و " ج " زيادة : فيها.

(٨) الملك : (٢٧).

(٩) وقرأ الكسائي لنسوء، بنون بدل الياء، وانظر : التلخيص : ٣١٠، والكنز : ١٨٥.

﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ ما علوا : مفعول " ليتبروا " أي : ليهلكوا كل شيئ غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى : مدة[1] علوهم.

٨- ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعد المرة الثانية أن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ ﴾ مرة ثالثة ﴿ عُدْنَا ﴾ إلى عقوبتكم، وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة[2] عليهم، وعن ابن عباس -[رضي الله عنهما][3]- سلط عليهم المؤمنين إلى يوم القيامة[4] ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ محبسا، يقال للسجن محصر وحصير

٩- ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات وأشدها[5] وهي توحيد الله والإيمان برسله، والعمل بطاعته، أو : للملة، أو : للطريقة ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ويبشر حمزة وعلي[6] ﴿ أَنَّ لَهُمْ ﴾ بأن لهم ﴿ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ أي : الجنة.

---

(١) فتكون " ما " ظرفية، وهذا الوجه يحتاج إلى حذف مفعول إلا أن يكون القصد الاقتصار على ذكر الفعل نحو فلان يعطي ويمنع انظر : الدر المصون : ٧ / ٣١٩.

(٢) الرشوة والخراج وهو المراد هنا، يقال : أتوته أتوه أتوا وإتاوة. انظر اللسان : ١٤ / ١٧ (أتو).

(٣) ما بين المعقوفتين من " ب " و " ج ".

(٤) انظر : النكت والعيون : ٢ / ٤٢٥. وذكره عن قتادة أيضا , وتسليط المؤمنين عليهم بإذلالهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة كما هو مبسوط في رواية الماوردي.

(٥) في " ج " وأسدها، بالسين.

(٦) ينظر : غاية الاختصار : ٢ / ٤٤٨ ـــ ٤٤٩، والكتر : ١٤٠.

١٠- ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ وبأن الذين ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا ﴾ أي: أعددنا، قلبت تاء ﴿ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يعني : النار، والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم، ولم يذكر الفسقة[١].

١١- ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾ أي: ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير، أو : يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر[٢] الآجل وإن جل ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر، أو : أريد بالإنسان الكافر، وأنه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة، وكان الإنسان عجولا، يعني : أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال ؟ وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : هو النضر بن الحارث قال: "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك"[٣] الآية، فأجيب له[١] فضربت عنقه صبرا. وسقوط الواو من " يدع " في الخط على موافقة اللفظ.

---

(١) وتخلص الزمخشري من هذا فقال : " فإن قلت : كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة ؟ قلت : كان الناس حينئذ إما مؤمن نقي، وإما مشرك، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك " وتعقبه أبو حيان بأن هذه مكابرة لأنه وقع في زمن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من بعض الصحابة هنات، وبعضها مذكور في القرآن وبعضها في الخبر الصحيح , انظر البحر المحيط ٦ / ١٢، والمنزلة بين المنزلتين من أصول المعتزلة الخمسة، ومرادهم في ذلك : أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، فيكون بينهما، هذا مع قولهم بأنهم مخلدون في النار. انظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز : ٣٧٩.

(٢) في " ج " بضرر.

(٣) الأنفال : (٣٢).

١٢- ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي: الليل والنهار آيتـــان في أنفســـهما، فيكـــون[٢] الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين، كإضافة العدد إلى المعدود، أي: فمحونـــا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي [النهار][٣] مبصرة، أو: وجعلنا نـــيري الليل والنهار آيتين، يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق لها شعاعا كشعاع الشمس، فترى الأشياء به رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء ﴿ لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لتتوصلـــوا ببياض النهار إلى التصرف في معايشكم ﴿ وَلِتَعْلَمُواْ ﴾ باختلاف الجديديـــن ﴿ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ يعني: حساب الآجل ومواسم الأعمال، ولو كانـــا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجـــار ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ بيناه بيانا غير ملتبس، فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا.

١٣- ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ عملـــه ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ يعـــني: أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفك عنـــــه ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ ﴾ هو صفة لـــ "كتابـــــا" "يلقـــاه": شـــامي[٤] ﴿ مَنشُورًا ﴾ حال من "يلقاه" يعني غير مطوي؛ ليمكنه قراءته، أو: هما صفتـــان

(١) لفظ (له) ساقط من " ج ".

(٢) في " ب " و " ج " فتكون.

(٣) في الأصل: النهار. هو خطأ.

(٤) بضم الياء، وفتح اللام وتشديد القاف، انظر التلخيص: ٣١٠، والكـــنز: ١٨٥ — ١٨٦.

﴾ حال من " يلقاه " يعني غير مطوي ؛ ليمكنه قراءته، أو : هما صفتان للكتاب، ونقول له :

١٤- ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ أي : كتاب أعمالك، وكل يبعث قارئا ﴿ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ ﴾ الباء زائدة أي : كفى نفسك ﴿ حَسِيبًا ﴾: تميز، وهو بمعنى حاسب، و" على " : متعلق به، من قولك : حسب عليه كذا، أو : بمعنى : الكافي، وضع موضع الشهيد فعدي بـ " على " ؛ لأن الشاهد يكفي المدعي ما أهمه وإنما ذكر " حسيبا " لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير ؛ إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل : كفى بنفسك[1] رجلا حسيبا، أو : يؤول[2] النفس بالشخص.

١٥- ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ أي ؛ فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾ أي: كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نبعث[3] إليهم رسولا فنلزمهم[4] الحجة

---

(١) في " ج " نفسك.

(٢) في " ج " تؤول.

(٣) في " ج " نرسل.

(٤) في " ج " يلزمهم.

١٦- ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً ﴾ أي : أهل قرية ﴿ أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ متنعميها وجبابرتها بالطاعة، عن أبي عمرو والزجاج، ﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ أي: خرجوا عن الأمر، كقولك : أمرته فعصى، أو : أمرنا : كثرنا دليله : قراءة يعقوب : آمرنا[1] ومنه الحديث " خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة "[2] أي : كثيرة النسل[3] ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾ فوجب [عليها][4] الوعيد ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ﴾ فأهلكناها إهلاكا.

١٧- ﴿ وَكَمۡ ﴾ مفعول ﴿ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ بيان لكم ﴿ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٍۗ ﴾ يعني : عادا وثمود وغيرهما ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا ﴾ وإن أخفوها في الصدور ﴿ بَصِيرًا ﴾ وإن أرخوا عليها الستور.

١٨- ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ لا ما يشاء ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ بدل من (له) بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل، إذ الضمير يرجع إلى " من " أي من كانت العاجلة همه، ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا[5] عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد المعجل بمشيئته، والمعجل له بإرادته،

---

(١) انظر التلخيص : ٣١٠، والكنز : ١٨٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣ / ٤٦٨ عن سويد بن هبيرة مرفوعا، والطبراني في الكبير : ٧ / ٩١، رقم : ٦٤٧٠، عنه أيضا وعزاه إليهما في الجامع الأزهر، ٢ / ٢٢٧، وقال : " ورجال أحمد ثقات ".

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢٣٢.

(٤) في الأصل : عليه، والصواب : المثبت.

(٥) في " ب " ففضلنا.

وهكذا الحال، ترى كثيراً من هؤلاء يتمنو[ن] ما يتمنو[ن]،ولا يعطون إلا بعضا منه، وكثيراً منهم يتمنو[ن][1] ذلك البعض وقد حُرِموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة، فإن أوتي حظاً من الدنيا فبها، وإلا فربما كان الفقر خيراً له.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ ﴾ في الآخرة ﴿ يَصْلَىٰهَا ﴾ يدخلها ﴿ مَذْمُومًا ﴾ ممقوتا ﴿ مَّدْحُورًا ﴾ مطروداً من رحمة الله.

١٩- ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ هو مفعول به أي[2] : حقّها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ مصدق لله في وعده ووعيده ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ مقبولا عند الله مثاباً عليه.

عن بعض السلف : من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله : إيمان، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا الآية[3] ؛ فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في السعي مشكوراً : إرادة الآخرة والسعي فيما كلِّف، والإيمان الثابت.

---

(١) في الأصل : يتمنوا، في المواضع الثلاثة، بحذف نون الرفع، والأشهر : المثبت، وإنما قلت : الأشهر، لأن الحذف بلا ناصب ولا جاز مورد قليلا في النثر والنظم، ومنه في النثر : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا " رواه مسلم، كتاب الإيمان : ٩٤، وفي النظم قول الراجز :

أبيتُ أسري وتبيتي تَدْلكي وجْهكِ بالعنبر والمسكِ الذكي

انظر : شرح الكافية لابن مالك : ١ / ٢٠٩ — ٢١١.

(٢) في " ج " أو.

(٣) الكشاف : ٢ / ٦٣٠. وهو كلام يتضمن معنى الإيمان الذي هو : إقرار : واعتقاد، عمل، والعمل — وهو من الإيمان — لا يكون إلا عن إخلاص وبعد إقرار. والشرائط : جمع : شريطة على زنة فعيلة.

٢٠- ﴿ كُلًّا ﴾ كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض عن المضاف إليه[١]، وهو منصوب بقوله ﴿ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ بدل من "كل نمد هؤلاء" ﴿ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي : من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ رزقه. و " من ": تتعلق ب " نمد " والعطاء : اسم للمعطى، أي : نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعا عن عباده وإن عصوا.

٢١- ﴿ ٱنظُرْ ﴾ بعين الاعتبار ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في المال والجمال[٢] والسعة والكمال ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ روي أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر — رضي الله عنه — فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان، فقال سهيل بن عمرو : إنما أتينا[٣] من قبلنا، إنهم دعوا ودعينا، يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر [رضي الله عنه][٤] فكيف التفاوت في الآخرة، وإن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر[٥].

٢٢- ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به: أمته ﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ فتصير جامعا على نفسك.

---

(١) التقدير كل فريق. انظر : التبيان : ٢ / ٨١٦.

(٢) في " ج " الجاه.

(٣) في " ب " أوتينا. وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٥) الكشاف : ٢ / ٦٣١.

الذم والخذلان، وقيل : مشتوما بالإهانة محروما عن الإعانة إذ الخذلان ضد النصر والعون، دليله : قوله تعالى : " إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده "(١) حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

٢٣- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ وأمر أمرا مقطوعا به ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ "أن": مفسرة و "لا تعبدوا": نهي، أو : بأن لا تعبدوا ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وأحسنوا بالوالدين (إحسانا) وأحسنوا بالوالدين إحسانا، أو : بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ ﴾ " إما " : هي : " إن " الشرطية زيدت عليها " ما " تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل، ولو أفردت " إن " لم يصح دخولها : إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه ﴿ أَحَدُهُمَآ ﴾ فاعل " يبلغن "، وهو في قراءة حمزة وعلي : يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين(٢) ﴿ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ عطف على أحدهما فاعلا وبدلا ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ مدني وحفص، أف مكي وشامي، أف : غيرهم(٣)، وهو صوت يدل على تضجر، فالكسر على أصل التقاء الساكنين، والفتح للتخفيف والتنوين لإرادة التنكير، أي : أتضجر تضجرا، وتركه لقصد التعريف، أي : أتضجر [التضجر](٤) المعلوم ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ ولا تزجرهما عما

---

(١) آل عمران : (١٦٠).

(٢) انظر : الكشف : ٢ / ٤٣ ـــ ٤٤، والإتحاف : ٢ / ١٩٦، ويجوز أن يكون وقوع التثنية على لغة من يثنى الفعل مع المثنى والجمع، كما في الكاشف ٢ / ١٤.

(٣) انظر : الإرشاد : ٤٠٨، والإتحاف : ٢ / ١٩٦.

(٤) في الأصل : تضجر.

يتعاطيان، مما لا يعجبك والنهي والنهر أخوان ﴿ وَقُل لَّهُمَا ﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿ قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ جميلا لينا ؛ كما يقتضيه حسن الأدب، أو : هو أن يقول : يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما : فإنه من الجفاء، ولا بأس به في غير وجهه، كما قالت عائشة ــ رضي الله عنهما ــ نحلني أبو بكر كذا[1] وفائدة (عندك) أنهما إذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه، ولقد بالغ ــ سبحانه ــ في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليها بتوحيده، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنقلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد الإنسان يصبر معها.

٢٤- ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ أي : اخفض لهما جناحك، كما قال : (واخفض جناحك للمؤمنين) فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود، والمعنى : واخفض لهما جناحك الذليل ﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، وقال الزجاج : وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما[2] ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك، وتربيتهما لك، والمراد بالخطاب غيره ــ عليه السلام ــ والدعاء

---

(١) ذكره في الكشاف: ٦٣٢/٣، وعزاه ابن حجر إلى الموطأ.

(٢) معاني القرآن : ٣ / ٢٣٥.

مختص بالأبوين المسلمين، وقيل إذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان، وأن يدعو الله لهما بالهداية،وعن النبي ـ [صلى الله عليه وسلم][1] ـ " رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما "[2] وروي : " يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار، يفعل[3] العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة "[4] وعنه ـ عليه السلام ـ : " إياكم وعقوق الوالدين ؛ فإن الجنة يوجد[5] ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها[6] عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إن الكبرياء لله رب العالمين " [7].

---

(١) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل : عليه السلام، واكتفى في " ب " بالرمز : (عليه).

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ٤ / ٢٧٤، برقم ١٨٩٩، كتاب البر والصلة، باب فضل رضا الوالدين، وابن حبان في صحيحه ١ / ٣٢٨ برقم ٤٣ والحاكم في المستدرك ٤ / ١٥٢ من طريق عبد الرحمن ابن مهدي عن شعبة مرفوعا. وعزاه في الجامع الأزهر ٢ / ٢٣٨ إلى البزار من حديث ابن عمر، وأعله بعصمة بن محمد الأنصاري وهو متروك.

(٣) في " ب " و " ج " ويفعل.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره : ورقة : ٣٦ ، وقال ابن حجر : في إسناده محمد بن غالب غلام خليل ، وهو كذاب .

الكافي الشاف : ٢ / ٦٣٣ .

(٥) في " ج " توجد.

(٦) ساقط من " ج ".

(٧) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال : ١٦ / ٧٧ برقم : ٤٤٠٠٠ ، وعزاه للديلمي من حديث علي ، وعزاه ابن حجر إلى ابن عدي من رواية محمد بن الفرات وهو متروك . الكافي الشاف : ٢ / ٦٣٥ .

٢٥- ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ ﴾ بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين، ومن النشاط والكرامة في خدمتهما ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ ﴾ قاصدين الصلاح والبر، ثم فرطت[1] منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة[2] تؤدي إلى أذاهما، ثم أبتم إلى الله واستغفرتم منها ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ الأواب : الذي إذا أذنب بادر إلى التوبة، وجاز[3] أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويتدرج تحته الجاني على أبويه، التائب من جنايته لوروده على أثره.

٢٦- ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ منك ﴿ حَقَّهُۥ ﴾ أي : النفقة إذا كانوا محارم فقراء ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي : وآت[4] هؤلاء حقهم من الزكاة ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ ولا تسرف إسرافا، قيل : التبذير : تفريق المال في غير الحل والمحل، فعن مجاهد : " لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا "[5] وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه : لا خير في السرف، فقال : لا سرف في الخير[6].

---

(١) سبقت، القاموس : ٨٧٩. (فرط).

(٢) هي الحاجة ويعبر بها عن كل شئ، انظر : اللسان : ١٥ / ٣٦٩ (هنا).

(٣) في " ج " فجاز.

(٤) لفظ : (أي) و (وآت) : ساقط من " ب ".

(٥) ذكره ابن جرير عنه في تفسيره : ١٥ / ٧٤.

(٦) ذكره في الكشاف : ٢ / ٦٣٥.

٢٧- ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أمثالهم في الشرارة(١)، وهي غاية المذمة ؛ لأنه(٢) لا شر من الشيطان أو : هم إخوانهم وأصدقاؤهم، لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ فما ينبغي أن يطاع ؛ لأنه(٣) لا يدعو إلا إلى مثل فعله.

٢٨- ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ وإن أعرضت عن ذي القربى وابن السبيل حياء من الرد ﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ أي : وإن(٤) أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك، فسمى الرزق رحمة، فردهم ردا جميلا، فوضع الابتغاء موضع الفقد ؛ لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء، والابتغاء مسببا عنه، فوضع المسبب موضع السبب، يقال يسر الأمر وعسر، مثل سعد ونحس(٥)، وقيل : معناه : فقل لهم : رزقنا الله وإياكم من فضله(٦) كأن معناه قولا ميسورا، وهو اليسر، أو دعاء فيه يسر و " ابتغاء " مفعول له، أو : مصدر في موضع الحال و " ترجوها " حال أيضا(٧).

---

(١) الشر، فعله كنصر وضرب. القاموس : ٥٣١ (شرر).

(٢) لفظ : (لأنه) ساقط من " ب ".

(٣) في " ج " فإنه.

(٤) في " ب " فإن.

(٥) " ميسور " على زنة : مفعول : من المتعدي، وهذا الفعل يأتي لازما ومتعديا، تقول : يسرى لك كذا إذا أعددته، انظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٨.

(٦) في " ج " زيادة : على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم.

(٧) سقط من " ج ".

٢٩- ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ "كل" نصب على المصدر لإضافته إليه، وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير ﴿ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا ﴾ فتصير ملوما عند الله، لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس، يقول الفقير : أعطى فلانا وحرمني، ويقول الغني : ما يحسن تدبير المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت ﴿ مَّحۡسُورًا ﴾ منقطعا بك لا شئ عندك، من : حسره السفر إذا أثر فيه أثرا بليغا، أو عاريا، من : حسر رأسه، وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في أنه[(١)] أجود من موسى ـ عليه السلام ـ فبعثت ابنها تسأله قميصه الذي عليه، فدفعه وقعد عريانا، فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة، فنزلت[(٢)] ثم سلى رسول الله ـ [صلى الله عليه وسلم ـ عما كان يرهقه من الإضافة][(٣)] بأن ذلك ليس بهوان[(٤)] منك عليه ولا لبخل به عليك، ولكن لأن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى، فقال :

٣٠- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فليس البسط إليك ﴿ وَيَقۡدِرُ ﴾ أي : هو يضيق فلا لوم عليك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا ﴾ بمصالحهم فيمضيها ﴿ بَصِيرًا ﴾ بحوائجهم فيقضيها.

---

(١) في " ج " زيادة : يعني محمدا عليه السلام.

(٢) أورده السمرقندي في بحر العلوم : ٢ / ٢٦٦، والسيوطي في الدر المنثور : ٤ / ١٧٨.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج "، وفي الأصل و " ب " عليه السلام، وما بعده من " ج ".

(٤) في " ب " و " ج " لهوان.

٣١- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ قتلهم أولادهم: وأدهم بناهم ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ فقر ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ نهاهم عن ذلك[١] وضمن أرزاقهم ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ إثما عظيما، يقال : خطئ خطأ كأثم إثما. خطأ : يزيد[٢]. وهو ضد الصواب، اسم من أخطأ، وقيل : هو والخطء كالحذر والحذر. خطآء : بالمد والكسر : مكي[٣].

٣٢- ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ القصر فيه أكثر، والمد لغة، وقد قرئ بـه، وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما، ولو أريد النهي عن نفس الزنى لقال : ولاتزنوا ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ معصية مجاوزة حد الشرع والعقل ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ وبئس طريقا طريقه.

٣٣- ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالكتاب ما يبيح الدم ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾ عير مرتكب كما يبيح الدم ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه[٤] ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾ الضمير للولي، أي : فلا

---

(١) لفظ (عن ذلك) ساقط من " ب ".

(٢) في " ج " شامي. وله وجه أيضا، لأنه من رواية ابن ذكوان يوافق أبا جعفر، وهو يزيد المذكور.

(٣) ينظر : التلخيص : ٣١١، والإرشاد : ٤٠٩، والنشر ٢ / ٣٠٧، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بفتح الخاء والطاء كما في الإرشاد والنشر (الصفحة نفسها).

(٤) قال مجاهد : " كل سلطان في القرآن حجة، وكل ظن في القرآن فهو يقين ". تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٦٧، وفيما قاله في الظن نظر.

يقتل غير القاتل ولا اثنين و القاتل واحد، كعادة أهل الجاهلية، أو : الاسراف: المثلة[1] أو : الضمير : للقاتل الأول ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: حمزة وعلي[2] : على خطاب الولي، أو : قاتل المظلوم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير للولي، أي : حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك، أو: للمظلوم، أي : الله ناصره : حيث أوجب القصاص بقتله ونصره في الآخرة بالثواب أو : للذي بقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله : فإنه كان منصورا بإيجاب القصاص على المسرف[3] وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجري بيد الحر والعبد وبيد المسلم والذمي، لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة في الآية، لكونها محرمة.

٣٤- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة والطريقة التي هي أحسن، وهي : حفظه عليه[4] وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي :

---

(١) ولا يبعد حمل المعنى على جميع الوجوه المذكوره، لأنها مشتركة في كونها إسرافا، كما قال القفال. انظر تفسير الفخر الرازي : ٢٠ / ١٦٢، وقيل : لا يقتل بعد العفو أو أخذ الدية. ذكره السمرقندي في بحر العلوم : ٢ / ٢٦٨.

(٢) انظر : التلخيص : ٣١١، والنشر : ٢ / ٣٠٧.

(٣) وقيل : الهاء راجعة إلى القاتل الظالم، لأنه منصور من الله ــ تعالى ــ في طلب الزيادة، فلا يطلب منه زيادة على القصاص. انظر : اللباب : ١٢ / ٢٧٦، وقيل : إلى الدم، وقيل : إلى القتل، وقيل : إلى الحق. ذكر الوجوه الأربعة العكبري في التبيان : ٢/ ٨١٦، وقراءة من قرأ بالتاء تمنع أن يكون الضمير راجعا إلى الولي. لأن الخطاب له.

(٤) لفظ (عليه) ساقط من " ج ".

ثماني عشرة سنة[1] ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ بأوامر الله[2] ونواهيه ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ مطلوبا يطلب من العاهد[3] أن لا يضيعه ويفي به، أو: إن صاحب العهد كان مسئولا.

٣٥- ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ﴾ وبكسر[4] القاف: حمزة وعلي وحفص[5] [6]، وهو كل ميزان، صغر أو كبر[7] موازين الدراهم وغيرها، وقيل هو: القريطون، والمستقيم المعتدل ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ في الدنيا ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ عاقبة، وهو: تفعيل، من آل إذا رجع وهو ما يئول إليه.

---

(١) الأشد: مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة، اللسان: ٣ / ٢٣٦. ولا يكون ــ في الغالب ــ إلا مع البلوغ، وقد قال الله تعالى: (فإن ءانستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) [النساء: ٦].
وحده بهذا العدد لا يعرف له وجه، كما حكاه في اللسان عن أبي إسحاق الزجلج، وقال ابن عطية: " لا أحفظ من يقوله " والظاهر: أن المراد الأشد في القرآن وفي لغة العرب: مابين البلوغ والإدراك إلى تمام أربعين، كما تقتضيه الآيات الواردة بذكره.

(٢) في " ج " زيادة: تعالى.

(٣) في " ج " المعاهد.

(٤) في " ج " بكسر.

(٥) وحفص: ساقط من " ب ".

(٦) انظر: الإرشاد: ٤٠٩، والنشر: ٢ / ٣٠٧، والإتحاف: ٢ / ١٩٧.

(٧) في " ج " صغير أو كبير.

٣٦- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ولا تتبع مالا[١] تعلـــم، أي : لا تقل : رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت، وعن ابن الحنفية : لا تشهد بـالزور[٢]، وعن ابن عباس [رضي الله عنهما][٣] : لاترم[٤] أحدا بمـا لم[٥] تعلـم[٦] ولا يصح التشبث[٧] به لمبطل الاجتهاد[٨] ؛ لأن ذا[٩] نـوع مـن العلـم " فـإن علمتموهن مؤمنات "[١٠] وأقام الشرع[١١] غالب الظن مقام العلم وأمر العمل بـه كما في الشهادات، ولنا في العمل بخبر الواحد لما ذكرنـا ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ "وأولئك " إشارة إلى السـمع والبصر والفؤاد، لأن "أولئك" كما يكون[١٢] إشارة إلى العقلاء يكون إشـارة إلى غيرهم، كقول جرير :

---

(١) في " ج " مالم.

(٢) أورده الطبري في تفسيره : ١٥ / ٨٦ .

(٣) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٤) في الأصل : لا ترمي , وله وجه.

(٥) في " ج " لا.

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف : ٢ / ٦٤٠، والرزاي في " تفسيره " : ٢٠ / ١٦٦.

(٧) في " ج " التثبت. وهو خطأ.

(٨) لعل المصنف أراد بالاجتهاد القياس، وهو نوع من الاجتهاد، ونفي الأخص لا يعـني نفي الأعم، ولابن عادل الحنبلي بحث في هذه الآية ومناقشة نفاة القياس،وأصحابـه، أفرده بفصل. راجع اللباب : ١٢ / ٢٨٢ ــ ٢٨٤.

(٩) في " ج " ذلك.

(١٠) الممتحنة : (١٠).

(١١) في " ج " الشارع.

(١٢) في " ب " تكون.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام[١]

و " عنه " : في موضع الرفع بالفاعلية، أي : كل واحد منها كان مسئولا عنه، فمسئول : مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في (غير المغضوب عليهم)[٢] يقال للإنسان : لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم[٣] يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه، كذا في " الكشاف" وفيه نظر لبعضهم ؛ لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل، فأما إذا تقدما فلا[٤].

٣٧ - ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ هو حال أي : ذا مرح ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك ﴿ وَلَن

---

(١) البيت من الكامل وهو في ديوانه : ٤١٦، بلفظ " الأقوام " بدل الأيام، وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه، وجاء بلفظ " الأيام " في أكثر كتب التفسير والإعراب. انظر : تفسير ابن جرير : ١٥ / ٨٧، والكشاف : ٢ / ٦٤١، والتبيان : ٢ / ٨٢١، وإعراب النحاس : ٢ / ٤٢٤.

(٢) الفاتحة : (٧).

(٣) في " ب " لا.

(٤) ولا يصح التنظير بآية الفاتحة لجريانها على مقتضى الأصل، وحكم النائب عن الفاعل حكم الفاعل في أنه لو تقدم كان مبتدأ، وقد نقل العكبري كلام الزمخشري ثم صرح بغلطه فيه والرد عليه، انظر التبيان : ٢ / ٨٢١، وقال أبو حيان في البحر : ٥ / ٣٣ ــ ٣٤ : " لايجوز " وذكر أيضا أنه لا يجوز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جارا ومجرورا حتى عند من يجيز تقديم الفاعل من الكوفيين.

وانظر : الدر المصون : ٧ / ٣٥٤، واللباب : ١٢ / ٣٨٥.

﴿ تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولًا ﴾ بتطاولك، وهو تهكم بالمختال أو : ولـــن[1] تحاذيـــها قوة، وهو حال من الفاعل أو المفعول.

٣٨- ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ كوفي وشامي ؛ على إضافة سيئ إلى ضمـــير "كل" سيئة : غيرهم.[2] ﴿ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ﴾ ذكر " مكروها "، لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب، والإثم زال عند حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثـــه، ألا تراك تقول : الزنا سيئة كما تقول : السرقة سيئة[3] فإن قلـــت ؛ الخصـــال المذكورة بعضها سيئ، وبعضها حسن، ولذلك قرأ من قرأ " ســـيئه " بالإضافـــة، أي: ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها، فما وجه قراءة من قرأ سيئة ؟ قلت : كل[4] ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة.

٣٩- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قوله (لا تجعل مع الله إلها آخر) إلى هـــذه الآية[5] ﴿ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ مما يحكم العقل بصحتـــه وتصلح النفس بأسوته.

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴾ مطرودا من الرحمة، عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ : هذه الثماني عشرة آية كـــانت

---

(١) في " ج " ولن.

(٢) انظر : الغاية : ١٩١، والنشر : ٢ / ٣٠٧.

(٣) هذا التخريج للزمخشري، الكشاف : ٢ / ٦٤١ ـــ ٦٤٢. ونقله أبو حيان في البحر : ٦ / ٣٥ : واستحسنه مع كثرة تعقبه والرد عليه، حتى إن القارئ ليحكم عليه ـــ لأول وهلة ـــ بالتحامل المقصود، ومثل هذا يبرئه ويمثل الإنصاف.

(٤) سقط من " ب ".

(٥) في " ب " و " ج " الغاية. وكلاهما صحيح.

في ألواح موسى عليه السلام[1] أولها : " لا تجعل مع الله إلها آخر " وآخرها " مدحورا ". ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك ؛ لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة، وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه[2] السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم. ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله :

٤٠- ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ الهمزة : للإنكار، يعني : أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد، وهم البنون ﴿ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ واتخذ أدونهم، وهي البنات، وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم، فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها، ويكون أردؤها وأدونها للسادات ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ حيث أضفتم إليه الأولاد، وهي من خواص الأجسام، ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون.

٤١- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ أي : التنزيل، والمراد : ولقد صرفناه، أي : هذا المعنى في مواضع من التنزيل، فترك الضمير لأنه معلوم ﴿ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ وبالتخفيف : حمزة وعلي[3] أي : كررنا ليتعظوا ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحق، وكان الثوري إذا قرأها يقول : زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا.

---

(١) أورده في الكشاف : ٢ / ٦٤٢.

(٢) هو ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره، جمعه : يوافيخ، أصله : (يفخ) وذكره المجد في فصل الهمزة تبعا للجوهري مع تعقبه عليه في الإتيان به هنا. انظر القاموس : ٣١٧ (أفخ).

(٣) انظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٣، ولم أجدها في غيره ولا في تفسيره المجموع.

٤٢- ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ﴾[1] ﴿ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ وبالياء : مكي وحفص[2] ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ يعني لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، أو : لتقربوا إليه، كقوله: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) و " إذا " : دالة على أن ما بعدها وهو " لا ابتغوا " جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ " لو".

٤٣- ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ وبالتاء : حمزة وعلي[3] ﴿ عُلُوًّا ﴾ أي : تعاليا، والمراد : البراءة من ذلك والنزاهة ﴿ كَبِيرًا ﴾ وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به.

٤٤- ﴿ تُسَبِّح ﴾ بالتاء : عراقي غير أبي بكر[4] ﴿ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي : يقول : سبحان الله وبحمده.

عن السدي : قال عليه السلام : " ما اصطيد حوت في البحر ولا طير يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى "[5] ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

---

(١) في " ج " (معه) : مع الله.

(٢) انظر : التلخيص : ٣١١، والإرشاد : ٤١٠، والنشر : ٢ / ٣٠٧.

(٣) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٤٨، والكنز : ١٨٦، والنشر : ٢ / ٣٠٧.

(٤) انظر : الإرشاد : ٤١٠، والكنز : ١٨٦، والتحبير : ١٣٦، والمراد بالعراقي : أهل الكوفة والبصرة وهم من قراء السبعة : أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي. ورواهم الذين منهم أبو بكر (شعبة).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧ / ٢٤٠، من حديث أبي هريرة مرفوعا. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٨٤ لإسحاق وأحمد وابن شيبة عن أبي بكر مرفوعا.

لاختلاف اللغات، أو : لتعسر الإدراك، أو : يسبب[١] لتسبيح الناظر إليه والدال على الخير كفاعله، والوجه : الأول[٢] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا ﴾ عن جهل العباد ﴿ غَفُورًا ﴾ لذنوب المؤمنين.

٤٥- ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ ذا ستر، أو : حجابا لا يرى فهو مستور[٣].

٤٦- ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾، جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ نقلا يمنع عن

---

(١) في " ب " تسبب، وفي " ج " سبب.

(٢) هو ما كان عدم فقهه يسبب اختلاف اللغات، وهو معنى قول الحسن وقتادة والضحاك : إنه كل ذي روح. انظر : زاد المسير : ٥ / ٣٠، وقوله : " لتعسر الإدراك يشمل الوجه الأول وغيره، وهو قول من قال : جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي، كما في النكت والعيون : ٢ / ٤٣٦، فهذان قولان في معنى الآية، والثالث : أن كل ذي روح وكل نام من شجر أو نبات يسبح بحمده، ذكره في زاد المسير عن عكرمة ج ٥ / ٣٠. والرابع : ذكره المصنف.

(٣) هذا الحجاب : هو الطبع على قلوبهم وحجبها حتى لا يفهم ما يقرأ عليهم فينتفعوا به، وهو الذي اختاره ابن جرير في تفسيره : ١٥ / ٩٣، وانظر تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٧٠، وفي لفظ " مستورا " وجه آخر وهو : أن يكون بمعنى فاعل كقولهم في مشئوم وميمون بمعنى شائم ويامن، ذكره الأخفش في معاني القرآن : معاني القرآن :.

وقيل : هو وصف على معنى المبالغة كقولهم : شعر شاعر، واعترض عليه بأن المبالغة . تكون باسم الفاعل، وفي اللفظ الأول، فلو قال ـــ هنا : حجابا حاجبا لصح المعنى. انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٤٦٠، والدر المصون ٧ / ٣٦٢ ـــ ٣٦٣.

الاستماع ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾ يقال : وحد يحد وحدا وحدة[1] نحو : وعد يعد وعدا وعدة، فهو مصدر سد مسد الحال[2]، أصله: يحد وحده بمعنى واحد ﴿ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ ﴾ رجعوا على أعقابهم ﴿ نُفُورًا ﴾ مصدر بمعنى التوليه، أو : جمع نافر كقاعد وقعود، أي : يحبون أن تذكر معه آلهتهم، لأنهم مشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا.

٤٧- ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي : نحن أعلم بالحال، أو : الطريقة التي يستمعون القرآن به[3] فالقرآن هو المستمع، وهو محذوف، و " به " حال وبيان لـ " ما " أي : يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم أن يستمعوه جادين ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ نصب بـ " أعلم " أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ بما يتناجون به، إذ هم ذوو نجوى[4] ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّٰلِمُونَ ﴾ بدل من "إذ هم" ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ سحر فجن.

---

(١) ساقط من " ب ".

(٢) لا يثنى ولا يجمع، ونصبه على الحال عند البصريين لا على المصدر. القاموس : ٤١٤ (وحد).

(٣) في " ج " بها، وكلاهما صواب، لأن ما في الأصل يعود على الحال، وما هنا يعود عليها، أو على الطريقة.

(٤) ويجوز أن يكون جمع نجيّ كقتيل وأسير لأسرى وقتلى. انظر : التبيان للعكبري : ٢ / ٨٢٤، وقيل : هو مصدر أُطلق على العين مبالغة، انظر : الدر المصون : ٧ / ٣٦٥.

٤٨- ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون ﴿ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾ أي: فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في النية طريقا يسلكه فلا يقدر عليه، فهو مخير في أمره لا يدري ما يصنع.

٤٩- ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ أي: منكروا البعث ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ أي: مجدّدا، و "خلقا": حال، أي: مخلوقين.[1]

٥٠ – ٥١- ﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ أي: السماوات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ﴾ يعيدكم ﴿ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ والمعنى: أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويردّه إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة، وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ﴾ فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاءا ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ ﴾ أي: البعث استبعادا له ونفيا ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ أي: هو قريب و "عسى": للوجوب.

٥٢- ﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ إلى المحاسبة وهو يوم القيامة ﴿ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ أي: تجيبون حامدين، والباء للحال. عن سعيد بن جبير: ينفضون

---

(١) من هنا إلى آخر تفسير آية (٥٩) ساقط من "ب".

التراب عن رؤوسهم، ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك[1] ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : لبثا قليلا، أو : زمانا قليلا في الدنيا، أو : في القبر.

٥٣- ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ وقل للمؤمنين ﴿ يَقُولُوا۟ ﴾ للمشركين الكلمة ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وألين ولا يخاشنوهم، وهي : أن يقولوا : يهديكم الله ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة، والنزغ : إيقاع الشر وإفساد ذات البين، وقرأ طلحة[2] : ينزع بالكسر، وهما لغتان[3] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ظاهر العداوة أو : فسر التي هي أحسن بقوله:

٥٤- ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالخذلان، أي : يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم : إنكم من أهل النار، وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر، وقوله : إن الشيطان ينزغ بينهم : اعتراض ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) زاد المسير : ٥ / ٣٥.

(٢) هو ابن مصرف بن عمرو، أبو محمد ويقال له : أبو عبد الله الهمداني اليامي، الكوفي، تابعي كبير، له : اختيار في القراءة ينسب إليه. توفي عام ١١٢ هـ. غاية النهاية: ١/ ٣٤٣.

(٣) قال الزمخشري : " وقرأ طلحة : " ينزع " بالكسر، وهما لغتان، نحو يعرشون ويعرشون " الكشاف : ٢ / ٦٤٦، وفي البحر : ٦ / ٤٩ : عن أبي حاتم لعلها لغة، والقراءة بالفتح ".

وَكِيلًا ﴾ حافظا لأعمالهم وموكولا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا، فدارهم ومر أصحابك بالمدارة.

٥٥- ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وبأحوالهم وبما[١] يستأهل كل واحد منهم ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فيه إشارة إلى تفضيل رسول ـ [الله صلى الله عليه وسلم[٢]][٣] ـ وقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم، لأن ذلك مكتوب في زبور داود، قال الله تعالى " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون "[٤] وهم محمد وأمته، ولم

---

(١) في " ج " وبكل ما.

(٢) ليس في الآية ـ والله أعلم ـ ما يفهم منه تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم وغاية ما تفيده : أن بعضهم أفضل من بعض كما هو واضح من غير تكلف، وتفضيله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفهم من نصوص أخرى، وأما هذه الآية مستقلة، فلا أرى فيها ذلك إن كان الذهن خاليا من اعتبارات خارجة بسبب معاني نصوص أخرى، والكلام الذي ذكره المصنف بعد هذا موضحا به وجه دلالة ذلك لا يشفي ؛ لأن المذكور في الزبور : أنه خاتم الأنبياء، لا أفضل الأنبياء. ثم ما الدليل على أن الله أشار إلى تفضيل نبينا بذكر زبور داود بعد ذلك ؛ لأنه ذكر فيه فضله وفضل أمته. وقد قال الله تعالى : بعد ذكر سليمان والأنبياء من قبله : (وآتينا داود زبورا)، فما الفرق بينهما ؟.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل : عليه السلام.

(٤) الأنبياء : ١٠٥.

يعرف الزبور هنا، وعرفه في قوله : " ولقد كتبنا في الزبور "[1] لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل[2].

٥٦- ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنها آلهتكم ﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾ من دون الله، وهم الملائكة، أو عيسى وعزير، أو : نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن و لم يشعروا ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ أي : ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض وفقر أو عذاب، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر.

٥٧- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ صفته[3] أي يدعوهم آلهة، أو يعبدوهم، والخبر ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ يعني : أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة، وهي القربة إلى الله عز و جل ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ بدل من واو ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾، وأي : موصولة، أي : يبتغي من هو ﴿ أَقْرَبُ ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب، أو ضمن " يبتغون الوسيلة " معنى يحرصون، فكأنه قيل : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بالطاعة وازدياد الخير ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ كغيرهم من عباد الله وكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم.

---

(١) الأنبياء : ١٠٥.

(٢) هذه اللام هي اللام التي تكون للمح الأصل، ولا تفيد تعريفا (فذكرذا وحذفه سيان) كما قال ابن مالك في الألفية.

(٣) في "ج " صفة.

٥٨- ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾ الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ مَسْطُورًا ﴾ مكتوبا، وعن مقاتل : وجدت في كتب الضحاك[١] في تفسيرها : أما مكة : فيخربها الحبشة، وتهلك المدينة : بالجوع والبصرة : بالغرق، والكوفة : : بالترك، والجبال : بالصواعق والرواجف،وأما[٢] خراسان[٣] : فعذابها ضروب وأما بلخ[٤] : فيصيبهم[٥] هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام، وأما ترمذ : فأهلها يموتون بالطاعون، وأما صغانيان[٦] إلى واشجرد[٧] فيقتلون بقتل ذريع، وأما : سمرقند[٨] فيغلب عليها بنو قنطوراء، فيقتلون أهلها قتلا ذريعا، وكذا فرغانة[٩]، والشاس[١٠]، وإسفيجاب وخوارزم، وأما بخارى[١١] : فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا، وأما مرو[١] : فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء

---

(١) الضحاك بن مزاحم الخراساني، المفسر، توفي بخراسان عام ١٠٥ هـ الأعلام : ٣ / ٢١٥.

(٢) في " ج " أما.

(٣) بلاد واسعة بين العراق والهند، معجم البلدان : ٢ / ٤٠١.

(٤) قصبة بخراسان بها مدن كثيرة، افتتحت في عهد عثمان بن عفان. أحسن التفاسير في معرفة الأقاليم للبشاري : ٢٣٥، ومعجم البلدان : ١ / ٤٧١.

(٥) في " ج " فتصيبهم.

(٦) من مدن ماوراء النهر من خراسان، من أكبر المدن التي عن يسار المشرق من مدينة." بلخ " ٣٦١.

(٧) من مدن ما وراء النهر، قريبة من ترمذ، معجم البلدان : ٥ / ٣٥٣.

(٨) من مدن ما وراء النهر من خراسان، الروض المعطار : ٣٦١.

(٩) من مدن ما وراء النهر من خراسان، الروض المعطار : ٣٦١.

(١٠) من مدن ما وراء النهر من خراسان، الروض المعطار : ٣٦١.

(١١) من مدن ما وراء النهر من خراسان، الروض المعطار : ٣٦١.

قحطا وجوعا، وأما مرو[1] : فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد، وأما هراة[2] : فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا، وأما نيسابور : فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم، وأما الري[3] : فيغلب عليها الطبرية والديلم[4] فيقتلونهم، وأما أرمينية[5] وأذربيجان[6] : فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف، وأما همذان : فالديلم يدخلها ويخربها، وأما حلوان : فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير، ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر، فويل لأهل مصر[7] ولأهل دمشق، وويل لأهل إفريقية، وويل لأهل الرملة،ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان : فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة

---

(١) من خراسان، وتسمى أم خراسان، والمرو بالفارسية : المرح، وإذا أطلقوا " مرو " فهو مرو الشاهجان، وهناك " مرو الروذ " والنسبة إلى مرو : مروزي، على غير قياس. الروض المعطار : ٥٣٢ و ٥٣٣.

(٢) بلد في خراسان، مشهورة بكثرة المياه، افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان، انظر : الروض المعطار : ٥٩٤ ـــ ٥٩٥.

(٣) كورة قريبة من طبرستان وجرجان، افتتحت في خلافة عمر، والنسبة إليها : رازي، الروض المعطار : ٢٧٨ ـــ ٢٧٩.

(٤) قبيلة تنتهي إلى ضبة قريبة من طبرستان، كانوا كفارا إلى مدة الحسن بن زيد (ينتهي نسبه إلى علي) فداخلتهم العلوية فأسلموا. الروض المعطار : ٢٥٥.

(٥) بكسر الهمزة وسكون الراء، بلد فيه كور كثيرة، فتحها : سلمان بن ربيعة البلهلي، سنة أربع وعشرين، الروض المعطار : ٢٥ ـــ ٢٦.

(٦) كورة تلي الجبل من بلاد العراق، والنسبة إليها أذربي. الروض المعطار : ٢٠ ـــ ٢١. اجتمع فيها خمسة موانع صرفية.

(٧) في " ج " فويل لأهلها.

تأتيهم، ويموت العلماء، وأما كرمان[1] وأصبهان وفارس : فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة ينخلع[2] القلوب وتموت الأبدان[3].

٥٩- ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

استعير المنع لترك إرسال الآيات. و" أن " الأولى مع صلتها في موضع النصب، لأنه مفعول ثان لـ " منعنا "، و " أن " الثانية مع صلتها في موضع الرفع، لأنه فاعل " منعنا "، والتقدير : وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين، والمراد : الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا، ومن إحياء الموتى وغير ذلك، وسنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال، والمعنى : وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل. وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة.

ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون، ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح

[عليه السلام][4] ؛ لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم ووارده، فقال: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ ﴾ باقتراحهم ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ آية بينة ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ فكفروا بها ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ ﴾ إن أراد بها

---

(١) يمنة سجستان، مدينة عظيمة منيعة بين فارس وكرمان , كتاب البلدان للبغنوي : ٥٤.

(٢) في " ج " تنخلع.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشاف : ٢ / ٦٤٧، مختصرا، وأبو حيان في البحر : ٦ / ٥١.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ".

الآيات المقترحة فالمعنى : لا نرسلها ﴿ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى : وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له.

٦٠- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته، فلا ينال بهم وامض لأمرك وبلغ ما أرسلت به، أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم، وذلك قوله : " سيهزم الجمع ويولون الدبر "[١] "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون"[٢] فجعله كأن قد كان ووجد، فقال: أحاط بالناس على سنته في إخباره، ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه، فقد كان يقول حين ورد ماء بدر : " والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم "[٣] وهو يومئ إلى الأرض فيقول[٤] : " هذا مصرع فلان "، هذا مصرع فلان[٥] فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما

---

(١) القمر : ٤٥.

(٢) في " ج " زيادة : إلى جهنم وبئس المهاد. وهي تتمة الآية : (١٢) من سورة آل عمران.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره : ٩ / ١٢٤، والبيهقي بالدلائل ٣ / ١٠٧ عن ابن شهاب موسى بن عقبة مرسلا. وعزاه السيوطي في الدر ٣ / ١٦٤ إلى البيهقي بالدلائل أيضا.

كتاب الجهاد، باب غزوة بدر (١٧٠/٥)

والحديث بمعناه في صحيح مسلم/ من حديث أنس، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ".

(٤) في "ج " ويقول.

(٥) في "ج " بدون تكرار.

أري في منامه من مصارعهم، فكانوا يضحكون ويسخرون، ويستعجلون به استهزاء.[1] ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي : ما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فإنهم حين سمعوا بقوله : " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم "[2] جعلوها سخرية وقالوا : إن محمدا[3] يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول ينبت[4] فيها الشجر[5] وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ذلك، فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار، فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت في النار، فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع الجمر فلا تضرها[6] وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها.[7] والمعنى : أن الآيات إنما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم

---

(١) وقيل هي رؤيا عين أريها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسري به، وكانت الفتنةُ ارتدادَ قوم أسلموا ثم ارتدوا حين سمعو ذلك، انظر تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٧٤، والقرطبي : ١٠ / ٢٨٢، وسوف يأتي في آخر الآية إشارة المصنف إلى هذا المعنى.

(٢) الدخان ـ ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) في " ج " صلى الله عليه وسلم.

(٤) في " ج " تنبت.

(٥) في "ج " الشجرة.وهذا كلام صناديدهم كأبي جهل وأحزابه، انظر : القرطبي : ١٠ / ٢٨٢، حتى أن أبا جهل كان يقول : هاتوا لنا زبدا وتمرا ويقول : تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا، وقد حكي أن الشجرة الملعونة : بنو أمية، قال ابن كثير : " هو غريب ضعيف " تفسيره : ٤ / ٣٢٤، وقال القرطبي : " محدَث " تفسيره : ١٠ / ٢٨٦.

(٦) في "ج " يضرها.

(٧) انظر : الكشاف : ٢ / ٦٤٩.

فما أثر فيهم، ثم قال : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ أي : بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ التخويف ﴿ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحونه من الآيات، وقيل :الرؤيا هي الإسراء، والفتنة : ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول : كان الإسراء في المنام، ومن قال : كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية، وإنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له : لعلها رؤيا رأيتها، استبعادا منهم ؛ كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة. كقوله : "فراغ إلى آلهتهم "[١] "أين شركائ "[٢] أو : هي رؤيا أنه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية، فإن قلت : ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت : معناه : والشجرة الملعونة آكلوها[٣] وهم الكفرة لأنه قال : " [فـ][٤] إنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)[٥] فوصفت بلعن أهلها على المجاز، ولأن العرب تقول لكل طعام مكروه وضار[٦] : ملعون، ولأن اللعن : هو الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة.[٧]

---

(١) الصافات : ٩١.

(٢) النحل : ٢٧.

(٣) في "ج " آكلها.

(٤) الفاء ساقطة من الأصل وزيدت لأنها من الآية.

(٥) في " ج " : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون).

(٦) في " ج " ضار.

(٧) الكشاف : ٢ / ٦٤٩، وانظر : القرطبي : ١٠ / ٢٨٦.

٦١- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ هو تمييز، أو حال، أو : حال من الموصول، والعامل فيه "أسجد" له وهو طين، أي : أصله : طين[1].

٦٢- ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ ﴾ الكاف لا موضع لها ذكرت للخطاب تأكيدا ﴿ هَٰذَا ﴾ مفعول به، والمعنى : أخبرني عن هذا ﴿ ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ أي: فضلته، لم كرمته علي و "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين"[2] فحذف ذلك اقتصارا[3] والدلالة ما تقدم عليه، ثم ابتدأ فقال ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ ﴾ وبلا ياء : كوفي وشامي[4] واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ لأستأصلنهم بإغوائهم ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وهم المخلصون، قيل : من كل ألف واحد، وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام، أو : أنه رأى أنه خلق شهواني[5].

---

(١) جاز وقوعه حالا مع جموده، كأنه قال : متأصلا من طين، انظر : الدر المصون : ٧ / ٣٧٨، ولم يرتضِ أبو حيان إعرابه تمييزا، انظر : البحر : ٦ / ٥٤.

(٢) ص : (٧٦).

(٣) في " ج " اختصارا.

(٤) أثبتها في الوصل والوقف : ابن كثير، وأثبتها في الوصل نافع وأبو عمر، والباقون وهم الكوفي والشامي بلا ياء في الحالين. انظر : التذكرة : ٢ / ٤٠٩، والتحبير : ١٣٧.

(٥) وقيل : لأنه سمع الملائكة يقولون : (أتجعل فيها من يفسد فيها) [البقرة : ٣٠]. وقيل : لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما فقاس أولاده عليه، ذكرهما الفخر الرازي في تفسيره : ٢١ / ٤، ويمكن اندراج الأول في الإعلام الذي ذكره

٦٣- ﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ ﴾ ليس من الذهاب الذي ضد المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته ترجمانا وخذلانا وتخلية، ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال: ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ ﴾ والتقدير : فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب، فقيل : جزاؤكم، وانتصب ﴿ جَزَآءً مَّوۡفُورًا ﴾ أي : موفرا بإضمار تجازون.

٦٤- ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ بالوسوسة، أو : بالغناء أو: بالمزمار ﴿ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم ﴾ اجمع وصح بهم من الجلبة[1] وهي الصياح ﴿ بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ بكل راكب وماش من العبث، فالخيل : الخيالة، والرجل : اسم جمع للراجل، ونظيره : الركب والصحب، و" رجلك " حفص[2] ؛ على أن فعلا بمعنى فاعل، كتعب وتاعب، ومعناه : وجمعك الرجل، وهذا لأن أقصى ما يستطاع في طلب الأمور : الخيل والرجل، وقيل : يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ قال الزجاج : كل معصية في مال وولد فإبليس شريكهم فيها[3] كالرياء والمكاسب المحرمة، والبحيرة والسائبة، والإنفاق في الفسوق والإسراف، ومنع الزكاة، والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام، والتسمية بعبد العزى وعبد شمس ﴿ وَعِدۡهُمۡۚ ﴾ المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل. ونحو

المصنف، والثاني يحتاج إلى دليل يوضح أن الأمر بالسجود كان بعد خروجه من الجنة وظاهر القرآن يأباه.

(١) اختلاط الأصوات، القاموس : ٨٧ (جلب).

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٠٦، والتحبير : ١٣٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢٥٠.

ذلك ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب.

٦٥- ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ الصالحين ﴿ لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ يد بتبديل الإيمان ولكن بتسويل العصيان ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك، أو : حافظا لهم عنك، والكل أمر تهديد فيعاقب به، أو إهانة، أي : لا يخل ذلك بملكي.

٦٦- ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى ﴾ يجري ويسير ﴿ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ يعني : الربح في التجارة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴾.

٦٧- ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ﴾ أي: خوف الغرق ﴿ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾ ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده، فإنكم لا تذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو[1] الذي ترجونه، على الاستثناء المنقطع ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ ﴾ عن الإخلاص بعد الخلاص ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ أي: الكافر ﴿ كَفُورًا ﴾ للنعم.

٦٨- ﴿ أَفَأَمِنتُمۡ ﴾ الهمزة : للإنكار، والفاء : للعطف على محذوف تقديره : أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض ﴿ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ ﴾

---

(١) سقط من " ج ".

انتصب " جانب " بـ " يخسف " مفعولا به، كالأرض في قوله: "فخسفنا به وبداره الأرض "[١] و " بكم " حال، والمعنى : أن يخسف جانب البر، أي : يقلبه وأنتم عليه، والحاصل : أن الجوانب كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك، ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف، وهو تغييب تحت التراب، والغرق : تغييب تحت الماء، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب، وحيث كان ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ هي الريح التي تحصب، أي : ترمي بالحصباء، يعني : أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ يصرف ذلك عنكم.

٦٩- ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أم أمنتم أن يقوي دواعيكم، ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم فيه، فأعرضتم، فينتقم منكم بأن يرسل عليكم ﴿ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾ وهي الريح التي لها قصيف، وهو الصوت الشديد، أو هو الكاسر للفلك ﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ بكفرانكم النعمة، وهو إعراضكم حين نجاكم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ مطالبا، من قوله : " فاتباع بالمعروف "[٢] أي : مطالبة، والمعنى : إنا نفعل ما نفعل بهم، ثم لا تجدوا أحدا

(١) القصص : ٨١.

(٢) البقرة : ١٧٨.

يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا[1] أن نخسف، أو نرسل، أن نعيدكم ن فنرسل، فنغرقكم بالنون : مكي وأبو عمرو [2].

٧٠- ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ بالعقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والاستيلاء، وتسخير الأشياء، وتناول الطعام بالأيدي. وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف ــ رحمه الله[3] ــ فقال له : جاء في تفسير جدك ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قوله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم " : جعلنا لهم أصابع يأكلون بها. فأحضره[4] الملاعق فردها وأكل بأصابعه[5] ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ على الدواب ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ على السفن ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ باللذيذات، أو بما كسبت أيديهم ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ أي: على الكل، كقوله : " وأكثرهم كاذبون "[6] قال الحسن : أي : كلهم[7] وقوله: " وما يتبع أكثرهم إلا ظنا "[8] ذكر في " الكشاف "[9] أن المراد بالأكثر: الجميع، وعنه ــ عليه السلام ــ : " المؤمن أكرم على الله من الملائكة"[1] وهذا

---

(١) في " ج " زيادة : وهذا نحو قوله : ولا يخاف عقباها.

(٢) انظر : التلخيص : ٣١٢، والكنز : ١٨٦، والتحبير : ١٣٦.

(٣) في " ج " رحمه الله تعالى.

(٤) في " ب " و " ج " فأحضرت.

(٥) أوردها الزمخشري في الكشاف : ٢ / ٦٥٣، والرازي في تفسيره : ٢١ / ١٢ ــ ١٣.

(٦) الشعراء : ٢٢٣.

(٧) لم أجده في تفسير الحسن (المجموع).

(٨) يونس : ٣٦.

(٩) ٢ / ٣٣٤.

وعنه ــ عليه السلام ــ : " المؤمن أكرم على الله من الملائكة"[1] وهــذا لأنهم مجبولون على الطاعة، ففيهم عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بــلا عقــل، وفي الآدمي كلاهما، فمن [غلب][2] عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم، ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه.

٧١- ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾ منصوب باذكر ﴿ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[3] الباء : للحال، والتقدير [مختلطين][1] بإمامهم، أي[2] : بمن ائتموا به من نبي أو مقدم

---

(١) ذكره في الكشاف : ٢ / ٦٥٤ ــ ٦٥٥، موقوفا على أبي هريرة.وعزاه ابن حجر في الكافي ٢ / ٦٥٢ إلى البيهقي في الشعب من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفا، وأبو المهزم متروك.
وذكر له شاهدا مرفوعا ضعيفا.
وذكره المتقي بكتر العمال برقم : ٨٢١.

(٢) في الأصل : غلبت، والصواب المثبت.

(٣) قال الزمخشري : " ومن بدع التفاسير ؛ أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى ــ عليه السلام ــ وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا، وليت شعري أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟. الكشاف : ٢ / ٦٥٦ , ووجه نكارة هذا الكلام : الجهل بالصناعة الصرفية ولغة العرب، فلفظ : " أم " لا يجمع على " إمام ".
الوجه الثاني : إن الله أخبر عن عيسى في أكثر من موضع مضافا لأمه، وقد خلق من غير أب كرامة له لا غضا من شأنه.
الوجه الثالث : فيه تنقص لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ أشار إلى هذا المعنى مجملا : السمين في الدر : ٧ / ٣٩٠ ــ ٣٩٠.

في الدين، أو كتاب أو دين، فيقال : يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا، أو كتاب كذا، وقيل : بكتاب أعمالهم، فيقال : يا أصحاب كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ ﴾ من هؤلاء المدعويين ﴿ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ وإنما قيل : أولئك، لأن " من " في معنى الجمع ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيئ، ولم يذكر الكفار وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله :

٧٢- ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ ﴾ الدنيا ﴿ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ كذلك ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ من الأعمى، أي : أضل طريقا ، والأعمى : مستعار ممن لا يدرك المبصر، لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف " وأضل " ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا،والثاني مفخما ؛ لأن أفعل التفضيل تمامه بـ " من " فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلم[3] يقبل[4] الإمالة،وأما الأول فلم يتعلق به شيء، وكانت[5] ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة، وأمالها : حمزة وعلي، وفخمها

وأما أولاد الزنا فلا ذنب لهم حتى يترتب على ذلك افتضاح، وما الذنب إلا للأمهات، نقله الألوسي في تفسيره:(١٥/ ١٢١) عن صاحب الكشف (حاشية الطيبي على الكشاف) ثم رد عليه مع التسليم بما ذكر في أمر الجمع.

(١) في الأصل : مختلفين. ومعناه : غير مستقيم. .

(٢) في " ج " أو.

(٣) في " ج " فلا.

(٤) في " ب " فقبل.

(٥) في " ب " و " ج " فكانت.

الباقون[1] ولما قالت قريش : اجعل آية رحمة آية عذاب، وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل.

٧٣- ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ " إن " ؛ مخففه من الثقيلة، واللام فارقة بينهما وبين الثانية، والمعنى : إن الشأن : قاربوا أن يفتنوك، أي : يخدعوك فاتنين ﴿ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا[2] ﴿

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم من السبعة بالإمالة في الموضعين والباقون بالفتح، ووافق أبو عمرو في الأول فأماله. وغير خاف أن ورشا على أصله في إمالة ذوات الياء إمالة صغرى كشأنه في سائر ذوات الياء. انظر : الإرشاد : ٤١١، والتحبير : ١٣٦. وإمالة أبي عمرو للأول دون الثاني لأحد وجهين :

أولهما : إرادة الجمع بين اللغتين (الفتح والإمالة).

والثاني : أن (أعمى) فيه أفعل تفضيل، لأنه من عمى القلب، ولذلك ساغ مجيء أفعل التفضيل منه، فكأن المعنى : ومن كان جاهلا في الدنيا فهو في الآخرة أجهل وأضل من حاله في الدنيا، وكأن الألف لم يقع طرفا لأنه يفتقر إلى " من " المقدرة، كما فصل المصنف ذلك، وانظر : إبراز المعاني : ٢ / ١٠٧، والتفخيم يطلق أحيانا عند القراء على الفتح المقابل للإمالة كما أن الترقيق يطلق أحيانا، ويراد به الإمالة، انظر : الإبراز : ٢ / ١٤٤، وكنز المعاني — شرح حرز الأماني المشهور بـ (شرح شعلة) للموصلي : ١٩٦.

ولو قيل : العلة في ذلك أن أبا عمرو سمع إمالة أحدهما دون الآخر لكان أشفى وأكفى، لأن القراءة مبنية على السماع، وإن هذا الاختلاف في هذين الموضعين المتماثلين لمن أقوى الأدلة على توقيف القراءة، وكون الألف كأنها لم تقع متطرفة تعليل غير مطرد، فقد أمالوا : (ولا أدنى من ذلك) [المجادلة : ٧]. والعلة هي العلة، بل هي هنا أوضح وأقوى لعدم الحاجة إلى التقدير.

(٢) في " ج " وعيدنا.

﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ لتتقول علينا ما لم نقل، يعني : ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي ؛ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا، ولكنت لهم وليا، وخرجت من ولايتي.

٧٤- ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ﴾ ولولا تثبيتنا لك[1] وعصمتنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ لقاربت أن تميل إلى مكرهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ ركونا قليلا وهذا تهيج من الله له وفضل تثبيت.

٧٥- ﴿إِذًا﴾ لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم[2] ذنبك بشرف مترلتك ونبوتك كما قال : " يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة "[3] وأصل الكلام : لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان، عذاب في الممات، وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة ، وهو عذاب النار، والعذاب يوصف بالضعف كقوله : " فآتهم عذابا ضعفا من النار "[4] أي: مضاعفا لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة ضعفا في الممات، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وهو الضعف، ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل : ضعف الحياة وضعف الممات، ويجوز أن يراد بضعف الحياة : عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات : ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار، وفي ذكر الكيدودة وتقلبها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين : دليل

---

(١) ساقط من " ج ".

(٢) في " ج " لعظيم.

(٣) الأحزاب : ٣٣ / ٣٠.

(٤) الأعراف : ٣٨.

على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظيم[1] شأن فاعله. ولما نزلت كان ــ عليه السلام ــ يقول : " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين "[2] ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ معينا لك يمنع عذابنا عنك.

٧٦- ﴿ وَإِن كَادُوا ﴾ أي : أهل مكة ﴿ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من أرض مكة ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ ﴾ لا يبقون ﴿ خِلَافَكَ ﴾ بعدك أي: بعد إخراجك، خلافك : كوفي غير أبي بكر وشامي، بمعناه[3] ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ زمانا قليلا، فإن الله مهلكم، وكان كما قال : فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل، أو معناه : ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم، و لم يخرجوه، بل هاجر بأمر ربه، وقيل : من أرض العرب، أو من أرض المدينة[4].

٧٧- ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ يعني : أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سن الله ذلك سنة ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ تبديلا.

---

(١) في " ب " و " ج " عظم.

(٢) قال ابن حجر : " لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلا، الكافي الشافي : ٢ / ٦٥٨. وذكره الهيثمي بمجمع الزوائد ١٠ / ١٨١، وعزاه للبزار عن ابن عمر، وذكره المتقي الهندي في كتر العمال برقم ٣٦٧٤، وقال : عزاه السيوطي للبزار عن ابن عمر.

(٣) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٠٧، والتحبير : ١٣٦.

(٤) انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٧٦. والقرطبي : ١٠ / ٣٠١.

٧٨- ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ لزوالها، وعلى هذا : الآية جامعة للصلوات الخمس، أو : لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ هو الظلمة، وهو وقت صلاة العشاء ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ صلاة الفجر سميت قرآنا، وهو القراءة ؛ لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا، وهو حجة على الأصم[1] ؛ حيث زعم أن القراءة ليست بركن، أو : سميت قرآنا لطول قراءتها، وهو عطف على الصلاة ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء، فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، أو يشهده الكثير من المصلين في العادة

٧٩- ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ وعليك بعض الليل ﴿ فَتَهَجَّدْ ﴾ والتهجد : ترك الهجود للصلاة، ويقال في النوم أيضا تهجد ﴿ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع " نافلة " موضع تهجدا لأن التهجد عبادة زائدة، [فكان][2] التهجد والنافلة[3] يجمعهما معنى واحد، والمعنى: أن التهجد: عبادة زائدة، فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى : أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك ؛ لأنه تطوع لهم ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، أو ضمن "يبعثك" معنى يقيمك، وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الأخبار، أو : هو مقام يعطى فيه لواء الحمد.

---

(١) حاتم بن عنوان، المعروف بالأصم، زاهد، اشتهر بالتقشف، من أهل بلخ، توفي عام ٢٣٧ هـ. الأعلام : ٢ / ١٥٢.

(٢) غير واضح في الأصل.

(٣) في الأصل : تهجد ونافلة.

٨٠- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ ﴾ هو مصدر، أي : أدخلني القبر إدخالا مرضيا على طهارة من الزلات ﴿ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ ﴾ أي: أخرجني منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله : ذكره على أثر ذكر البعث، وقيل ؛ نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ حجة تنصرني على من خالفني، أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه.

٨١- ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الإسلام ﴿ وَزَهَقَ ﴾ وذهب وهلك ﴿ ٱلۡبَٰطِلُۚ ﴾ الشرك، أو جاء القرآن وهلك الشيطان ﴿ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ كا[ن][1] مضمحلا في كل أوان.

٨٢- ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ وبالتخفيف : أبو عمرو[2] ﴿ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ "من": للتبيين ﴿ مَا هُوَ شِفَآءٞ ﴾ من أمراض القلوب ﴿ وَرَحۡمَةٞ ﴾ وتفريج للكروب وتطهير للعيوب، وتكفير للذنوب ﴿ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ في[3] الحديث: "من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله"[4] ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ ضلالا، لتكذيبهم به وكفرهم.

---

(١) سقطت النون من الأصل.

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٥٦، والكنز : ١٢٨.

(٣) في " ج " وفي.

(٤) أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحارث الغساني كما قال ابن حجر في لكافي الشافي : ٢ / ٦٦٢. وأخرجه الثعلبي من رواية رجاء الغنوي عن رسول الله ــ صلى

٨٣- ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ بالصحة والسعة ﴿ أَعۡرَضَ ﴾ عن ذكر الله، أو ؛ أنعمنا بالقرآن أعرض ﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ تأكيد للإعراض، لأن الإعراض من الشيء إن يوليه عرض وجهه، وناء[1] بالجانب : أن يولي عنه عطفه، ويوليه ظهره، أو : أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين. نـأى بالإمالة حمزة، وبكسرهما ؛ علي[2] ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾ الفقر، أو : المرض، أو نازلة من النوازل ﴿ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ شديد اليأس من روح الله.

٨٤- ﴿ قُلۡ كُلٌّ ﴾ أي: كل أحد ﴿ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة ﴿ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلًا ﴾ أسد مذهبا وطريقا.

٨٥- ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[3] الجمهور: على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته، فأخبر أنه من أمر الله أي: مما

الله عليه وسلم ــ أنه قال : " من لم يستشف.. " الكشف والبيان و " ٦٥. وذكره في الكشاف : ٢ / ٦٦٢.

(١) في " ب " و " ج " : والنأي.

(٢) قرأ الكسائي بإمالة النون والهمزة، وأمال شعبة وحمزة من رواية خلاد الهمزة فقط، والباقون بالفتح بينهما، وورش على أصله في تقليل الألف. غير أن ابن ذكوان يقدم الألف على الهمزة إذ يقرأ (وناء) انظر : التحبير : ١٣٦، والتعبير بالكسر عن الإمالة الكبرى في مثل هذا مذكور في كتب القراء، انظر : الموضح : ٢ / ٧٦٦، لأنها ساعتئذ تكون أقرب إلى الكسرة.

(٣) في " ج " زيادة : من أمر يعلمه ربي.

استأثر بعلمه، عن[1] أبي بريدة[2] : لقد مضى النبي — [صلى الله عليه وسلم][3] — وما يعلم الروح[4]. وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه[5] والحكمة في ذلك : تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز، ولذا رد ما قيل في حده أنه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان، وقيل : هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — : هو جبريل عليه السلام " نزل به الروح الأمين على قلبك "[6] وعن الحسن : القرآن، دليله : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا "[7] ولأن به حياة القلوب، و " من أمر ربي " أي ؛ من وحيه وكلامه، وليس من كلام البشر.

وروي : أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فإن أجاب عن الكل أو: سكت عن الكل فليس بنبي، فبين

---

(١) في " ج " وعن.

(٢) هريرة.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

(٤) قال ابن حجر : " ذكره الواحدي في الوسيط عن عبد الله بن بريدة. " الكافي الشافي : ٢ / ٦٦٣، ولم أجده في الوسيط حول تفسير هذه الآية.

(٥) حتى نتج عن هذا الخوض والفضول ثمانمائة وألف قول، وهو أمر استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن بالسؤال فيه. انظر : فتح القدير : ٣ / ٢٥٤.

(٦) الشعراء : ١٩٣ — ١٩٤، والأثر في الطبري ١٥ / ١٥٦، عن قتادة، وكان يقول : كان ابن عباس يكتمه.

(٧) الشورى : ٥٢. والأثر في زاد المسير : ٥ / ٥٩، وتفسير الحسن البصري (المجموع) : ٢ / ٩٤.

لهم القصتين وأبهم أمر الروح، وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم[1]، وقيل : كان السؤال عن خلق الروح، يعني أهو مخلوق أم لا ؟ وقوله : " من أمر ربي " دليل خلق الروح، فكان هذا جوابا ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الخطاب عام، فقد روي : أن رسول الله -[صلى الله عليه وسلم][2]- لما قال لهم ذلك، قالوا : أنحن[3] مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه ؟ فقال : " بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا "[4] وقيل : هو خطاب لليهود خاصة[5] ؛لا لأنهم قالوا للنبي -[صلى الله عليه وسلم][6]- : قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا "[7] فقيل لهم : إن علم التوراة قليل في جنب علم الله[8]، القلة[9] والكثرة من الأمور الإضافية، كالحكمة[10] التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله :

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول : ٢٠٠، بلا حكاية عن المفسرين، وبلا إسناد، وقال ابن حجر : " ولم أجده هكذا " الكافي الشافي : ٢ / ٦٦٣.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

(٣) في "ج " نحن.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسير سورة لقمان [آية : ٢٧] بغير سند ولا راو، الكافي الشافي : ٢ / ٦٦٣.

(٥) ساقط من " ب ".

(٦) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل " ب " عليه السلام.

(٧) البقرة : ٢٦٩.

(٨) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٣.

(٩) في " ب " و " ج " فالقلة.

(١٠) في " ب " و " ج " فالحكمة.

٨٦- ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ "لنذهبن": جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على " إن " موطئة للقسم، والمعنى : إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن[1] الصدور والمصاحف، فلم نترك له أثرا ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي : ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا.

٨٧- ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ أي: إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون : على الاستثناء المنقطع، أي : ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تتريله وتحفيظه، ونزل جواب لقول [النضر][2] لو نشاء لقلنا مثل هذا.

٨٨- ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ معينا، و " لا يأتون " جواب قسم محذوف، ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط، كقوله :

* يقول لا غائب مالي ولا حرم * [3]

---

(١) في " ج " : من.

(٢) في الأصل : النظر.

(٣) عجز بيت من البسيط، لزهير بن أبي سلمى، وصدره :

وإن أتاه خليل يوم مسألة ....

وهو في ديوانه (بشرح ثعلب) : ١٥٣، واستشهد به في الكشاف : ٢ / ٦٦٤، وابن هشام في أوضح المسالك : ٣ / ١٩١، والسمين في الدر المصون : ٣ / ١١٨.

لأن الشرط [وقع][1] ماضيا، أي : لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هـذا القـرآن في بلاغته، وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله.

٨٩- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ رددنا وكررنا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جحودا، وإنما جاز : " فأبى أكثر الناس إلا كفورا " و لم يجز: ضربت إلا زيدا ؛ لأن أبى متأول بالنفي، كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا [2]. ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات الله[3] الأخر، ولزمتهم الحجـة، وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج والمتحير.

٩٠- ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا ﴾ وبالتخفيف : كـوفي[4] ﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي : مكة ﴿ يَنبُوعًا ﴾ عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء ولا تقطع، يفعول[5]، من : نبع الماء.

٩١- ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ﴾ والتشديد -هنا- مجمع عليه، لقوله[6]: ﴿ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا ﴾ وسطها ﴿ تَفْجِيرًا ﴾ .

---

(١) في الأصل : وقعا.

(٢) فكأنك قلت في المثال المضروب. ما ضربت إلا زيدا أن : أبى عمرو إلا أن يضـرب زيدا.

(٣) الكلمتان ساقطتان من غير الأصل.

(٤) انظر : التلخيص : ٣١٢، والكنز : ١٨٧، والتحبير : ١٣٦.

(٥) يريد : على زنته، والياء زائدة مثل " يعبوب " (الفرس السريع الطويل)، انظـر : التبيان : ٢ / ٨٣٢.

(٦) ساقط من " ج ".

٩٢- ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ بفتح السين: مدني وعاصم، أي : قطعا، يقال : أعطني كسفة من هذا الثوب، وبسكون السين: غيرهما[١]، جمع كسفة، كسدرة وسدر، يعنون قوله : " إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم من السماء "[٢] ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلا بما تقول شاهدا بصحته، والمعنى : أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبلاء كقوله : كنت منه ووالدي بريا[٣]، أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه : (لولا أنزل علينا الملائكة او نرى ربنا) أو : جماعة، حالا من الملائكة.

٩٣- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تصعد إليها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لأجل رقيك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ وبالتخفيف : أبو عمرو[٤] ﴿كِتَٰبًا﴾ أي : من السماء فيه تصديقك ﴿

---

(١) انظر التلخيص : ٣١٢، والتحبيير : ١٣٦.

(٢) سبأ : ٩.

(٣) جزء من صدر بيت [من الطويل] هو :

رماني بأمر كنتُ منه ووالدي
بريًّا ومن جولِ الطويِّ رماني

نسبه في مشاهد الانصاف : (٢ / ٦٦٦) للفرزدق، ولم أجده في ديوانه المطبوع بشرح وضبط وتقديم : علي فاعور.

والشاهد فيه : حذف خبر " ووالدي " اكتفاء بخبر الولد "بريا " أي كنت منه بريا وكان والدي بريا.

(٤) انظر : التذكرة : ٢ / ٢٥٥ ــ ٢٥٦، والتلخيص : ٢١١، والنشر : ٢ / ٢١٨.

نَّقۡرَؤُهُۥ ﴾ صفة كتاب ﴿ قُلۡ ﴾ قال: مكي وشامي[1] أي: قال الرسول ﴿ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾ تعجب من اقتراحهم عليه ﴿ هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أي: أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم. وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله، فما بالكم تتخيرونها علي.

٩٤- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني : أهل مكة، ومحل ﴿ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ ﴾ نصب بأنه مفعول ثان لمنع ﴿ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ النبي والقرآن ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ فاعل " منع "، والتقدير : وما[2] منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ـ [صلى الله عليه وسلم][3] ـ إلا قولهم ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أي : إلا شبهة تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في " أبعث "[4] للإنكار، وما أنكروه ففي قضية حكمته منكر، ثم رد الله عليهم تعالى[5] بقوله :

٩٥- ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب عمله ﴿ مُطۡمَئِنِّينَ ﴾ حال، أي : ساكنين في الأرض قارين ﴿ لَنَزَّلۡنَا

---

(١) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٠٨، والتلخيص : ٣١٣، والتحبير : ١٣٧، ومن نظمي لبعض مسائل القراءات (على طريق الجناس التام) :

المكيّ والشاميُّ قالا : قالا سبحان ربي، عزّ،وتعالى.

(٢) في " ب " و " ج " وما.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج " و في الأصل و " ب " عليه السلام.

(٤) في "ج" أبعث الله.

(٥) سقط من " ج ".

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ يعلمه الخير ويهديهم المراشد، فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم، و"بشرا" و "ملكا": حالان من "رسولا".

٩٦- ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم. (شَهِيدًا) تميز[١] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ ﴾ المنذرين والمنذرين ﴿ خَبِيرًۢا ﴾ عالما بأحوالهم ﴿ بَصِيرًا ﴾ بأفعالهم فهو مجازيهم، وهذه تسلية لرسول الله ــ [عليه السلام][٢] ــ ووعيد للكفرة.

٩٧- ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ وبالياء : يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدني في الوصل[٣] أي : من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ﴿ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ أي : ومن يخذله و لم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: أنصارا ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ أي : يسحبون عليها لقوله[٤] :

---

(١) في " ج " تمييز، أو حال.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٠٩، والتلخيص : ٣١٣، والتحبير : ١٣٧، وسهل هذا هو : ابن محمد بن عثمان السجستاني، أبو حاتم، إمام البصرة في اللغة والقراءة عرض على يعقوب الحضرمي، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. انظر : غاية النهاية : ١ / ٣٢٠. و لم أجد ما أوثق به قراءة سهل هذا. والكل يقتصر على ذكر يعقوب، وهو شيخه كما تقدم.

(٤) في " ج " كقوله.

" يوم يسحبون في النار على وجوههم[1] "وقيل لرسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : " إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم"[2] ﴿ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم ﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ طفئ لهيبها ﴿ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ توقدا.

٩٨- ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ أي : ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء، فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على [أجزائهم][3]

---

(١) سورة القمر : ٤٨.

(٢) الترمذي من حديث أبي هريرة، كتاب التفسير سورة الإسراء، رقم ٣١٤٢، وأحمد في مسنده : ٢ / ٣٦٣ عن أبي هريرة أيضا والحاكم في المستدرك : ٢ / ٤٠٢ عن أنس .
قال ابن حجر في الكافي ٢ / ٦٦٩ : " ورواه ابن مردويه من رواية أبي داود نفيع عن أنس مثله، وأصله في الصحيحين عن أنس رجلا قال : يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : " أليس الذي أمشاه على رجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه في يوم القيامة ". وضعفه الألباني في المشكاة : رقم ٥٥٤٦ ، والترغيب والترهيب : ٤ / ١٩٤ ، انظر : ضعيف الجامع : ٩٣١ .

(٣) في الأصل : أجزائها.

تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ؛ ليزيد في [تحسرهم][1] على تكذيبهم البعث.

٩٩- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أو لم يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ من الإنس ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وهو الموت، أو: القيامة ﴿ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جحودا مع وضوح الدليل.

١٠٠- ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ تقديره : لو تملكون تملكون[2]؛ لأن "لو" تدخل على الأفعال دون الأسماء، فلا بد من فعل بعدها، فأضمر (تملك) على شريطة التفسير فأبدل من الضمير المتصل، وهو الواو ضمير منفصل وهو "أنتم" لسقوط ما يتصل به من اللفظ، فـ " أنتم " فاعل الفعل المضمر، و" تملكون " تفسيره، وهذا هو[3] الذي يقتضيه علم الإعراب، فأما[4] ما يقتضيه علم البيان فهو أن " أنتم تملكون " فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ[5] ﴿ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾ رحمة ربه : رزقه ووسائل نعمه على خلقه ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ أي : لبخلتم خشية أن يفنيه الإنفاق، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ بخيلا.

---

(١) غير واضح في الأصل.

(٢) في " ج " أنتم , مكان (تملكون).

(٣) في " ب " و " ج " هو الوجه الذي.

(٤) في " ج " وأما.

(٥) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٨ ــ ٦٦٩، والتحرير والتنوير : ١٥ / ٢٢٣ ؛ ففيهما شرح أوسع.

١٠١- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه الله على بني إسرائيل[١] وعن الحسن : الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور[٢] ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ فقلنا له : سل بني إسرائيل، أي : سلهم عن فرعون ؟ وقل له : أرسل معي بني إسرائيل.

---

(١) ينظر : تفسير : عبد الرزاق : ١ / ٣٣٠، وابن جرير : ١٥/ ١٧١، والماوردي : ٢ / ٤٥٩، وزاد المسير : ٥ / ٦٧.

وليس فيهم من ذكرها كما أوردها المصنف، وكلهم اتفق على ذكر اليد والعصا، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم وكذلك الطوفان ولم يذكره المصنف كالزمخشري الذي نقل من كتابه هذه الرواية، انظر : الكشاف : ٢ / ٦٦٩. ولم أجدها على هذا النسق مروية عن ابن عباس ولا عن غيره، والخلاف دائر بينهم في : اللسان، والبحر، والحجر، والجبل، وهو الطور، وإنزال المن والسلوى، والسنين، ونقص الثمرات، والطمس. ولم أجد خلافا في الطوفان إلا ما ينبئ عنه نقل المصنف، وهو أول آية من الآيات الخمس المذكورة في آية الأعراف في قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد ..... والدم آيات مفصلات).

وفي اللباب : (١٢ / ٣٩٨) : حكاية الاتفاق على هؤلاء الخمس، واليد والعصا.

ولا يجوز العدول عن ذكر هذه السبع، لأنه جاء في الكتاب العزيز بيان أنها آيات. والله أعلم.ومن العلماء من زاد : موت الأبكار من الآدميين وسائر الحيوان ونظمها الخطيب الشربيني فقال :

عصا، قمل، موت البهائم، ظلمة ... جراد، دم، ثم الضفادع والبَرَدْ
وموت بكور الآدمي وغيره ... من الحي، آتاه الذي عز وانفرَدْ

السراج المنير : ٢ /٤٣٠ ـــ ٣٤١.

(٢) أورده الطبري : ١٥ / ١٧٣، وانظر : تفسير الحسن : ٢ / ٩٥.

وقوله: ﴿ إِذْ جَآءَهُمْ ﴾ متعلق بالقول المحذوف، أي ؛ فقلنا لهم : سلهم حين جاءهم ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ سحرت وخولط[1] عقلك.

١٠٢- ﴿ قَالَ ﴾ أي : موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ يا فرعون ﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خالقهما ﴿ بَصَآئِرَ ﴾ حال، أي : بينات مكشوفات ولكنك[2] معاند، ونحوه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)[3] " علمت " بالضم[4] : علي[5]. أي : إني[6] لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض، ثم قارع ظنه بظنه بقوله ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ كأنه قال: إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا، وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته، ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك فكذب بحت ؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري : " إني لأظنك مسحورا " قول كذاب، وقال الفراء : مثبورا : مصروفا عن الخير، من قولهم ما ثبرك عن هذا، أي : ما منعك وصرفك[7].

---

(١) في " ب " و " ج " فخولط.

(٢) في " ج " إلا أنك.

(٣) النمل : ١٤.

(٤) في " ج " بالضم.

(٥) انظر : التذكرة : ٤٠٨، والغاية : ٢ / ٥٥١، والتحبير : ١٣٦.

(٦) في " ب " أنا.

(٧) معاني القرآن : ٢ / ١٣٢، بمعنى مقارب.

١٠٣- ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون[١] ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ يخرجهم، أي : موسى وقومه ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : أرض مصر، أو : ينفيه من ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه.

١٠٤- ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من بعده فرعون ﴿ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ التي أراد فرعون أن يستفزكم منها ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: القيامة ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ جمعا [مختلطين][٢] إياكم وإياهم، ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى[٣].

١٠٥- ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة، وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين. قال الراوي : اشتكى محمد ابن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب، فقال لنا : إلى أين ؟ فقلنا له : إلى فلان الطبيب نريد ماء ابن السماك، فقال : سبحان الله تستعينون على ولي الله بعدو الله، اضربوا على الأرض، وارجعوا إلى ابن السماك، وقولوا له : ضع يدك على موضع الوجع، : (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ثم غاب عنا فلم نره، فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع

---

(١) ساقط من " ج " والآية متصلة.

(٢) في الأصل : مختلطين.

(٣) قال بعض اللغويين : هو من أسماء الجموع ولا واحد له من لفظه، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٠.وحكاه القرطبي : ١٠ / ٣٣٨ عن الأجمحي .

الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت، وقال كان ذلك الخضر عليه السلام[1] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ من النار.

١٠٦- ﴿ وَقُرْءَانًا ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ أي : فصلناه، أو فرقنا فيه الحق عن الباطل ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ على تؤدة وتثبت ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ على حسب الحوادث

١٠٧- ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ أي : اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم، ثم علل بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي : التوراة من قبل القرآن ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ حال.

١٠٨- ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ لقوله ﴿ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ أي : أعرض عنهم ؛ فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه، فإذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره، ولإنجازه ما وعد في الكتب المترلة، وبشربه من بعثة محمد عليه الصلاة[2] والسلام، وإنزال الفرقان[3] عليه، وهو المراد بالوعد المذكور إن : بمعنى : إنه وهي تؤكد الفعل

(١) لم أجد هذه القصة في كتب التفسير.

(٢) لفظ الصلاة والواو بعدها : سقط من " ب " وفي " ج " صلى الله عليه وسلم.

(٣) في " ج " القرآن.

كما أن " إن " تؤكد الإسم، وكا أكدت " " باللام في (إنهـم لمحضـرون[1])[2] أكدت " إن " باللام في " لمفعولا ".

١٠٩- ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ ومعنى الخرور للذقن[3] : السقوط على الوجه، وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن، يقال : خر على وجهه وعلى ذقنه، وخر لوجهه ولذقنه، أما معنى "على" : فظاهر، وأما معنى اللام فكأنه : جعل ذقنه ووجهه للخرور، واختصه به؛ إذ اللام للاختصاص، وكرر " يخرون للأذقان لاختلاف الحالين، وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ لين قلب ورطوبة عين.

١١٠- ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ لما [سمعه][4] أبو جهل يقول : يا الله، يارحمن قال : إنه ينهانا[5] أن نعبد إلهين وهو يدعوا إلاها آخر، فـنزلت[6] [7] وقيل : إن أهل الكتاب قالوا : إنك لتقل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله في التوراه هذا الاسم نزلت[1] والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، و" أو " للتخيير،

(١) في الأصل : المحذرون. وهو خطأ.

(٢) الصافات : ١٥٨.

(٣) الذقن ـــ بفتح الذال والقاف وبكسر ذاله : مجتمع اللحيين من أسفلهما. القاموس : ١٥٤٧ (ذقن). وإنما شرحت معناه ؛ لبيان ضبطه، ولأن المشهور عند عامة الناس وكثير من خاصتهم : أنه الشعر الذي يكون على مجمع اللحيين من أسفلهما.

(٤) في الأصل : سمعوه. وهو خطأ.

(٥) في " ج " نهانا.

(٦) في " ج " فترلت.

(٧) سبب نزول الآية بنحو هذا السياق : أخرجه ابن جرير، قال : حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس.

هذا الاسم نزلت[١] والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، و" أو " للتخيير، أي : سموا بهذا الاسم، أو بهذا، أو : اذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ ﴾ عوض من المضاف إليه، و " ما " زيدت للتوكيد، و "أيا" نصب بـ " تدعو : وهو مجزوم بـ " أي "، أي : أي هذين الاسم ذكرتم وسميتم ﴿ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ والضمير في " فله " يرجع إلى ذات الله تعالى ، والفاء : جواب الشرط أي أيا ما تدعو فهو حسن ، ووضع موضعه قوله : " فله الأسماء الحسنى " ، لأنه إذا أحسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منهما، ومعنى كونهما أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ بقراءة صلاتك على حذف المضاف ؛ لأنه لا يلبس الجهر ؛ إذ الجهر والمخافتة تتعاقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار، وكان رسول الله [صلى الله عليه وسلم][٢] يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا، وأمر أن[٣] يخفض من صوته[٤] والمعنى : ولا تجهر حتى تسمع المشركين ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ حتى لا تسمع من خلفك ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿ سَبِيلًا ﴾ وسطا، أو : معناه : ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها. وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر لصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار، أو " بصلاتك " : بدعائك.

---

(١) عزاه في زاد المسير : (٥ / ٧٣) إلى الضحاك.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل : عليه السلام.

(٣) في " ج " فأمر بأن.

(٤) راجع تحقيق الواحدي.

١١١- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ كما زعم المشركون ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر. أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ وعظم، وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك. وسمى النبي ــ عليه السلام ــ الآية آية العز[١]. وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية[٢].

(١) أورده القرطبي ١٠ / ٣٤٥ وقال: "رواه معاذ بن جبل عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ" ولم أعثر عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة عن عمرو عن أبيه عن جده، ١٠ / ٥٥٦ برقم: ١٠٣٢٨، في الصبيان متى يتعلمون القرآن و أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤١٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وذكره بالدر المنثور ٤ / ٢٠٨ وعزاه لابن أبي شيبة وعزاه أيضا لابن السني عن عمرو بن شعيب أيضا.

سورة الكهف

مائة وإحدى عشرة آية : بصري، وعشر[1] :كوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ محمد ـ صلى الله عليه وسلم[2] ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ القرآن[3] لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[4] من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ أي: شيئا من العِوَج، والعِوَجُ في المعاني : كالعَوَج في الأعيان، يقال : في رأيه عِوَجٌ وفي عصاه عَوَج[5] والمراد: نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيئ منه من الحكمة.

(١) في " ب " و " ج " عشر آيات.

(٢) في " ب " عليه السلام.

(٣) وإذا أطلق الكتاب في مفتتح السور، فالمراد به القرآن ؛ لأنه هو الكتاب الكامل المحفوظ من أيدي العابثين على مر الدهور، والمراد بالكتاب بعضه، أو تغليب الموجود على المترقب. روح المعاني (١٥ / ٢٠٠).

(٤) في " ب " عليه السلام.

(٥) قال الراغب في المفردات (٣٥٠) : " والعَوج : يقال : فيما يدرك بالبصر سهلا كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة ".

٢- ﴿ قَيِّمًا ﴾ مستقيما، وانتصابه : بمضمر وتقديره : جعله قيما ؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة[١] وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر : التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح، أو: قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها ﴿ لِّيُنذِرَ ﴾[٢] : لينذر الذين كفروا ﴿ بَأْسًا ﴾ عذابا ﴿ شَدِيدًا ﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي "أنذر" لأن المنذر به[٣] هو المسوق إليه[٤] فاقتصر عليه[٥] ﴿ مِّن لَّدُنْهُ ﴾ صادرا من عنده ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ

---

(١) المشهور : إعرابه حالاً من " الكتاب "، وجملة " ولم يجعل " اعتراض بينهما، واعترض الزمخشري بأن " ولم يجعل " معطوف على : أنزل " الذي هو صلة، فهو داخل فيها، وأجيب عليه بأن الجملة اعتراضية، لا معطوفة على الصلة. والحجة في شهرته : أن أكثر المعربين يقدِّمه حتى من لا يرى رجحانه، انظر : إعراب النحاس : ٢ / ٤٤٧، والمحرر الوجيز : ٣ / ٤٩٥، والتبيان : ٢ / ٨٣٧، والفريد : ٢ / ٣٠٩، وانظر : لاعتراض الزمخشري : الكشاف : ٢ / ٣٧٥، ولدفع اعتراضه : البحر المحيط : ٦ : ٩٤، والدر المصون : ٧ / ٤٣٣.

(٢) في " ب " و" ج " بعد (لينذر) : أنذر متعد إلى مفعولين كقوله : (إنا أنذرنكم عذابا قريبا) فاقتصر على أحدهم، وأصله :

(٣) وهو الكتاب المذكور في قوله " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ".

(٤) في " ب " إليهم.

(٥) ويمكن أن يقال : حذف المنْذَرُون استخفافاً بشأنهم، ولأنه سيأتي ذكرهم في قوله : " وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ".

﴿يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ﴾ أي : بأن لهم ﴿أَجۡرًا حَسَنًا﴾ أي: الجنة [1]، ويبشر : حمزة وعلي.[2]

٣- ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ حال من هم في لهم ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا﴾ .

٤- ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره[3].

٥- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ أي : بالولد، أو : باتخاذه[4] يعني : أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط، فإن قلت : اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل : ما لهم به من علم ؟ قلت : معناه مالهم به من علم ؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشئ، إما للجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنه في نفسه محال ﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ المقلدين ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز، وفيه معنى التعجب كأنه قيل : ما أكبرها كلمة، والضمير في "كبرت"

---

(١) هو من إطلاق السبب والمراد المسبب.

(٢) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٤٤٨ ـــ ٤٤٩. والكتر : ١٤٠.

(٣) قلت : خصوا بالذكر استعظاماً لكفرهم وتقبيحاً لما ارتكبوا من الشرك حيث نسبوا العجز لله بنسبة الولد إليه، وهم بعض العرب واليهود والنصارى، فالمشركون من العرب زعموا أن الملائكة بنات الله، وقال اليهود : عزير ابن الله، وقالت النصارى : المسيح ابن الله.

(٤) ويرى الإمام الطبري أن الضمير عائد على " الله " تعالى، والمعنى : مالهم بالله من علم فيما يجوز عليه وما لا يجوز. انظر : تفسيره : ١٥ / ١٩٣. انظر: البحر المحيط (٧ / ١٣٧) وأنوارالتريل (٢ / ٣).

يرجع إلى قولهم : اتخذ الله ولدا، وسميت " كلمة " كما يسمون القصيدة بها[1] ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ صفة لـ "كلمة " تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون عن[2] أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر ؟

﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ما يقولون ذلك إلا كذبا، هو صفة لمصدر محذوف، أي : قولا كذبا.

٦- ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قاتل نفسك ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ أي: آثار الكفار، شبهه وإياهم حين تولوا عنه و لم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثرهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ بالقرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ مفعول له، أي : لفرط الحزن، والأسف : المبالغة في الحزن والغضب.

٧- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ أي : ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها.

ثم زهد في الميل إليها بقوله :

---

(١) هو من إطلاق الجزء مرادا به الكل

(٢) في " ب " من .

٨- ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا ﴾ من هذه الزينة ﴿ صَعِيدًا ﴾ أرضا ملساء[١] ﴿ جُرُزًا ﴾ يابسا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة، والمعنى : نعيدها بعد عمارتها خرابا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك.

ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال :

٩- ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ يعني : أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف : الغار الواسع في الجبل[٢] والرقيم : اسم كلبهم، أو: قريتهم، أو اسم كتاب كتب في شأنهم، أو: اسم الجبل الذي فيه الكهف[٣] ﴿ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ أي:كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر، أو على ذات عجب.

---

(١) الثعالبي : كل أرض مستوية فهي صعيد. فقه اللغة (طل)
وقال الزجاج : الصعيد:وجه الأرض ترابا كان أو غيره، لا أعلم بين أهل اللغة اختلافا في ذلك. معاني القرآن : (٢ / ٥٦)

(٢) اللسان (٩ / ٣١٠)، وأساس البلاغة للزمخشري (٣٩٩) وفتح القدير (٣ / ٢٧٨).

(٣) هذا القول عاشر عشرة قيلت في المراد بالرقيم، هو أظهرها وأرجحها، وهو المشهور بين معظم المفسرين، وهو المنقول عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ واختاره سعيد بن جبير ومجاهد، وصفته : أنه لوح من حجارة أو رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وعلى هذا القول تتفق اللغة والنقل. انظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣٥٧. وفتح القدير (٣ / ٢٧٨). الوجه الذي يساعده دلالة اللغة هو القول بأنه كتاب أو لوح أو شئ فيه، وهو فعيل معنى مفعول كجريح وأسير، وقد رجح ابن جرير هذا القول واختاره في تفسيره : ١٥ / ٢٠١.

١٠- ﴿ إِذْ ﴾ أي : اذكر إذ ﴿ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا ﴾[1] الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿ رَشَدًا ﴾ حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو: اجعل أمرنا رشدا كله كقولك : رأيت منك أسدا، أو : يسر لنا طريق رضاك[2].

١١- ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ ﴾ أي: ضربنا عليها حجابا من أن تسمع[3] يعني : أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول الذي هو الحجاب ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ذوات عدد فهو صفة لـ "سنين ". قال

---

(١) في " ج " زيادة أي.

(٢) قال القرطبي : هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة. وقد خرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فارا بدينه وكذلك أصحابه، وجلس في الغار، وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين. فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم ـ والأولياء. وقد فضل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العزلة، وفضلها جماعة من العلماء ولا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالى عليها في كتابه فقال : " فأووا إلى الكهف.." واستطرد رحمه الله ـ بذكر كلام نفيس حول العزلة ـ انظره في (١٠ / ٣٦٠ ـ ٣٦٠) من تفسيره، ولابن الوزير محمد بن إبراهيم (ت ٨٤٠ هـ) كتاب جامع في العزلة (مطبوع).

(٣) في " ج " من النوم.

الزجاج : أي : تعد عددا لكثرتها بأن[1] القليل يعلم مقداره من غير عد[2] فإذا كثر عد[3]، فأما " دراهم معدودة "[4] فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير.

١٢- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أيقظناهم من نومهم[5] ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ المختلفين منهم في مدة لبثهم ؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله: (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وكأن[6] الذين قالوا " ربكم أعلم بما لبثتم " هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي : الحزبين المختلفين من غيرهم[7] ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ آية[8]، و" أحصى " فعل ماض، وأمدا " ظرف لـ "أحصى " أو مفعوله[9] والفعل الماضي خبر المبتدأ، وهو "أي "والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي "نعلم"، والمعنى : أيهم

---

(١) في " ب " و " ج " لأن.

(٢) في " ج " عدد.

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٢٧١، والكشاف ٢ / ٦٧٨، وبقية الكلام لم أجده في كتاب الزجاج ولا ذكره الزمخشري.

(٤) يوسف : ٢٠.

(٥) في " ب " و " ج " : النوم.

(٦) في " ج " وكان وهي ساقطة من (ب) إلى ما لبثتم.

(٧) وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون في المراد بالحزبين، وأرجح هذه الأقوال : أنهما حزب أهل الكهف، وحزب أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، وهو قول جمهور المفسرين، والظاهر من الآية.
انظر : تفسير الطبري (٨ / ١٨٧)، وأنوار التنزيل (٢ / ٥) والبحر المحيط (٥ / ١٤٥) وفتح القدير (٣ / ٢٨٠).

(٨) في " ب " و " ج " آية.

(٩) في " ب " و " ج " مفعول له.

أضبط أمدا لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم، ومن قال : "أحصى" : أفعل من الإحصاء وهو العد فقد زل ؛ لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس[1]، وإنما قال : " لنعلم" مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك ؛ لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا، وليكون لطفا لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفاره، أو : المراد: لنعلم اختلافهما[2] موجودا كما علمناه قبل وجوده.

١٣- ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ جمع فتى، والفتوة: بذل الندى، وكف الأذى، وترك الشكوى و[3] اجتناب المحارم، واستعمال المكارم، وقيل : الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل ﴿ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ يقينا، وكانوا من خواص دقيانوس[4]

---

(١) بل هو أقوى الوجهين فيما يظهر، وهو الذي يفهم من شرح ابن جرير لمعنى الآية، وأعربها بالوجهين من غير ترجيح : أبو البقاء وقبله الزجاج، وهو اختياره، وكلام المصنف هو معنى كلام الزمخشري الذي منع الوجه المذكور، وقبله أبو علي الفارسي كما ذكر أبو حيان في التفسير : ٦ / ١٠١، وانظر : تفسير ابن جرير : ١٥ / ٢٠٦، وإعراب الزجاج : ٣ / ٢٧١، والتبيان : ٢ / ٨٣٩ والكشاف : ٢ / ٦٧٨، وفي المسألة ثلاثة أقوال : يجوز بناء أفعل للتفضيل، والمنع مطلقا، والتفصيل بين أن تكون الهمزة للتعدية فيمنع أو لغير التعدية، فلا يمنع، وظاهر كلام سيبويه يشهد للجواز، انظر : الكتاب : ١ / ٣٧.

وانظر : البحر المحيط : ٦ / ١٠١، وليست الهمزة هنا للتعدية. انظر : الدر المصون : ٧ / ٤٥٠. وانظر حاشية ابن المنير على الكشاف : ٢/ ٦٧٨.

(٢) في غير الأصل : اختلافهم.

(٣) في " ب " أو، بدل الواو.

(٤) اسم ملكهم. عمدة القاري (٧ / ٤٦٢).

قد قذف[1] في قلوبهم الإيمان، وخاف بعضهم بعضا، وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه، ففعلوا، فتحصل[2] اتفاقهم على الإيمان.

١٤- ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ وقويناها بالصبر على هجران[3] الأوطان، والفرار بالدين إلى بعض الغيران[4] وجسرناهم على القيام بكلمة الحق وتظاهر[5] بالإسلام ﴿ إِذۡ قَامُواْ ﴾ بين يدي الجبار، وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مفتخرين[6] ﴿ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ ﴾ ولئن سميناهم آلهة ﴿ لَّقَدۡ

---

(١) في " ج " قذف الله، فالفعل مبني للفاعل معه.

(٢) في " ب " و " ج " فحصل.

(٣) في (أ) الهجران، والمثبت هو الصواب.

(٤) الغار والمغار والمغارة : كالكهف في الجبل، ويجمع الغار على غيران.مختار ٥٠٩ (غور).

(٥) في " ب " و " ج " والتظاهر.

(٦) تنبيه : تعلقت الصوفية بهذه الآية في القيام في الموالد والقول على سبيل الاجتماع. انظر المحرر الوجيز (٩ / ٢٥٠) والإكليل في استنباط التنزيل (ص ١٤٦). قال القرطبي : " هذا التعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا . لما أولاهم من نعمه، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم. وهذه سنة الله في المرسلين والأنبياء والفضلاء والأولياء. أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة ي هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان، هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرام عند جماعةالعلماء , وقد قال الإمام أبو بكر الطرسوسي وسئل عن مذهب الصوفية فقال : وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا

﴿ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ قولاذا شطط[1]، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط[2] إذا بعد.

١٥- ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ مبتدأ ﴿ قَوْمُنَا ﴾ عطف بيان ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾ خبر، وهو إخبار في معنى إنكار[3] ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ هلا يأتون على عبادقم، فحذف المضاف ﴿ بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ ﴾ بحجة ظاهرة، وهو تبكيت ؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه.

١٦- ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ نصب عطف على الضمير، أي :[4] اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم ﴿ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون

له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل. الجامع (١٠ / ٣٦٦).

وقال الشاطبي : " اين فيه أنهم قاموا يرقصون أو يزفنون، أو يدورون على أقدامهم ونحو ذلك، الاعتصام (١ / ٢٢٨). وقال أيضا في معرض ذكره للبدع : " ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعنية كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ومنها : التزام العبادات المعنية في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة " الاعتصام (١ / ٢٠).

(١) فتح القدير (٣ / ٢٧٩).

(٢) في " ج " من شط يشط ويشط.

(٣) في " ج " الإنكار.

(٤) " ج " وإذا اعتزلمتموهم.

بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة، أو: منقطع أو[1] : وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله، أو : هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ صيروا إليه، أي: اجعلوا الكهف مأواكم ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ من رزقه ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ "مرفقا" مدني وشامي[2]، وهو ما يرتفق به، أي : ينتفع، وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله، وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، أو أخبرهم [3] نبي في عصرهم.

١٧- ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ ﴾ بتخفيف[4] الزاي : كوفي، "تزور"[5] [6] : شامي، "تزاور" : غيرهما[7] [8]، وأصله : تتزاور فخفف إدغام التاء في الزاي أو حذفها، والكل من الزور وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، والزور الميل عن الصدق ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ أي : تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ﴾ تقطعهم، أي : تتركهم وتعدل عنهم ﴿ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ

---

(١) في " ج " : أي.

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٢، والتلخيص : ٣١٦، والكتر : ١٨٨.

(٣) في " ب " و " ج " زيادة : به.

(٤) في الأصل : بالتخفيف، والصواب ما أثبته.

(٥) في " ج " تزور، بتشديد الزاي وهو خطأ.

(٦) كتحمر.

(٧) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٢، والتلخيص : ٣١٦.

(٨) في " ج " غيرهم.

﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ في متسع من الكهف، والمعنى : أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل في[1] منفسخ[2] من غارهم[3] ينالهم فيه روح الهواء، وبرد النسيم، ولا يحسون كرب الغار ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس، وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله، يعني : أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا[4] بالكرامة، وقيل : باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش[5] فهم في مقنأة[6] أبدا، ومعنى ذلك من آيات الله، أن شأنهم وحديثهم[7] من آيات الله ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ مثل ما مر في سبحان، وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ أي : من أضله فلا هادي له.

---

(١) سقط من " ب " و " ج ".

(٢) في " ب " متفسخ.

(٣) سقط من " ب " وفي " ج " غارهم.

(٤) في " ج " زيادة لهم.

(٥) تقدم في سورة النحل شرح معناه آية (١٦).

(٦) المقنأة كالمقمأة : المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، القاموس : ٦٣ (قنأ).

(٧) في " ب " حديثهم.

١٨- ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ ﴾ بفتح السين : شامي وحمزة وعاصم غير الأعشى[١] وهبيرة [٢] وهو خطاب لكل أحد ﴿ أَيۡقَاظٗا ﴾ جمع يقظ ﴿ وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾ نيام، قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام ويحسبهم[٣] الناظر لذلك إيقاظا ﴿ وَنُقَلِّبُهُمۡ[٤] ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾ قيل : لهم تقلبتان في السنة، وقيل : تقلبة واحدة في يوم عاشوراء[٥] ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ ﴾ حكاية حال ماضية، لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضى[٦] ﴿ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾

---

(١) انظر : التذكرة : ٣ / ٢٧٨، والتلخيص : ٢٢٣.
والأعشى يروي عن شعبة عن عاصم، وهو يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى الكوفي، من أجل أصحاب شعبة، روى القراءة عنه، توفي في نحو المائتين. راجع غاية النهاية (٢ / ٣٦٣).

(٢) سقط من " ج ".

(٣) في " ب " و " ج " فيحسبهم.

(٤) قال القرطبي ــ رحمه الله ــ : " ظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان من فعل الله، ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله فيضاف إلى الله تعالى. الجامع (١٠ / ٢٤١).

(٥) اليوم العاشر من محرم، وقيل : التاسع، والأول هو المشهور، ومذهب جماهير السلف والخلف، وتؤيده النصوص ومقتضى اللفظ، وذهب ابن عباس وجماعة من علماء الفقه واللغة إلى أنه القول الثاني. انظر : شرح مسلم للنووي : ٨ /١١ ــ ١٢، وفي القاموس : (٥٦٥) " والعاشوراء.. عاشر المحرم، أو تاسعه ".

(٦) ولم يجز عمل اسم الفاعل في مثل هذا إلا الكسائي.
وقد وضح هذا ابن مالك في شرح الكافية عند قوله :

ولم يجز إعمال منعوت ولا ... مصغر إلا الكسائي ذو الولا
ومن سواه لا يبيح فالعملْ ... للماضِ إلا وهو مسبوق بـ (ألْ)

بالفناء أو العتبة[١] ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم ﴿ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا ﴾ لأعرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر، لأن معنى "وليت منهم " فررت منهم ﴿ وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾ وبتشديد اللام حجازي للمبالغة[٢] ﴿ رُعۡبٗا ﴾[٣] تمييز، وبضم العين شامي وعلي[٤]، وهو الخوف الذي يرعب الصدر، أي : يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة[٥] أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم[٦]. وعن معاوية أنه غزا[٧] الروم فمر

وما به استشهد محمول على حكاية الحال، لهذا عملا

شرح الكافية : ٢ / ١٠٤٠ ـــ ١٠٤٣.

(١) في " ج " : بالعتبة.

(٢) انظر : النشر : ٢ / ٣١٠.

(٣) انظر : التذكرة : ٢ / ٢٩٧، والكنز : ١٤٢.

(٤) انظر : النشر : ٢ / ٢١٦.

(٥) التسهيل (٢ / ١٨٤) وتفسير ابن كثير (٣ / ٧٦) وأنوار التنزيل (٢ / ٧).

(٦) قال ابن عطية : وهذا قول بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا : " لبثنا يوما أو بعض يوم "، وإنما الصحيح في أمرهم : أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها، لتكون لهم ولغيرهم فيها آية، فلم يبل لهم ثوب ولا تغير لهم صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها. لكانت عليه ولروي ذلك " المحرر الوجيز (٣ / ٥٠٤ ـــ ٥٠٥)

وقال الشوكاني : ويدفع هذا القول قوله تعالى : " قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم " فإن ذلك مما يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئا، ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة. فتح القدير (٣ / ٢٨١).

(٧) في الأصل و " ب " بألف مقصورة، والصواب المثبت.

بالكهف، فقال أريد أن أدخل، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا، فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح[1].

١٩- ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهارا للقدرة على الإنامة والبعث جميعا ﴿ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ ليسأل بعضهم بعضا، ويتعرفوا حالهم، وما صنع بهم، فيعتبروا، ويستدلوا على عظم قدرة الله، ويزدادوا يقينا، ويشكروا ما أنعم[2] به عليهم ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ رئيسهم ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ كم مدة لبثتم[3] ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل[4] جواز الاجتهاد، والقول بالظن الغالب[5] ﴿ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ بمدة لبثكم، إنكار عليهم من بعضهم، كأنهم قد علموا بالأدلة، أو بالإلهام[6] أن المدة متطاولة، وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله.

---

(١) أورده السمرقندي في بحر العلوم : ٢ / ٣٩٤، عن سعيد بن جبير عن معاوية بنحوه، وعزاه ابن حجر إلى ابن أبي حاتم وأبي بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وصحح إسناده. انظر : الكافي الشافي : ٢ / ٦٨٢.

(٢) في " ج " أنعم الله.

(٣) في " ج " لبثكم، وما قبله المثبت منصوب بنون.

(٤) في " ج " زيادة : على.

(٥) وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ. الكشاف (٢ / ٦٨٢).

(٦) في " ج " بإلهمام.

وروي : أهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أهم في يومـهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك[١].

وقد استدل ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ على أن الصحيح : أن عددهم ســبعة، لأنه قال في الآية " قال قائل منهم كم لبثتم " وهذا واحد، وقالوا في جوابه : لبثنا يوما أو بعض يوم، وهو جمع، وأقله ثلاثة، ثم قالوا[٢] : ربكم أعلم بما لبثتم، وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة [٣] ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم ﴾ كأهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيئ آخر مما يـهمكم، فـابعثوا أحدكم، أي : يمليخا﴿ بِوَرِقِكُمۡ ﴾ هو[٤] الفضة المضروبـة كـانت أو غـير مضروبة، وبسكون الراء : أبو عمرو وحمـزة وأبـو بكـر[٥] ﴿ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ هي طرسوس[٦]، وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة

---

(١) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٨٢.

(٢) في " ج " قال.

(٣) انظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٩٥، وعزاه في الدر المنثور (٤/ ٢١٧) إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.وهو منزع قوي إن سلم من ثلاثة أمور :
الأول : التسليم بأن عددهم لا يزيد على سبعة.
الثاني : التسليم بأنه لم يشترك مع المجيبين أحد من السائلين.
الثالث : التسليم بأن أقل الجمع ثلاثة.

(٤) في " ج " : هي.

(٥) انظر : التلخيص : ٣١٦، والكنز : ١٨٩.

(٦) بلدة قديمة، من أعمال تركيا، قيل : أول من بناها اليونان، ولد فيـها كثـير مـن مشاهير اليونان وفلاسفتهم، وبها دفن المأمون فتحت سنة ٩٣ هــ ثم استولى عليـها نقفور الروم عام ٣٥٤ هــ. انظر : دائرة المعارف ــ للمعلم بطـرس : ١١ / ٢٥٥ ــ ٢٥٦.

وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات، وعلى ما في أوعية القوم من النفقات، وعن بعض العلماء : أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله، ويقول : ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان[١] والتوكل على الرحمن[٢] ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ ﴾ أي : أهلها فحذف كما في " واسأل القرية "[٣] و"أي" مبتدأ وخبره ﴿ أَزْكَىٰ ﴾ أحل وأطيب، أو أكثر وأرخص ﴿ طَعَامًا ﴾ تمييز ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن[٤] أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد منه، فسمي ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه.

٢٠- والضمير في ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ راجع إلى الأهل المقدر في "أيها" ﴿ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يطلعوا عليكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة ﴿ أَوْ

---

(١) التكة، والمنطقة. القاموس : (همن) ١٦٠٠.

(٢) الكشاف : (٢ / ٤٧٦ ــ ٤٧٧).

(٣) يوسف : ٨٢.

(٤) قال القرطبي : في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها. ولاختلاف فيها في الجملة، والوكالة معروفة في الجاهلية والاسلام، وهي عقد نيابة، أذن الله سبحانه فيه للحاجة إليه وقيام المصلحة في ذلك و ليس كل أحد يقدر على تناول أموره إلا بمعونة من غيره أو بترفه فينيب من يريحه. الجامع (١٠ / ٣٧٦).

﴿ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ بالإكراه،[1] ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ إذا يدل على الشرط أي، ولن تفلحوا ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبدا.

٢١- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ كما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ ﴾ أي: الذين أطلعناهم على حالهم ﴿ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ وهو البعث[2] ﴿ حَقٌّ ﴾ كائن ؛ لأن حالهم في نومتهم[3] وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ ﴾ متعلق بـ "أعثرنا"، أي: أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان ﴿ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول : تبعث الأرواح دون الأجساد[4] وبعضهم يقول: نبعث الأجساد مع الأرواح، ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت[5] ﴿ فَقَالُواْ ﴾ حين توفى الله أصحاب الكهف ﴿ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ﴾ أي : على باب كهفهم، لئلا

---

(١) في " ب " و " ج " زيادة : والعود : بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم.

(٢) ويحتمل " وعد الله " معنى ثانيا. وهو فلاح أهل الكهف، فعلى المعنى الذي ذكره المصنف يكون ضمير الجمع في الفعل راجعا إلى منكري البعث، وعلى الثاني : . الضمير راجع إلى أهل الكهف.

والسياق يرجح ما ذكره المصنف، فإن مجئ قوله تعالى : " وأن الساعة لا ريب فيها " بعد قوله : " ليعلموا أن وعد الله حق " يدل على أن المقصود مكروا البعث.

(٣) في " ج " نومتهم.

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ٧٧).

(٥) الكشاف (٣ / ٤٧٧).

يتطرق إليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة ــ رســول الله [صلى الله عليه وسلم][1] ــ بالحظــيرة ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ مــن كــلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم فتناقل[2] الكلام في[3] أنسابهم وأحوالهم ومــدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم، أو : من كلام الله عــز وجل رد[4] لقول الخائضين في حديثـهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم، وكانوا أولى بهم وبالبناء عليـهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِدًا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم [5].

---

(١) في " ج " و " ب " عليه السلام، والمثبت من " ج ".

(٢) في " ب " و " ج " وتناقلوا.

(٣) في " ج " على.

(٤) في " ج " ردا، بالنصب مفعول من أجله والمثبت : خبر.

(٥) استدل الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٦ / ٨٧) بالآية على جــواز اتخــاذ المساجد على القبور، وهو استدلال باطل، مصادم لما تواتر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التحذير من ذلك، كقوله عليه الصلاة والسلام : " لعــن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " رواه البخاري في الجنائز باب مــا يكره من اتخاذ المساجد (٢ / ٩١).

وقوله : " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مســاجد ألا فــلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك " رواه مسلم (١ / ٣٧٨) رقم ٥٣٢.

وروي عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصــاوير لرسول، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن أولئك إذا كــان فيــهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شــرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة. البخاري باب بناء المساجد على القبر (٢ / ٩٣)

قال ابن كثير : " وهذا كان شائعا فيما كان قبلنا فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله اليهود .... " الحديث. البداية والنهاية (٢ / ١١٦) وينظر : تفسيره (٣ / ٧٨).

وقال القرطبي : وتنشأ هنا مسائل ممنوعة، وجائزة، فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تتضمنه السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز " الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٧٩)

وقال الألوسي : ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالجص أو الآجر، وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها. واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك محتجا بهذه الآية الكريمة، وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم في قبره عليه السلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض ". روح المعاني : ١٥ / ٢١٨ ــ ٢١٩).

وفي هذا الصدد ذكر ابن حجر " الهيتمي " ستة أمور قال : إنها كلها من الكبائر وهي : ١ ــ اتخاذ القبور مساجد، ٢ ــ إيقاد السرج عليها، ٣ ــ اتخاذها أوثانا، ٤ ــ الطواف بها، ٥ ــ استلامها، ٦ ــ الصلاة إليها.

وقال : قال أصحابنا تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما فاشترطوا شيئين، أن يكون قبر معظم، وأن يقصد بالصلاة إليه التبرك والإعظام. الزواجر : (١ / ١٢٥).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : " نهى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن اتخاذ آثار الأنبياء أعيادا، وذكر وجه الدلالة أن قبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان ". اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٣)

وبهذا يعلم أن استدلال الشهاب الخفاجي ومن وافقه بهذه الآية على جواز البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها استدلال غير صحيح، وهو محجوج بالنصوص الصريحة الصحيحة المتكاثرة التي أوردت طرفا منها، وانظر: أضواء البيان : ٣/١٥٩

روي : أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت[1] ملوكهم حتى عبدوا الأصنام، وأكرهوا على عبادتها، وممن شدد في ذلك : دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل. فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم، فطردوه، فأنطقه الله تعالى، فقال : ما تريدون مني إني أحب أحباء الله، فناموا وأنا أحرسكم، وقيل : مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف، وضرب[2] الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن. وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته وأغلق بابه، ولبس مسحا وجلس على رماد، وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيائهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه، ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه، وأبصروهم، وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث، ثم قال[3] الفتية للملك : نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفى الله أنفسهم، فألقى الملك عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فرآهم في المنام كارهين للذهب، فجعلها من الساج، وبنى على باب الكهف مسجدا.

٢٢- ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الضمير في "سيقولون " لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ـــ [صلى الله عليه

---

(١) في " ب " : فطغت.

(٢) في " ج " فضرب.

(٣) في " ب " و " ج " قالت.

وسلم][1] من المؤمنين، وأهل الكتاب سألوا رسول الله [صلى الله عليه وسلم][2] عنه فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم، فتزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول : سبعة وثامنهم كلبهم [3].

ويروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي [صلى الله عليه وسلم][4] فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد ـــ وكان يعقوبيا ـــ : كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب ـــ وكان نسطوريا ـــ كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون : كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين، وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ـــ عليه الصلاة والسلام [5] وبما ذكرنا من قبل :

وعن علي ـــ رضي الله عنه ـــ هم سبعة نفر، أسماؤهم : يمليخا ومكشلينا ومكشيلمنيا[6] هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره : مرنوش،ودبر نوش

---

(١) المثبت من " ج ".

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج "

(٣) وذكر ابن عطية أن الضمير يرجع إلى أهل التوراة المعاصرين للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ خاصة. المحرر الوجيز (٣ / ٥٠٧)
لكن ما ذكره المصنف أنسب بسياق الآيات ؛ لأن الآية تخبر عما سيقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اختلاف الناس في عدد أهل الكهف، وقد وقع مثل ما أخبر به القرآن لما قدم وفد نجران، وجرى ذكر أهل الكهف كما في القصة التي أوردها المصنف، وهي قوله : ويروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران ... الخ. روح المعاني (٥ / ٢٤٦).

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي غيرها : عليه السلام.

(٥) في " ب " عليه السلام، وفي " ج " : صلى الله عليه وسلم،

(٦) في " ج " مسليينا.

وشاذنوش، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع الراعي[1] الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم أفسوس، واسم كلبهم قطمير [2].

وسين الاستقبال وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك : قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا، أو : أريد بـ "يفعل" معنى الاستقبال الذي هو صالح له، (ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف، أي : هم ثلاثة، وكذلك خمسة وسبعة، و(رابعهم كلبهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لـ (ثلاثة)، وكذلك (سادسهم كلبهم) و(ثامنهم كلبهم)، (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي وإتيان به، كقوله : " ويقذفون بالغيب "[3] أي : يأتون به، أو :

---

(١) في " ب " في الهامش : واسمه كنيشيططنونس. والجهل بهذا الاسم أروح للنفس.

(٢) انظر : السراج المنير : ٢ / ٣٦٤. وقال الألوسي : في صحة نسبة هذه الرواية لعلي رضي الله عنه مقال :

والذي ثبت عنه ذلك هو ابن عباس رضي الله عنهما ـ وأنه قال : أنا من ذلك القليل كما جاء في الوسيط : ٣/١٤٣، والبغوي : ٣/١٥٧. قال السيوطي : إسناده صحيح (الدر المنثور ٤ / ٣٩٣).

و ذكر الحافظ ابن حجر أن في النطق بهذه الأسماء اختلافا كثيرا، ولا يقع الموثوق من ضبطها بشيء. الفتح (٦ / ٥٠٥).

وأيا ما كان فإن العبرة في أهل الكهف بأعمالهم لا بأسمائهم، فلا غرو إن طوى الله تعالى ذكرها، بل إن إظهار أسمائهم والتصريح بها قد ينسي الحقيقة التي من أجلها سيقت القصة ولاعتقد السامع أن مثل هذا لا يحصل لهؤلاء بأعيانهم وأسمائهم، وعادة القرآن أن يذكر القصة لأخذ العبرة بلا تعيين ولا تحديد زمان أو مكان ليس من الضرورة ذكره، حتى لا يتعلق الناس بشيء من ذلك أو يقولوا : إنما حصل ذلك لأنه كان في ذلك الزمان أو ذلك المكان، لهؤلاء بأعيانهم. والله أعلم.

(٣) سورة سبأ : ٤٨.

وضع الرجم موضع الظن، فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا[1] أن يقولوا رجم بالظن[2] مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين.

والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة[3] كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك : جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، وفائدتها : توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر،، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : سبعة وثامنهم كلبهم قالوا[4] عن ثبات علم و لم يرجموا بالظن كما [رجم][5] غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ أي : قل ربي أعلم بعدتهم، وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم ﴿ مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قال ابن عباس [رضي الله عنهما][6] ــ : أنا من ذلك القليل[7] وقيل : إلا قليل من أهل الكتاب[8] والضمير في (سيقولون) ــ على هذا ــ لأهل الكتاب خاصة، أي : سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظن وتخمين ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في شأن

---

(١) أي أهل اللسان.

(٢) في " ب " بالغيب.

(٣) في " ج " النكرة ,

(٤) في " ب " و " ج " قالوه.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و (ب).

(٦) ليس في " أ " و " ب " والمثبت من " ج ".

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) أورده ابن جرير الطبري. جامع البيان (٨ / ٢٠٦) والألوسي في روح المعاني (٥ / ٢٤٢).

أصحاب الكهف ﴿ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ إلا جدالا ظاهرا غير متعمق[1] وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك، فحسب ولا تزيد من[2] تجهيل لهم، أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده، ولا سؤال مسترشد، لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

٢٣- ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ لأجل شئ تعزم عليه ﴿ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ ﴾ الشئ ﴿ غَدًا ﴾ أي : ما[3] يستقبل من الزمان و لم يرد الغد خاصة.

٢٤- ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أن تقوله بأن يأذن لك[4] فيه، أو: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله، أي : إلا بمشيئته، وهو في موضع الحال، أي : إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا: إن شاء الله، وقال الزجاج : " معناه ولا تقولن : إني أفعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى، لأن قول القائل أنا أفعل ذلك إن شاء الله معناه لا أفعله إلا بمشيئة الله[5] "[6] وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين، فسألوه فقال : ائتوني غدا أخبركم و لم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه[7] ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ أي: مشيئة

---

(١) في " ج " متعمق فيه.

(٢) في " ب " و " ج " من غير.

(٣) في " ب " فيما.

(٤) في " ج " يأذن ذلك.

(٥) في " ج " زيادة (تعالى).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٧٨).

(٧) لباب النقول في أسباب النزول (١٢٩) وروح المعاني (٥ / ٢٤٧).

ربك، وقل : إن شاء الله ﴿ إِذَا نَسِيتَ ﴾ إذا فرط منك نسيان كذلك[1]" والمعنى : إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر : عن الحسن: ما دام في مجلس الذكر [2]" وعن ابن عباس — رضي الله عنهما [3] — ولو بعد سنة[4]" وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء[5]" فأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح إلا متصلا.

وحكي أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله [6] خالف ابن عباس — رضي الله عنهما — في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكره عليه، فقال له أبو حنيفة : هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالأيمان، افترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا، فيخرجوا عليك، فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده [7].

---

(١) في " ب : و " ج " : لذلك.

(٢) أورده الطبري في تفسيره وعزاه إليه. جامع البيان (٨ / ٢٠٨).

(٣) المثبت من " ج ".

(٤) المرجع السابق.

(٥) ووجهه ابن جرير توجيها آخر وهو : أنه بقوله : إن شاء الله — وإن طال الفصل — يخرج مما ألزمه الله به في هذه الآية، ويسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال إلا أن يكون استثناؤه موصولا بيمينه. انظر جامع البيان (٨ / ٢٠٩).
قال ابن كثير : " وهذا الذي قاله ابن جرير — رحمه الله — هو الصحيح، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه " تفسير القرآن العظيم (٣ / ٧٩).

(٦) في " ج " و " ب " : رضي الله عنه.

(٧) أورد هذه القصة الألوسي في تفسيره (٥ / ٢٥٠) بصيغة الحكاية، وليس في الآية ما يدل على أنها في الأيمان.
قال ابن عطية : " تكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في الاستثناء في غير اليمين ". المحرر الوجيز (٣ / ٥٠٩).

أو معناه : واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار، إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها، أو صل صلاة نسيتها إذا ذكرتها، أو إذا نسيت شيئا فاذكره ليذكرك المنسي ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ يعني: إذا نسيت شيئا فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه : أن تقول : عسى ربي أن يهديني لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة.(أن يهديني)[1]، (إن ترني)[2]، (أن يؤتين)[3]، أن تعلمن : مكي في الحالين، ووافقه: أبو عمرو، ومدني في الوصل.[4]

٢٥- ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أجمل في قوله : " فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)[5] و(سنين) عطف بيان لـ (ثلثمائة)، (ثلثمائة سنين) بالإضافة : حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز[6] كقوله : "بالأخسرين أعمالا "[7] ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ أي : تسع سنين، لدلالة ما قبله

---

(١) محذوفة الياء في " ج ".

(٢) محذوفة الياء في " ج ".

(٣) محذوفة الياء في " ج ".

(٤) انظر : التحبير : ١٤٠.

(٥) الكهف : ١١.

(٦) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٣، والنشر : ٢ / ٣١٠، والإتحاف : ٢ / ٢١٢ — ٢١٣، واستشكل بعض النحاة هذه القراءة لأن "مائة" تمييزها مفرد. انظر : التبيان للعكبري : (٢ / ٨٤٤)، والبحر : (٦ / ١١٢) وهي دعوى غير محررة، حررت الإجابة عنها ورفع الإشكال عنها في توجيه المشكل : ٣١٩.

(٧) الكهف : ١٠٣.

عليه، و(تسعا) مفعول به، لأن " زاد " تقتضي مفعولين، فازداد يقتضي مفعـــولا واحدا.

٢٦- ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ أي: هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمـــدة لبثهم، والحق ما أخبرك به، أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب[١] و(قل الله أعلـــم) رد عليهم، والجمهور : على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثـــوا في كهفهم كذا مدة[٢] ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومـــن غيرهـــا[٣] ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أي : وأسمع به، والمعنى : ما أبصره بكل موجـــود ومـــا أسمعه لكل مسموع[٤] ﴿ مَا لَهُم ﴾ لأهل الســـماوات والأرض ﴿ مِّن دُونِهِۦ

---

(١) ذكره ابن جرير الطبري ونقله عنه البغوي والشوكاني في تفسيرهما.
انظر : جامع البيان (٨ / ٢١٠)، ومعالم التنزيل (٣ / ١٥٧ ــ ١٥٨)، وفتـــح القدير (٣ / ٢٨٤).

(٢) واختاره ابن جرير واستظهره ابن كثير، وقال البغوي : " وهو الأصـــح " انظـــر : جامع البيان (٨ / ٢١١)، وتفسير القرآن العظيم (٣ / ٧٩)، ومعالم التـــنزيل (٣ / ١٥٨).
وقول المصنف رحمه الله : " والجمهور على أن هذا إخبار ... الخ " قد يتبادر منـــه. أنه قول ثالث في الآية، وهو في الحقيقة عين القول الأول الذي صدّر به في قولـــه : " أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم عدة لبثهم ... الخ ".
وإنما أعاده ونسبه للجمهور ليشير ــ رحمه الله ــ إلى قوته. والله أعلم.

(٣) "ومن غيرها " ساقط من : " ج ".

(٤) دلت الآية على استعمال صيغة التعجب في صفات الله تعالى نحو ما أعظم شأنه ومـــا أنفذ قضاءه. الإكليل في استنباط التنزيل (ص ١٤٦).

﴿ مِن وَلِيٍّ ﴾ من متول لأمورهم ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ ﴾ في قضائه ﴿ أَحَدًا ﴾ منهم، ولا نُشرك على النهي شامي[1].

كانوا يقولون[2] : ائت بقرآن غير هذا أو بدله، فقيل له :

٢٧- ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ أي : من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فإنه ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي : لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها، إنما يقدر على ذلك هو[3] وحده ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ملتجأ[4] تعدل إليه إن [5] هممت بذلك.

ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ : نح، هؤلاء موالي[6]، وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء مسلمين[7] حتى نجالسك نزل :

٢٨- ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [8] واحبسها معه وثبتها ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ دائبين على الدعاء في كل وقت، أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير، والعشي لطلب عفو التقصير، أو: هما صلاة الفجر والعصر[1].

(١) والتاء بدل الياء، انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٣، والتلخيص : ٣١٦، والتحبير : ١٣٨.

(٢) في " ج " يقولون له.

(٣) في " ج " وهو.

(٤) في " ج " ملجأ.

(٥) في " ج " أن.

(٦) في " ب " و " ج " الموالي.

(٧) في " ب " و " ج " المسلمين.

(٨) أسباب النزول للواحدي (ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥) , ولباب النقول (ص ١٣٠).

والتيسير، والعشي لطلب عفو التقصير، أو: هما صلاة الفجر والعصر[1]. بـالغدوة: شامي[2] ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ رضـا الله ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ ولا تجاوز، عداه : إذا جاوزه، وعدي بـ"عن " لتضمين [3] (عدا) معـنى (نبـا) في قولك : نبت عن عينه، وفائدة[4] التضمين : إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقـوى من إعطاء معنى فذ ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ في موضع الحـال ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر،وهـو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعـال العبـاد[5] ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ مجاوزا عن الحق.

---

(١) الكشاف (٢ / ٤٨١)، وفتح القدير الموضع السابق.

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٣٢٤، والإتحاف : ٢ / ٢١٣.

(٣) في " ج " لتضمن.

(٤) في " ب " ففائدة.

(٥) وجه ذلك : أنه ـــ تعالى ـــ نسب الإغفال إلى نفسه، وأنه خالقها في قلب من اتبع هواه، وهو رد على المعتزلة الذين يقولون بخلق العبد لفعل نفسه، وأن الله لا يخلـق الشر وأهل السنة توسطوا في ذلك، وأضافوا فعل العبد إلى الله ؛ لأنه خلقـه، وإلى العبد لأنه مقرون باختياره وقدرته، وهم بالأدلة الصريحة والبراهين الملزمـة أسـعد. وأقوم قيلا. وقد حاول الزمخشري أن يفلت من معنى الآية، وأن يشمر للفرار عـن الحق في هذه المسألة فلم يقدر. وساق الرازي أدلة الفريقين مفصلة وحشد الأدلـة في الرد على المعتزلة ودحض شبههم بحجج واضحة وكذلك ابن القيم في كتابه القيم : شفاء العليل. راجع : مفاتيح الغيب : ٢٢ / ١١٥ ـــ ١١٧، وشفاء العليل : البـاب الثالث عشر ص ٩١، وانظر : الكشاف : ٢ / ٦٩٠. مع حاشية ابن المنـير ورده عليه في نفس الصفحة.

٢٩- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي : الإسلام أو القرآن، و"الحق" خبر مبتدأ محذوف، أي : هو ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ أي: جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجلة أو: في طريق الهلاك، وجئ بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين.

ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ هيأنا ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ للكافرين، فقيد بالسياق كما ترك[1] حقيقة الأمر والتخيير بالسياق، وهو قوله: إنا أعتدنا للظالمين ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط[2] أو : هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، أو : هو[3] حائط من نار يطيف بهم ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ ﴾ من العطش ﴿ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ هو دردي الزيت[4]، أو: ما أذيب من جواهر الأرض، وفيه : تهكم بهم ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ ذلك ﴿ وَسَآءَتْ ﴾ النار

---

(١) في " ب " و " ج " تركت.

(٢) البيت من الشعر، وفيه لغتان أخريان : فستاط، وفساط، وكسر الفاء لغة فيهن، والجميع ست لغات. انظر : الصحاح : ٣ / ١١٥٠ (فسط)، وزاد في القاموس : (٨٧٩) : الفستات : بالفتح والكسر أيضا وفسره بالسرادق من الأبنية، وفسر السرادق : الصحن الذي يمد فوق صحن البيت ... والدخان المرتفع المحيط بالشئ : ص ١١٥٣ (سردق).

(٣) في " ج " أو هي.

(٤) ما يبقى أسفله : القاموس (درد) ٣٥٨.

﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ متكأ، من المرفق، وهذا[1] لمشاكلة[2] قوله :"وحسنت مرتفقا" وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

٣٠- وجزاء من اختار الإيمان فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

٣١- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ كلام مستأنف بيان للأجر المبهم، ولك أن تجعل (إنا لا نضيع) و(أولئك)[3] خبرين معا، والمراد : من أحسن عملا منهم كقولك : السمن منوان[4] بدرهم، : لأن[5] (من أحسن عملا) و(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يتضمنهما معنى واحد، فأقام[6] (من أحسن) مقام الضمير ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ "من" للابتداء وتنكير (أساور) وهي جمع أسورة [7] جمع سوار لإبهام أمرها في الحسن ﴿ مِن ذَهَبٍ ﴾ للتبين[8] ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾ ما رق من الديباج

---

(١) في " ج " : وهذه.

(٢) تقدم معنى المشاكلة.

(٣) في الأصل : فأولئك، والأقرب المثبت.

(٤) تثنية : منا، وهو المكيال الذي يكيلون به السمن وغيره، أو الميزان الذي يوزن به، اللسان : ٥ / ٢٩٧ (منا).

(٥) في " ج " : أو لأن.

(٦) في " ج " فأقام.

(٧) في " ج " زيادة : التي هي.

(٨) في " ج " من للتبين.

﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ما غلظ منه، أي : تجمعون[1] بين النوعين ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ خص الاتكاء ؛ لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرهم ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ ﴾ الجنة ﴿ وَحَسُنَتْ ﴾ أي[2] الجنة أو[3] الآرائك ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ متكأ.

٣٢- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قرطوس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا[4]" وقيل[5] : هما المذكوران في "والصافات" في قوله : "قال قائل منهم إني[6] كان لي قرين "[1] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاهما شطرين،

(١) في " ب " و " ج " يجمعون.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) في " ج " : و.

(٤) ذكر ذلك البغوي والألوسي، ونسباه لابن عباس رضي الله عنهم. معالم التنزيل (٣ / ١٦١) وروح المعاني (٥ / ٢٧٣).

(٥) هكذا في الأصل والأولى حذف الواو، لئلا يظن أنه قول ثان، وهو في الحقيقة متعلق بما قبله، وتقدير الكلام : كانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قرطوس والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما المذكوران ... الخ.
وقد أورد القصة المشار إليها بقوله : " ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار.. الخ " البغوي والألوسي في الموضعين المشار إليهما بتمامها على أنها قصة الرجلين المذكورين " قرطوس "، " ويهوذا " قلت : هذا أحد القولين في الآية أنهما رجلان محققان، والقول الآخر : أنهما مقدران وضرب المثل لا يقتضي وجودهما.
واختار الألوسي القول الأول وقال : وهو المعول عليه. روح المعاني (٥ / ٢٧٣).
وقال ابن كثير : وكونه مثلا محققا قول الجمهور. البداية والنهاية (٢ / ١٠٨).
ولم يفصح عنه اختياره في لموضع المذكور ولا في التفسير، وقد يشعر صنيعه هذا بميله إلى هذا القول.

(٦) في " أ " و " ب " إنه : وهو خطأ.

كان لي قرين "[1] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاهما شطرين، فاشترى الكافر أرضا بألف [2]" فقال المؤمن : اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا اشتري منك أرضا في الجنة بألف، فتصدق به، ثم بنى أخوه دارا بألف، فقال : اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف، فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال : اللهم إني جعلت بها[3] صداقا للحور، ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف دينار، فقال : اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف، فتصدق به ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه[4]" فتعرض له، فطرده ووبخه على التصدق بماله[5] ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ بستانين[6] من كروم ﴿ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ وجعلنا النخل محيطا بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين[7] في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة، يقلل : حفوه إذا أطافوا به، وحففته بهم، أي: جعلتهم حافين حوله، هو[8] متعد إلى مفعول [9] فتزيد الباء مفعولا ثانيا ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ جعلها[10]

---

(١) الصافات : ٥١.

(٢) في " ج " بألف دينار.

(٣) في " ب " و " ج " اشتريت.

(٤) خاصة المرء الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جيرة. القاموس : ١٤١٤ (حشم).

(٥) أورد القرطبي عن عطاء بن أبي رباح، انظر : تفسيره الجامع : ١٠ / ٤٠٠.

(٦) في " ج " بساتين.

(٧) جمع : دهقان، بكسر الدال وضمها، له معان منها : التاجر وزعيم فلاحي العجم، أورده القاموس في باب النون (دهقن) ١٥٤٦.

(٨) في " ب " : هو.

(٩) في " ج " مفعول واحد.

(١٠) في " ج " جعلناها.

أرضا جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

٣٣- ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ ﴾ أعطت، حملت[١] على اللفظ، لأن لفظ (كلتا) مفرد ولو قيل آتتا ــ على المعنى ــ لجاز ﴿ أُكُلَهَا ﴾ ثمرها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ ﴾ ولم تنقص من أكلها ﴿ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ نعتهما[٢] بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعلها أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها.

٣٤- ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ﴾ لصاحب الجنتين ﴿ ثَمَرٌ ﴾ أنواع من المال، من ثمر ماله إذا كثره[٣] ، أي : كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر،وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء : عاصم، وبضم الثاء وسكون الميم : أبو عمرو، وبضمهما : غيرهما[٤] ﴿ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، يعني : قرطوس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أنصارا وحشما، أو أولادا ذكورا ؛ لأنهم ينفرون معه دون الإناث.

---

(١) في " ب " و " ج " : حمل.

(٢) في " ب " نعمتهما.

(٣) في " ب " : كثر , على زنة شرف، وكذلك ثمر، ليصح النسق والأول من ثمر بالتضعيف.

(٤) انظر : التحبير : ١٣٨، والإتحاف : ٢ / ٢١٤.

٣٥- ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ إحدى جنتيه[١]، أو: سماهما جنة لاتحاد الحائط، و(جنتين) للنهر الجاري بينهما ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ ضار لها بكفره[٢] ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ أي: أن تهلك هذه الجنة، شك في بيدودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك.

٣٦- ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كائنة ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، منقلبا تمييز، أي : مرجعا وعاقبة.

٣٧- ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ أي : خلق أصلك، لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان[٣] خلقه خلقا له ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي خلقك من نطفة ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ عدلك وكملك إنسانا ذكيا[٤] بالغا مبلغ الرجال، جعله كافرا بالله لشكه في العبث.

---

(١) لعل النكتة في ذلك ؛ لأنه لا يدخلهما في وقت واحد. انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥١٧.

(٢) في " ج " بالكفر.

(٣) في " ج " وكان.

(٤) ساقط من غير الأصل.

٣٨- ﴿ لَّٰكِنَّا۠ ﴾ بالألف في الوصل : شامي، الباقون : بغير ألـــف، وبـــالألف في الوقف اتفاق[(١)] وأصله : لكن أنا، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها علـــى نـــون (لكن)، فتلاقت النونان، فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن ســـكنت ﴿ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ هو ضمير الشأن، والشأن " الله ربي"، والجملة: خبر "أنا"، والراجع منـها إليه : ياء الضمير، وهو استدراك لقوله : (أكفرت)، قال لأخيه : أنت كافر بـــالله لكني مؤمن موحد،كما تقول: زيد غائب لكن عمرا حاضر، وفيه حـــذف. أي : أقول : هو الله بدليل عطف ﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ .

٣٩- ﴿ وَلَوۡلَآ ﴾ وهلا ﴿ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ "ما " موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله[(٢)] أو شـــرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، يعني : أي شئ شاء الله (كان، والمعنى : هـــلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك منها الأمر ما شاء الله)[(٣)] اعترافـــا بأنهـا وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شـاء خربها وقلت[(٤)] ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده، من قرأ ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ ﴾ بنصب ﴿ أَقَلَّ ﴾ فقد جعـــل "أنا" فصلا[(٥)] ومن رفع " وهو الكسائي "[(١)] جعله مبتدأ و(أقل) خبره، والجملـــة

---

(١) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٤، والكتر : ١٨٩، والتحبير : ١٣٨.

(٢) وقيل : مبتدأ، خبره محذوف، والتقدير : ما شاءه الله كائن وواقع. انظر : التبيـــان : ٢ / ٨٤٦، والبحر المحيط : ٦ / ١٢٢، والدر المصون : ٧ / ٤٩٥.

(٣) ما بين القوسين ساقط من " ب ".

(٤) سقط من " ج ".

(٥) أي ضمير فصل لا محل له من الإعراب.

مفعولا ثانيا لـ (ترني)، قوله[2] ﴿ وَوَلَدًا ﴾ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: (وأعز نفرا).

٤٠- ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ في الدنيا أو : في العقبى ﴿ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا ﴾ عذابا ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾ أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها.

٤١- ﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا ﴾ غائرا، أي : ذاهبا في الأرض ﴿ فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴾ فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود، والمعنى : إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك، ويسلبك لكفرك نعمته ويخربك[3] بستانك[4].

٤٢- ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ هو عبارة عن إهلاكه، وأصله : من أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك﴿ فَأَصۡبَحَ ﴾ أي: الكافر ﴿ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ ﴾ يضرب إحداهما على الأخرى ندما وتحسرا، وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر ؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم، عدي

---

(١) ليس للكسائي قراءة معروفة في هذا اللفظ، وهي في الكشاف : ٢ / ٦٩٥ غير معزوة لأحد، وعزاها في البحر : (٦ / ١٢٣) إلى عيسى ابن عمر، وانظر : الدر المصون : ٧ / ٤٩٦.

(٢) في " ج " وفي قوله.

(٣) في " ب " و " ج " يخرب.

(٤) في " ج " بساتينك.

تعديته بعلى، كأنه قيل : فأصبح يندم ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ أي: في عمارتها ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ يعني: أن كرومها[1] المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أتي من جهة كفره وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني، ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان.

٤٣- ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ ﴾ يقدرون على نصرته ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي : هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله.

٤٤- ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (يكن) بالياء و"الولاية "بكسر الواو: حمزة وعلي[2]، فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك[3] ، والمعنى : هنالك أي : في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولايستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله : (و لم يكن له فئة ينصرونه من دون الله)، أو : هنالك السلطان والملك لله لا يغلب، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله: (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها، أو (هنالك الولاية لله) ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، يعني : أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله : (فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من

---

(١) جمع : كرم وهو العنب. القاموس : ١٤٨٩ (كرم).

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٤، والتحبير : ١٣٨.

(٣) انظر وضح البرهان : ٢ / ٩٢ .وعمدة الحفاظ للسمين : ٦٤٤ .

السماء) ويؤيده قوله: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أي : لأوليائه، أو: (هنالك) إشارة إلى الآخرة أي : في تلك الدار الولاية لله كقوله : " لمن الملك اليوم "[1] (الحق) بالرفع : أبو عمرو وعلي[2] صفة للولاية، أو : خبر مبتدأ محذوف، أي : هي الحق أو : هو الحق، غيرهما بالجر صفة لله، عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة، وبضمها : غيرهما[3] وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى[4] وكلها بمعنى : العاقبة.

٤٥- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

أي: هو[5] كماء أنزلناه ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا، أو : أثر في النبات ماء[6] فاختلط به حتى روي ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يابسا متكسرا، الواحدة هشيمة ﴿ تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ تنسفه وتطيره. الريح حمزة وعلي[7] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿ مُّقْتَدِرًا ﴾ قادرا، شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما

---

(١) غافر : ١٦.

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٤، والتلخيص : ٣١٧، والتحبير : ١٣١.

(٣) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٤، والتحبير : ١٣٨، والاتحاف : ٢ / ٢١٦.

(٤) عزاها في الكشاف (٢ / ٦٩٧) غير معزوة، وعزاها في البحر (٦ / ١٢٤) لعاصم، وهي مخالفة لرسم المصحف.

(٥) في " ج " هي.

(٦) في " ب " الماء.

(٧) انظر : التلخيص : ٢١٥، والاتحاف : ٢ / ٢١٦.

يتعقبها من الهلاك والفناء[1] بحال النبات يكون أخضر، ثم يهيج فتطير[2] الرياح[3] كأن لم يكن.

٤٦- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا زاد القبر وعدة العقبى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان[4]، أو الصلوات الخمس[5]، أو : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله[6] والله أكبر[1] ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأنه وعد صادق وأكثر الآمال

(١) في " ج " الإفناء.

(٢) في " ج " فتطيره.

(٣) في " ج " الريح، وهو محتمل.

(٤) اختار هذا القول العلامة ابن جرير ــ رحمه الله ــ وأجاب عن الحديث الوارد في الباقيات الصالحات بما نصه : " فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إنما ورد بأن قول : سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر هن من الباقيات الصالحات، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البر أيضا باقيات صالحات " جامع البيان (٨ / ٢٣٣).

ووافقه الشيخ الأمين الشنقيطي ــ رحمه الله ــ فقال : التحقيق أن " الباقيات الصالحات " لفظ عام وأقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، لأنها باقية لصاحبها غير زائلة، ولا فانية كزينة الحياة الدنيا ؛ ولأنها أيضا صالحة لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله تعالى. انظر الأضواء (٤ / ١٠٩) وفي هذا الاختيار قوة.

(٥) روي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير. تفسير ابن كثير (٣ / ٨٥).

(٦) ورد في هذا المعنى حديث مرفوع.

رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ جزاء ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة، يعني : أن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة.

٤٧- ﴿ وَيَوْمَ ﴾ واذكر يوم ﴿ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ " تسير الجبال " مكي وشامي وأبو عمرو[٢]، أي : تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء [٣] منبثا ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ ﴾ أي: الموتى ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي: فلم نترك، غادره، أي : تركه، ومنه الغدر : ترك الوفاء، الغدير : ما غادره السيل.

٤٨- ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ مصطفين ظاهرين، ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا، شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ أي: قلنا لهم: لقد جئتمونا، وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب في "يوم نسير" ﴿ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ أي: لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، أو : جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا، وإنما قال "وحشرناهم" ماضيا بعد "نسير" " وترى " للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال، كأنه قيل : وحشرناهم قبل ذلك ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور، أو: مكان وعد للمحاسبة.

---

(١) وهو قول عطاء بن أبي رباح، والرواية الأخرى عن ابن عباس، وفي فضل هذه الكلمات روايات كثيرة ذكرها الحافظ ابن كثير (٣ / ٨٥ ـــ ٨٧).

(٢) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٥، والاتحاف : ٢ / ٢١٦.

(٣) " ج " منثورا منبثا.

٤٩- ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أي : صحف الأعمال ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ أي: لا يترك شيئا من المعاصي ﴿ إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ حصرها وضبطها ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾ في الصحف عتيدا، أو : جزاء ما عملوا ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يزيد في عقابه، أو : يعذبه بغير جرم.

٥٠- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ سجود تحية، أو: سجود انقياد ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ هو[1] مستأنف كأن قائلا قال: ما له لم يسجد ؟ فقيل : كان من الجن ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ خرج عما أمره به ربه[2] من السجود، وهو دليل على أنه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ الهمزة : للإنكار والتعجيب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته ﴿ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ وتستبدلونهم بي، ومن ذريته "لاقيس "موسوس الطهارة، و" ولهان " موسوس الصلاة[3]" و"الأعور" صاحب الزنا، و"ثبر"[4] صاحب المصائب، و "مسوط"[5] صاحب الأراجيف، و"داسم"

(١) في " ج " وهو.

(٢) في " ج " ربه به.

(٣) في " ج " لا قيس موسوس الصلاة وما بينهما ساقط.

(٤) في " ب " وتبر، وفي " ج " وبتر.

(٥) في " ج " مطوس.

يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى[1] ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾ أعداء، ﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته[2].

٥١- ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة، وإنما يكونون[3] شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدهم خلق السماوات والأرض لأعتضد بهم في خلقها، أو : أشاورهم فيه، أي : تفردت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة ﴿ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي : ولا أشهدت بعضهم خلق

---

(١) ما ذكره المصنف من تعيين هذه الأسماء ووظيفة كل لم يثبت.
قال الشيخ الأمين الشينقيطي ـــ عليه رحمة الله ـــ : ما يذكره كثير من المفسرين وغيرهم من تعيين أسماء أولاده ووظائفهم التي قلدهم إياها كزلنبور، وثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، والولهان والأقيس.. إلى غير ذلك من تعيين أسمائهم ووظائفهم كله لا معول عليه إلا ما ثبت منه عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومما ثبت عنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من تعيين وظيفة الشيطان واسمه ما رواه مسلم ـــ رحمه الله ـــ في صحيحه أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال : يا رسول الله : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : ذاك الشيطان يقال له خترب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا " قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. وتحريش الشيطان بين الناس، وكون إبليس يضع عرشه على البحر ويبعث السرايا فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة ـــ كل ذلك معروف ثابت في الصحيح. انظر : أضواء البيان (٤ / ١٢٣ ـــ ١٢٤).

(٢) في " ج " طاعة الله.

(٣) في " ب " يكون.

بعض كقوله : (ولا تقتلوا أنفسكم) ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ ﴾ أي: وما كنت متخذهم ﴿ عَضُدًا ﴾ أي: أعوانا، فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة ؟

٥٢- ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾ الله للكفار، وبالنون: حمزة[١] ﴿ نَادُواْ ﴾ ادعوا بصوت عال ﴿ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنها[٢] [٣] شركائي ليمنعوكم من عذابي، وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم، توبيخا لهم ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ مهلكا من وبق يبق وبوقا، إذا هلك، أو : مصدرا[٤] كالموعد أي : وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو[٥] مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا، أو: الملائكة، وعزيرا، وعيسى، والموبق : البرزخ البعيد، أي : وجعلنا بينهم أمدا بعيدا ؛ لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان [٦].

---

(١) انظر : التحبير : ١٣٨، والإتحاف : ٢ / ٢١٧.

(٢) في " ج " أنها.

(٣) في " ج " زيادة " فيكم ".

(٤) في " ج " مصدر.

(٥) في " ج " وهو.

(٦) انظر الأقوال التي ذكرها في معنى " الموبق " في الكشاف (٢ / ٤٨٨)، وزاد المسير (٥ / ١٥٥ ـــ ١٥٦)، وتفسير ابن كثير (٣ / ٩٠)، والبحر المحيط (٧ / ١٩٢).

٥٣- ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ ﴾ فـأيقنوا ﴿ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ مخالطوها، واقعون فيها ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا ﴾ عن النار ﴿ مَصْرِفًا ﴾ معدلا.

٥٤- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يحتاجون إليه ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ تمييز، أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل، يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شئ.

٥٥- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: سببه وهو الكتاب والرسول ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ "أن" الأولى نصب، والثانية: رفع وقبلها مضاف محذوف، تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك، أو: انتظار أن يأتيهم[1] العذاب يعني[2]: عذاب الآخرة ﴿ قُبُلًا ﴾ كوفي أي: أنواعا جمع قبيل. الباقون قبلا أي: عيانا.

٥٦- ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ يوقف عليه[3]، ويستأنف بقوله ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ هو قولهم للرسل (ما أنتم إلا بشر مثلنا) "ولو شاء[4] لأنزل ملائكة" ونحو ذلك ﴿ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ

---

(١) في " ب " تأتيهم، وهو بعيد.

(٢) في " ج " أي.

(٣) انظر: علل الوقوف لابن طيفور (٢ / ٦٦٦).

(٤) في " ج " شاء الله.

﴿ ٱلۡحَقَّ ﴾ ليزولوا[1] أو ليبطلوا بالجدال النبوة ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي ﴾ القرآن ﴿ وَمَآ أُنذِرُواْ ﴾ "ما" موصولة، والراجع من الصلة محذوف، أي : وما أنذروه من العقاب، أو: مصدرية، أي : وإنذارهم ﴿ هُزُوٗا ﴾ موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة، وبإبدال الهمزة واوا حفص، وبضم الزاي والهمزة: غيرهما.[2]

٥٧- ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ بالقرآن، ولذلك رجع الضمير إليها مذكرا في قوله "أن يفقهوه" ﴿ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ فلم يتذكر حين ذكر، ومن[3] لم يتدبر ﴿ وَنَسِيَ ﴾ عاقبة ﴿ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾ من الكفر والمعاصي غير مفكر[4] فيها، ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً ﴾ أغطية، جمع كنان، وهو الغطاء ﴿ أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ ﴾ ثقلا عن استماع الحق، وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه: ﴿ وَإِن تَدۡعُهُمۡ[5] إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ إلى الإيمان ﴿ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ ﴾

---

(١) في " ب " و " ج " ليزيلوا.

(٢) انظر : التحبير : ٨٨، والإتحاف : ٢ / ٢١٨.

(٣) سقط من " ب " و " ج ".

(٤) في " ج " متفكر.

(٥) في " ج " وان تدعهم (يا محمد).

فلا يكون منهم اهتداء ألبتة ﴿ إِذًا ﴾ جزاء وجواب[1] ﴿ أَبَدًا ﴾ مدة التكليف كلها.

٥٨- ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ﴾ البليغ المغفرة ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي : من رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ ﴾ وهو يوم بدر[3] ﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ منجى ولا ملجأ، يقال. وأل إذا نجا و وأل إليه إذا لجأ إليه.

٥٩- ﴿ وَتِلْكَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ صفة ؛ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس، والخبر ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ أو: تلك القرى نصب بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير، والمعنى : وتلك أصحاب القرى أهلكناهم، والمراد: قوم نوح وعاد وثمود ﴿ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ مثل ظلم أهل مكة ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه، كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر،

---

(١) زاد في " ج " : فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول، بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله : مالي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم، فقيل : وإن تدعهم إلى الهدى. فلن يهتدوا إذا.

(٢) في " ب " عليه السلام.

(٣) أو يوم القيامة، أو سائر أيام الفتح.
انظر الأقوال الثلاثة في التفسير الكبير (٢١ / ١٤٢). وأنوار التنزيل (٢ / ١٦)، وروح المعاني (٥ / ٣٠٧)، وفتح القدير (٣ / ٣٠١).
وكلها أقوال صحيحة لا ينافي بعضها بعضا إذ لا مانع من حمل الآية عليها جميعا.

والمهلك[1] : الإهلاك ووقته. وبفتح الميم وكسر اللام : حفص، وبفتحهما أبو بكر[2]، أي : لوقت هلاكهم أو لهلاكهم، والموعد وقت، أو مصدر.

٦٠- ﴿ وَإِذْ ﴾ واذكر إذ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ وهو يوشع ابن[3] نون[4]، وإنما قيل لفتاه[5] لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم[6] ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾ لا أزال، وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه، أما الأولى فلأنها كانت حال سفر، وأما الثاني: فلأن قوله ﴿ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام، وهو ملتقى بحري[7] فارس والروم[8]، وسمي خضرا لأنه أينما يصلي يخضر ما حوله[1] ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أو أسير زمانا طويلا[2]، قيل ثمانون سنة[3].

---

(١) بضم الميم وفتح اللام، كما في الأصل و " ب ".

(٢) انظر : التلخيص : ٣١٧، والإتحاف : ٢ / ٢١٨.

(٣) هكذا في الأصل، وليس له وجه إلآ إذا كان المذكور بعده ليس أبا مباشرا.

(٤) هو يوشع بن نون بن أفراثيم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ــ وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، وهو الذي جمع الله بني إسرائيل. عليه فذهب بهم إلى الأرض المطلوبة ففتح الله مدينة العمالقة بيديه بعد انقضاء المدة التي سجل الله عليهم في التيه. انظر : البداية والنهاية (١ / ٢٩٧) وما بعدها

(٥) في " ج " فتاه.

(٦) التفسير الكبير (٢١ / ١٤٤) والبحر المحيط (٧ / ١٩٨).

(٧) في " ج " بحر.

(٨) المحرر الوجيز (٣ / ٥٢٧)، وعمدة القارئ (١ / ٤٤٦).

روي : أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل، واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربه : أي عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني، قال : فأي عبادك أقضى ؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال : فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، فقال : إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني[4] عليه، قال : أعلم منك الخضر، قال : أين أطلبه ؟قال : على الساحل، عند الصخرة، قال : يارب كيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتا في مكتل، فحيث فقده[5] فقال[6] فهو هناك،[7] إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان، فرقد موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى، فقال : وأنى بأرضنا السلام، فعرفه نفسه، فقال : يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

---

(١) لم أجد عاضدا لهذا المعنى من نص صحيح، وقيل: لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء كما جاء في خبر مرفوع، وقيل : لحسنه وإشراق وجهه تشبيها بالنبات الغض، وما ذكره المصنف مروي عن مجاهد، وليس في تحقيق ذلك كبير فائدة، انظر : تاج العروس : ٣ / ١٨١ (خضر) وقد ذكر الخلاف في نبوته وحياته وبسطه بسطا لا يوجد في كثير من الكتب المعنية بالبحث في مثله.

(٢) جامع البيان (٨ / ٢٤٦).

(٣) الصحاح للجوهري (١ / ١١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٣ / ٢٩٩).

(٤) في " ج " فدلني.

(٥) في " ج " فقدته.

(٦) سقط من " ج ".

(٧) في " ج " زيادة : فقال لفتاه.

٦١- ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾ مجمع البحرين ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ أي: نسي أحدهما وهو يوشع، لأنه كان صاحب الزاد، دليله : فإني نسيت الحوت، وهو كقولهم : نسوا زادهم، وإنما ينساه متعهد الزاد، قيل : كان الحوت سمكة مملوحة، فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت، ووقعت في الماء[1] ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ أي: اتخذ طريقا له من البر إلى البحر ﴿ سَرَبًا ﴾ نصب على المصدر، أي: سرب فيه سربا يعني: دخل فيه واستتربه[2].

٦٢- ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ مجمع البحرين، ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ تعبا، ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك.

٦٣- ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ هي موضع الموعد ﴿ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ ثم اعتذر، فقال: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ وبضم الهاء حمزة[3] ﴿ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب ﴿ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ بدل من الهاء في

---

(١) زاد المسير (٥ / ١٦٥)، وعمدة القاري (١٩ / ٢٤).

(٢) في " ج " واستتربه.

(٣) هذا سهو من المصنف ـــ رحمه الله ـــ في نسبة القراءة إلى حمزة، والذي ضمها هو : حفص وحده، انظر : التلخيص : ٣١٧، والإتحاف : ٢ / ٢١٩، والباقون، ومنهم حمزة : قرءوا بالكسر.

"أنسانيه"، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ[1] عَجَبًا ﴾ وهو أن أثره بقي إلى حيث سار.

٦٤- ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ نطلب، وبالياء مكي، وافقه : أبو عمرو، وعلي ومدني : في الوصل، وبغير ياء فيهما: غيرهما اتباعا لخط المصحف[2] وذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب، لأن ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا ﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه ﴿ قَصَصًا ﴾ يقصان قصصا، أي : يتبعان آثارهما اتباعا، قال الزجاج[3] : القصص اتباع الأثر [4].

٦٥- ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ أي: الخضر راقدا تحت ثوب، أوجالسا في البحر ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ هي الوحي والنبوة، أو العلم، أو طول الحياة[5] ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ يعني : الإخبار بالغيوب[1]، وقيل: العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الإلهام[2].

---

(١) في " أ " و " ب " (اتخاذا).

(٢) انظر : الإتحاف : ٢ / ٢١٩.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل المشهور بأبي إسحاق النحوي اللغوي. معروف بالزجاج كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب، من تصانيفه : الاشتقاق، وشرح أبيات سيبويه، توفي في جمادي الآخرة سنة ٣١١هـ. انظر : إنباه الرواه للقفطي (١ / ١٥٩)، وبغية الوعاة (١ / ٤١١ ـ ٤١٣).

(٤) معاني القرآن (٣ / ٣٠٠).

(٥) تفسير البيضاوي (٢ / ١٧)، والتفسير الكبير (٢١ / ١٤٨)، وفتح القدير (٣ / ٣٠٣).

٦٦- ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

أي: علما ذا رشد أرشد به في ديني، رشدا : أبو عمرو[٣] وهما لغتان كالبخل والبخل، وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

٦٧- ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ ﴾ وبفتح الياء : حفص[٤] وكذا ما بعده في هذه السورة ﴿ صَبْرًا ﴾ أي : عن الإنكار والسؤال.

٦٨- ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ تمييز، نفى استطاعة الصبر معه، على وجه التأكيد، وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك، فكيف إذا كان نبيا ؟

٦٩ - ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ من الصابرين عن الإنكار والإعراض ﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ في محل النصب عطف على صابرا، أي: ستجدني صابرا، وغير عاص، أو : هو عطف على ستجدني ولا محل له.

---

(١) فتح القدير (٣ / ٣٠٣).

(٢) نقل القاسمي في تفسيره ملخص ما ذكره الغزالي في بيان العلم اللدني، وحاصل هذا الملخص : أن التعليم الحاصل على نوعين : أحدهما : بالتعليم الإنساني، والثاني : بالتعليم الرباني، والقسم الثاني إما بإلقاء الوحي أو بالإلهام، وأشرف هذه الأنواع هو العلم بالوحي.

ثم علق ـــ رحمه الله ـــ على ما ذكره الغزالي بقوله وهذه لا يأباها العقل السليم ولا قواعد العلم الظاهر لأنها في هذه المثابة بدرجة الاعتدال والتوسط. محاسن التأويل (٥ / ٥١ ـــ ٥٤).

(٣) انظر : التلخيص : ٣١٨، والإتحاف : ٢ / ٢١٩.

(٤) انظر : الإتحاف : ٢ / ٢٢٠.

٧٠- ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِى فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى ﴾ بفتح اللام وتشديدالنون : مدني وشامي، وبسكون اللام وتخفيف النون: غيرهما، والياء ثابتة فيهما إجماعاً[1] ﴿ عَن شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ أي: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا، وقد علمت أنه صحيح، إلا أنه خفي عليك وجه صحته فـأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع.

٧١- ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة، فلما ركباها قال أهلها : هما من اللصوص، وقال صاحب السفينة : أرى وجوه الأنبياء، فحملوهما بغير نول[2]، فلما لججوا[3] أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى[4] يسد الخرق بثيابه[5] ثم ﴿ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا ﴾ ليغرق أهلها[6] حمزة وعلي من غرق ﴿ لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴾ أتيت شيئا من أمر الأمر إذا

(١) انظر : التلخيص : ٣١٨، والإتحاف : ٢ / ٢٢٠ : ٢ / ٢٢٠.

(٢) أورد ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ / ٤١٨)، والنول : بفتح النون وسكون الواو الأجرة. قاله الحافظ.

(٣) أي : خاضوا لجة البحر : القاموس : ٢٦٠ (لجج).

(٤) سقط من " ب ".

(٥) المرجع السابق (٨ / ٤١٩).

(٦) سقط من " ج ".

عظم[1] ﴿ قَالَ ﴾ أي : الخضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء و لم يضر[2] من في[3] السفينة [4] :

٧٣ - ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ بالذي نسيته، أو بشئ نسيته، أو: بنسياني، أراد : أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو : أراد بالنسيان: الترك أي : لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة[5] ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه[6]، أي : ولا تغشني عسرا من أمري، وهو اتباعه إياه، ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بإعضائه وترك المناقشة.

٧٤- ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ قيل: ضرب برأسه الحائط، وقيل: أضجعه ثم ذبحه بالسكين[7]، وإنما قال : فقتله بالفاء وقال : خرقها بغير فاء؛ لأن خرقها جعل جزاءا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه،

---

(١) انظر : لسان العرب (١ / ٢٠٨)، ومفاتيح الغيب (١١ / ١٥٥).

(٢) في " ج " : يغمر.

(٣) سقط من " ج ".

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣ / ٣٠٢).

(٥) انظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٢٧)، وزاد المسير (٥ / ١٧١)، والبحر المحيط (٦ / ١٤٠) قال أبو حيان : " والظاهر حمل النسيان على وصفه، وقد قال عليه الصلاة والسلام : كانت الأولى من موسى نسيانا ".

(٦) انظر : لسان العرب (٥ / ٣٤٥).

(٧) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٠) والبحر المحيط (٦ / ١٤٠)، وتفسير الخازن (٣ / ٢٠٦).

الجزاء ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ وإنما خولف بينهما ؛ لأن خـــرق السـفينة لم يتعقب بالركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام ﴿ زَكِيَّةً ﴾ زاكية : حجـــازي وأبو عمرو[١]، وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرهـــا قـــد أذنبت، أو: لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي : لم تقتـــل نفســـا فتقتص[٢] منها، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن نجدة الحـــروري[٣] : كتب إليه : كيف جاز قتله، وقد نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عـــن قتل الولدان ؟ فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل[٤] ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ وبضم الكاف ــ حيث كان : ــ مـــدني وأبو بكر[٥]، وهو المنكر، وقيل: النكر أقل من الإمر، لأن قتل نفس واحدة أهـــون

(١) انظر : التلخيص : ٣١٨، والإتحاف : ٢ / ٢٢١.

(٢) في " ج " فيقتص.

(٣) هو نجدة بن عامر الحروري الحنفي رأس فرقة نجدات من الحرورية، ويعرف أصحابها بالنجدات، توفي سنة ٦٩ هـ. انظر : الكامل للمبرد (٢ / ١٢٩) ولابن الأثـير (٤ / ٧٨) ولسان الميزان (٤ / ٤٨) والأعلام للزركلي (٨ / ١٠).

(٤) هذه القصة أخرجها مسلم في صحيحه : كتاب الجهاد، باب النســـاء الغازيـــات . يرضخ لهن ولايهم (٣ / ١٤٤٤) برقم (١٨١٢) بلفظ : (أن نجدة كتـــب إلى ابن عباس يسأله عن خلال ... وفيه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكـــن يقتل الصبيان فلا تقتل الصبيان إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي الـــذي قتل). وأخرجه أحمد ١ / ٣٥٢ من حديث ابن عباس بنحوه وكذا ابن شـيبة ١٢ / ٣٨٦، وأصله في مسلم بسياق آخر.

(٥) ومعهما ابن ذكوان من رواة السبعة. انظر : الإتحاف : ٢ / ٢٢١.

من إغراق أهل السفينة أو : معناه جئت شيئا أنكر من الأول ؛ لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل[1].

٧٥- ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ زاد لك هنا؛ لأن النكير[2] فيه أكثر[3].

٧٦- ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ بعد هذه الكرة، أو: المسألة[4] [5] ﴿ فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق. بتخفيف النون : مدني وأبو بكر.[6]

٧٧- ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ هي أنطاكية[7] أوالأبلة[8] [1]، وهي أبعد أرض الله من السماء[2] ﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ استضافا ﴿ فَأَبَوْا أَن

---

(١) ينظر : الكشاف (٣ / ٦٠١) والبحر المحيط (٦ / ١٤٢).

(٢) في " ج " لنكر.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٢) وغرائب القرآن للحسن النيسابوري (١٦ / ١٣).

(٤) في الأصل : مسألة، والمثبت هو الأليق.

(٥) انظر : غرائب القرآن للحسن النيسابوري (١٦ / ١٣).

(٦) بتخفيف نون (لدني) وأبو بكر يختلس ضمة الدال، أو يشمها انظر : المبسوط : ٢٣٧، والتلخيص : ٣١٨، والإتحاف : ٢ / ٢٢٢.

(٧) انظر : تفسير الطبري (٨ / ٢٦١)، وأنطاكية هي :

(٨) وهذا الذي ذكره أكثر المفسرين. انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٢) والبحر المحيط (٦ / ١٤٢)، وزاد المسير (٢ / ١٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٣٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٧)، والمحرر الوجيز (١٠ / ٤٣٠).

والأبلة : بضم الهمزة والباء واللام المشددة : مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ.

﴿ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ ضيفه : أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام : " كانوا أهل قرية لئاما "[٣] وقيل: شر القرى التي تبخل بالقرى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا ﴾ في القرية ﴿ جِدَارًا ﴾ طوله مائة ذراع[٤] ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ يكاد يسقط، استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك[٥] ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ بيده، أو: مسحه بيده فقام واستوى، أو : نقضه وبناه، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم، وقد لزهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة، فلم يجدا مواسيا، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى، لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة[٦]

انظر : الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص٨) قال الحميري : وهي القرية التي مر بها موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ...

(١) في " ج " الأيلة.

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (٤ / ١٨٥٢) برقم (٢٣٨٠) والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : " فلما جاوزا قال لفته ءاتنا غداءنا " (٦ / ٣٨٧) برقم (١١٣٠٧)، كلاهما بلفظ : حتى أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجلس ... الحديث. وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي ، . وذكره المتقي بكتر العمال : ٤٥٠٠ وعزاه للنسائي والديلمي.

(٤) وفي الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٠) : خمسمائة ذراع، والله أعلم بصحة ذلك.

(٥) الكشاف (٣ / ٦٠٣).

(٦) انظر هذه الأقوال في الكشاف (٣ / ٦٠٦)، والتفسير الكبير (٨ / ١٥٧)، والبحر المحيط (٦ / ١٤٤).

أن ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أي: لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة. لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال : بصري، وبإظهارها مكي، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار[1] الذال حفص، وبتشديد التاء : وفتح الخاء وإدغام الذال في التاء غيرهم[2]" والتاء في تخذ : أصل كما في تبع، واتخذ : افتعل منه كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شئ [3].

٧٨- ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ هذا إشارة إلى السؤال الثالث، أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل : هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به، فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به[4] ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

٧٩- ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ قيل: كانت لعشرة أخوة، خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم[5] مَّلِكٌ ﴾ أمامهم، أو : خلفهم، وكان طريقهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر، وهو جلندي[6] ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب

---

(١) سقط من " ب ".

(٢) انظر : المبسوط : ٢٣٧، ٢٣٨، والإتحاف : ٢ / ٢٢٣.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٦) والبحر المحيط (٦ / ١٤٤).

(٤) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٦) والتفسير الكبير (١١ / ١٥٨).

(٥) في الأصل : قدامه، وهو سهو، لأنه لو أراد التفسير لما فسره مرة أخرى.

(٦) هو الجلندي الأزدي ملك غسان، وقيل : إن اسمه مندك بن جلندي بن سعد الأزدي، وقيل : اسمه هود بن برد، وكان كافرا يغصب السفن، انظر : تفسير

فيها غصبا، وإن كانت معيبة تركها، وهو مصدر، أو مفعول له، فإن قلت: قوله: (فأردت أن أعيبها) مسبب عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أن يتأخر عن السبب، قلت : المراد به التأخير وإنما قدم للعناية[1].

٨٠- ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ ﴾ وكان اسمه الحسين[2] ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ فخفنا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء، أو: يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه، وهو من كلام الخضر، وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره[3]" وإن كان من قول الله تعالى فمعنى : (فخشينا) فعلمنا إن عاش أن يصير سببا لكفر والديه.

٨١- ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ يبدلهما[4] مدني وأبو عمرو ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ طهارة ونقاء من الذنوب ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ رحمة وعطفا وزكاة، و" رحما" تمييز. روي : أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا أو سبعين نبيا، أو أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما[5]" رحما شامي[1] ؛ وهما لغتان.

الخازن (٣ / ٢٠٦)، والكشاف (٣ / ٦٠٦) والنكت والعيون للملودي (٣ / ٣٣٣)، والبخاري في صحيحه : كتاب التفسير برقم (٤٧٢٦).

(١) الكشاف : (٣ / ٦٠٦).

(٢) المرجع السابق، وقيل : إن اسمه " جيسور "، انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٨٠) والنكت والعيون (٣ / ٣٣٣)، وقيل غير ذلك.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٦)، والبحر المحيط (٦ / ١٤٦).

(٤) في " ج " يبدلهما ربهما.

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٦)، والبحر المحيط ٦ / ١٤٦) وزاد المسير (٥ / ١٨١)، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٦) والمحرر الوجيز (١٠ / ١٣٨).

٨٢- ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ ﴾ اصرم وصريم[٢] ﴿ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ هي القرية المذكورة ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ أي: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٣] أو: مال مدفون من ذهب وفضة[١]، أو

قال ابن عطية عن هذا الأثر : وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم).

(١) أي بضم الحاء. انظر : الإتحاف : ٢ / ٢٢٣.

(٢) انظر : زاد المسير (٥ / ٨٣)، والبحر المحيط، (٦ / ١٤٦)، وتفسير الخلون (٣ / ٢٠٨).

(٣) هذا الأثر روي مرفوعا وموقوفا.

أما رواية المرفوع فقد رواه البزار كما في تفسير ابن كثير ٣ / ٩٦) عن الجوهري عن ابن المنذر عن الحارث اليحصبي عن النسائي عن أبي ذر مرفوعا , وفي إسناده بشر بن المنذر : قال العقيلي عنه : في حديثه وهم. انظر الضعفاء الكبير (١ / ١٤١).

وروي من طريق آخر عن أنس مرفوعا، رواه الواحدي في الوسيط (٣ / ١٦٢)، وابن شاهين في كتاب الجنائز (كما في تخريج الكشاف للزيلعي ٢ / ٣٠٩) .

كلاهما عن محمد بن مروان عن أبان عن أنس مرفوعا، قال الحافظ : وأبان والسدي متروكان، وروي من طريق آخر، رواه ابن مردويه كما في تخريج الكشاف (٢ / ٣٠٨) مرفوعا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما رواية الموقوف فقد أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء (٣ / ١٥٣٧) وابن عدي في الكامل (٢ / ٣٨٤) كلاهما عن أبين بن سفين عن أبي حازم عن ابن عباس موقوفا، وفي إسناده أبين بن سفيان.

صحف فيها علم[٢]، والأول أظهر، وعن قتادة[٣] : أحل الكتر لمن قبلنا وحرم علينا، وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا[٤] ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا ﴾ قيل : جدهما

قال ابن عدي : وأبين بن سفيان ما يرويه عمن رواه منكر كله.

وروي من وجه آخر عن ابن عباس، أخرجه الدار قطني في غرائب مالك كما في تخريج الكشاف (٢ / ٣٠٨) من طريق محمد بن صالح بن فيروز عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال : اسئل ابن عباس عن الكتر فذكره ...).

قال الدارقطني : " هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد، ومحمد بن صالح مجهولان "

وله شاهد عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ موقوفا، رواه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٢٣) برقم (٢١٢) عن جويبر عن الضحاك عن الترال بن سبرة عنه.

وروي من وجه آخر عن ابن مردويه كما في تخريج الكشاف (٢ / ٣٠٨).

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب التفسير : باب ومن سورة الكهف (٤ / ٣٧٦) برقم ٣١٥٢ والحاكم في مستدركه (٢ / ٣٦٩) وابن عدي في الكامل (٧ / ٢٧٢٣)، قال الحاكم : حديث صحيح، وتعقبه الذهبي بقوله : يزيد بن يوسف متروك.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧ / ٢٧٢٢) عن يزيد بن يوسف عن مكحول عن ابن الدرداء عن أبي الدرداء موقوفا، وفي إسناده يزيد بن يوسف الصنعاني متروك.

(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، مفسر حافظ. كان رأسا في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان مدلسا، مات بالطاعون سنة ١١٨ هـ. تذكرة الحفاظ (٢ / ١١٥) ووفيات الأعيان (١ / ٤٢٧).

(٤) خرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٢ / ٤٠٣) والطبري في تفسيه (٨ / ٢٦٩) وابن أبي حاتم (٢٣٨٠/٧).

السابع[1] ﴿ صَالِحًا ﴾ ممن يصحبني،وعن الحسن بن علي ـــ رضي الله عنهما ـــ أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين ؟ قال : بصلاح أبيهما، قال : فأبي وجدي خير منه[2] ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ أي: الحلم ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً ﴾ مفعول له، أو مصدر منصوب بأراد ربك ؛ لأنه في معنى رحمهما ﴿ مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ ﴾ وما فعلت ما رأيت ﴿ عَنْ أَمْرِى ﴾ عن اجتهادي، وإنما فعلته بأمر الله[3] والهاء يعود[4] إلى الكل أو إلى الجدار ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأجوبة الثلاثة ﴿ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ حذف التاء تخفيفا، وقد زل أقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي ؛ حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من

والمراد بـ (أهل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا) : أنه كان يجوز للمرء أن يكنز ماله ادخارا، أما المسلمون من أمة محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فلا يجوز لهم، بل عليهم إنفاقه في سبيل الله " إن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " وما أخرج زكاته لا يسمى كنزا، وليس المراد بالآية أن من وجد كنزا من المسلمين لا يجوز له أن يأخذه بل له ذلك بعد أخراج الحق. الشرعي. انظر : تفسير عبد الرزاق (١ / ٢ / ٤٠٧) هامش رقم (٢).

(١) انظر : المحرر الوجيز (١٠ / ٣٤٩) وتفسير ابن كثير (٣ / ٩٧).

(٢) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٨) والتفسير الكبير (١١ / ١٩٢).

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦٠٩) وتفسير البغوي (٥ / ١٩٧) وتفسير الخازن (٣١ / ٢٠٨) والبحر المحيط (٦ / ١٤٧).

(٤) في " ج " تعود.

الخضر وهو ولي، والجواب : أن الخضر كان[1] نبيا[2]، وإن لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى ــ عليه السلام ــ على أن أهل الكتاب يقولون: إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن ماثان[3]، ومن المحال أن يكون الولي وليا [4] بإيمانه بالنبي، ثم يكون النبي دون الولي، ولا غضاضة في طلب موسى العلم ؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة، وإنما ذكر أولا : " فأردت " لأنه إفساد في الظاهر، وهو فعله، وثالثا " فأراد ربك " لأنه إنعام محض و[5] غير مقدور البشر، وثانيا : "فأردنا " لأنه إفساد من حيث القتل[6]، وإنعام[7] من حيث التبديل، وقال الزجاج : معنى فأردنا فأراد الله عز و جل ومثله في القرآن كثير[8] بثير [9].

٨٣- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ أي: اليهود على جهة الامتحان[10]، أو : أبو جهل[11] وأشياعه ﴿ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ هو الإسكندر[1] [2] الذي ملك الدنيا، قيل

---

(١) ليس في " ج ".

(٢) في " ج " نبي.

(٣) في " ب " مانان.

(٤) في " ج " زيادة : إلا.

(٥) في " ب " وهو غير.

(٦) في " ج " الفعل.

(٧) في " ج " إنعام.

(٨) معاني القرآن (٣ / ٣٠٥).

(٩) سقط من " ج ".

(١٠) المصدر السابق (٣ / ٣٠٨).

(١١) لم أقف على من فسره بهذا.

ملكها مؤمنان : ذو القرنين، وسليمان، وكافران: نمروذ[3] [4] وبختنصر وكان بعد نمرود، وقيل[5] : كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه، وقيل نبيا،

[وقيل][6] ملكا من الملائكة، وعن علي ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال : ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله، فضرب على قرنه الأيسر، فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين، وفيكم مثله، أراد نفسه[7]" قيل : كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه، فيحييه الله تعالى، وقال عليه

---

(١) هو اسكندر بن هرمس بن هروس بن ميطون بن رومي، ويقال اسمه : مرزبان بن مردفة اليوناني، وقيل : أنه ملك الأرض بعد نمرود. مات وله ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وثلاثون. انظر : تاريخ دمشق (١٧ / ٣٣٠ ـــ ٣١٦).

(٢) انظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٣٧)، وتفسير الثعالبي (٣ / ٥٤٠)، والكشاف (٣ / ٦٠٩) وزاد المسير (٥ / ١٨٣) وتفسير الخازن (٣ / ٢٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣١)، والتفسير الكبير (١١ / ١٦٣).

(٣) في " ج " بالدال المهملة.

(٤) هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل : هو نمرود بن فالح بن عابر بن صالح، وكان أحد ملوك الدنيا، قيل أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة، وقد طغى وتجبر، وهو الذي حاجه إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ بعث الله بعوضا في منخريه ومكثت أربعمائة سنة حتى أهلكه الله.

انظر : البداية و النهاية (١ / ٣٢٤ ـــ ٣٤٥).

(٥) في " ج " وقيل.

(٦) ليس في الأصل.

(٧) انظر : تفسير الطبري (٨ / ٢٧١) وتفسير البغوي (٥ / ١٩٧) وتفسير ابن كثير (٣ / ٩٩) وزاد المسير (٥ / ٢٨٤).

السلام : " سمي[1] لأنه طاف قرني الدنيا "[2] يعني: جانبيها شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان أي : ضفيرتان، أو: انقرض في وقته قرنان من الناس، أو: لأنه ملك الروم وفارس، أو:الترك والروم، أو: كان لتاجه قرنان، أو: على رأسه ما يشبه القرنين، أو: كان كريم الطرفين أبا وأما[3]، وكان من الروم ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ﴾ من ذي القرنين ﴿ ذِكْرًا ﴾ .

٨٤- ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنا له فيها مكانة واستيلاء[4] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿ سَبَبًا ﴾ طريقا موصلا إليه.

٨٥- ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ السبب : ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة[5]، فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق، فأتبع

---

(١) في " ب " و " ج " زيادة (ذا القرنيين).

(٢) ذكره في الكشاف : ٢ / ٧١٤، وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه عليه : " لم أجده مرفوعا وإنما رواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف من رواية عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال : إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها "، وقال الزيلعي : غريب.

(٣) انظر هذه الأقوال : النكت والعيون (٣ / ٣٣٧) والكشاف (٣ / ٦٩) وزاد المسير (٥ / ١٨٤) والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٧١) والتفسير الكبير (١١ / ١٦٤ ــ ١٦٥) وتفسير ابن كثير (٣ / ٩٩) وتفسير الخازن (٣ / ٢٠٨).

(٤) في " ج " واعتلاء.

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٠) والتفسير الكبير (١١ / ١٦٥).

سببا، وأراد بلوغ السدين، فأتبع سببا[1]. فأتبع[2] ثم اتبع كوفي وشامي، الباقون بوصل الألف وتشديد التاء[3]. عن الأصمعي اتبع لحق، واتبع اقتفى وإن لم يلحق.

٨٦- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي : منتهى العمارة نحو المغرب، وكذا المطلع قال [صلى الله عليه وسلم ـ][4] : "بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد [سام[5]][6] يشرب من عين الحياة، فيخلد، فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر، فشرب ولم يظفر ذو القرنين " [7]

﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة من [حمئت][8] البئر إذا صارت فيها الحمأة، حامية شامي وكوفي غير حفص[9] بمعنى حارة[10]، وعن أبي

---

(١) انظر : الكشاف (٦١٠) والبحر المحيط (٦ / ١٥١).

(٢) في " ج " فأتبع سببا.

(٣) انظر : المبسوط : ٢٣٨، والتلخيص : ٣١٨، والإتحاف : ٢ / ٢٢٣.

(٤) المثبت من " ج " وفي " أ " و " ب " عليه السلام.

(٥) في الأصل : الشام، والأقرب المثبت.

(٦) هو سام بن نوح، وهو أبو العرب والعجم والروم. انظر : البداية النهاية (١١ / ٢٧٢).

(٧) أخرج هذه القصة ابن عساكر في تاريخ دمشق : ترجمة ذي القرنين (١٧ / ٣٤٨) وأوردها ابن حجر في الزهر النضر في أنباء الخضر (٢ ــ ٢٦).
وفي إسناده سفيان بن وكيع. كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقة فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. انظر : المجروحين لابن حبان (١ / ٣٥٥)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ١٧٣) والتقريب (١ / ٣١٢).

(٨) في الأصل حمية، وفي " ب " حمات والمثبت من " ج ".

(٩) انظر : المبسوط : ٢٣٨، والتلخيص : ٣١٩.

(١٠) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٣٠) والكشاف (٣ / ٦١٠) والبحر المحيط (١٠ / ١٥١).

ذر : كنت رديف رسول الله [ـ صلى الله عليه وسلم][1] ـ على جمل، فـرأى الشمس حين غابت : فقال : " أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ "[2] قلت : الله ورسوله أعلم، قال : " فإنها تغرب في عين حامية "[3] وكان ابـن عبـاس[4] ـ رضي الله عنهما ـ عند معاوية، فقرأ معاوية : حامية، فقال ابن عباس : حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو : كيف تقرؤها ؟ فقال : كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار[5] : كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال : في مـاء وطـين، كذلك نجده في التوراة[6] فوافق قول ابن عباس ـ رضـي الله عنـهما ـ، ولا تنافي، فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعـا ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴾ عند تلك العين قوما عراة من الثياب، لباسهم جلود الصيد، وطعامهم مـا لفـظ

---

(١) ليست في " أ" وفي " ب " عليه السلام.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي ذر، كتاب التفسير، تفسير سورة يـس : ٦ / ٣٥ رقم الحديث ٤٨٠٢، ومسلم ١ / ١٣٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الحروف والقراءات (٤ / ٣٧) برقـم (٤٠٠٢) والحاكم في مستدركه (٢ / ٢٤٤) وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق تابعي كان في الجاهلية مـن كبار علماء اليهود في اليمن، واسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وخـرج إلى الشام وسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ وعمره ١٠٤.

انظر : الكامل لابن الأثير (٢ / ٩) وتاريخ الطـبري (٢ / ١٨٥) والاعـلام للزركلي (٥ / ٢٢٨).

(٦) انظر : تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٨٤) وتفسير البغوي (٥ / ١٩٩) والجـامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٤٠) وتفسير ابن كثير (٣ / ١٠٠) وتفسير الخـازن (٣ / ٢١٠).

البحر، وكانوا كفارا ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ إن كان نبيا فقد أوحى[1] إليه بهذا، وإلا فقد أوحى أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسنا بإكرامهم، وتعليم الشرائع إن آمنوا، أو : التعذيب : القتل واتخاذ الحسن الأسر، لأنه بالنظر إلى القتل إحسان.

٨٧- ﴿ قَالَ ﴾ أي[2] ذو القرنين ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ بالقتل ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ في القيامة، يعني : أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك : فذلك هو المعذب في الدارين.

٨٨- ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي: عمل ما يقتضيه الإيمان ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة. جزاء الحسنى كوفي غير أبي بكر، أي: فله الفعلة الحسنى جزاء ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ أي: ذا يسر، أي : لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج، وغير ذلك[3].

٨٩- ٩٠- ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ هم الزنج ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا ﴾ من دون

---

(١) في " ج " أوحى الله.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٢) والتفسير الكبير (١١ / ١٦٨).

الشمس ﴿ سِتْرًا ﴾ أي: أبنية[1]، عن كعب : أرضهم لا تمسك الأبنية وبها سرداب[2]، فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم[3]، أو : الستر : اللباس، عن مجاهد : من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

٩١- ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : أمر ذي القرنين كذلك، أي :كما وصفناه تعظيما لأمره ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك ﴿ خُبْرًا ﴾ نصب علة المصدر ؛ لأن في أحطنا معنى خبرنا، أو : بلغ مطلع الشمس مثل ذلك، أي :كما بلغ مغربها، أو : تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، يعني : أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم[4].

٩٢- ٩٣- ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ بين الجبلين وهم جبلان سد ذو القرنين ما بينهما. "السدين" و"سدا" مكي وأبو عمرو وحفص، "السدين" و "سدا" : حمزة وعلي، وبضمهما : غيرهم[5]. قيل : ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح، وانتصب على أنه مفعول به مبلوغ [6]، كما انجر الإضافة في " هذا فراق بيني وبينك " وكما ارتفع في " لقد تقطع بينكم " لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا. وهذا

---

(١) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٢) والنكت والعيون (٣ / ٣٤٩).

(٢) في " ج " أسراب.

(٣) لم أقف على هذا القول.

(٤) انظر : الكشاف : (٣ / ٦١٣) والبحر المحيط (٦ / ١٥٣).

(٥) انظر : المبسوط : ٢٣٩، والإتحاف : ٢ / ٢٢٣.

(٦) في " ج " لبلغ.

المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشـــرق[1] ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا ﴾ مـــن ورائهما[2] ﴿ قَوْمًا ﴾ هم الـــترك[3] ﴿ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ أي: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها[4]. يفقهون حمزة و علـــي[5]، أي[6] : لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه، لأن لغتهم غريبة مجهولة[7].

٩٤- ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ هما: اسمان أعجميـــان ؛ بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم[8] فقط، وهما من ولد يافث[9]، أو : يـــأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلـــم[10] ﴿ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قيـــل: كانوا يأكلون الناس، وقيل : كانوا يخرجون أيام الربيع، فلا يتركون شيئا أخضـــر إلا أكلوه، ولا يابسا إلا احتملوه، ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر مـــن

---

(١) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٣) والبحر المحيط (٦ / ١٥٣).

(٢) انظر : المصدر السابق.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٣) والبحر المحيط (٦ / ١٥٣) وتفسير الخـلزن (٣ / ٢١٠).

(٤) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٣) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٠) والبحر المحيط (٦ / ١٥٤).

(٥) انظر : التلخيص : ٣١٩، والإتحاف : ٢ / ٢٢٥.

(٦) في " ج " أن.

(٧) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٣).

(٨) انظر : المبسوط : ٢٣٩، والتحبير : ١٤٠، والإتحاف : ٢ / ٢٢٥.

(٩) هو يافث بن نوح. وهو أبو الترك والصقالبة وماجوج. انظر : البداية والنهايـة (١ / ٢٦٨).

(١٠) الديلم : الجماعة الكثيرة من الناس. انظر : لسان العرب (٤ / ٣٩٥).

وقصار مفرطو القصر[1] ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ خراجا حمزة وعلـــي[2].

أي: جعلا نخرجه من أموالنا، ونظيرهما : النول والنـــوال[3] ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾.

٩٥- ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى ﴾ بالإدغام وبفكه: مكي[4] ﴿ فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾ أي: ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما يبذلون من الخراج، فلا حاجـــة بي إليه ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ بفعلة وصناع يحسنون البناء، والعمل وبـــالآلات[5] ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ جدارا أو[6] : حاجزا حصينا موثقا، والــردم: أكبر من السد[7].

٩٦- ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ قطع الحديد والزبرة : القطعة الكبيرة [8]، قيــل : حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيــان

---

(١) انظر الكشاف : (٣ / ٦١٤).

(٢) انظر : المبسوط : ٢٣٩، والتحبير : ١٤٠.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٤). وغرائب القرآن للحسن النيســابوري (١٦ / ٢٦).

(٤) انظر : المبسوط : ٢٣٩، والإتحاف : ٢ / ٢٢٦.

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٥) وغرائب القرآن للحسن النيســابوري (١٦ / ٢٦) والبحر المحيط (٦ / ١٥٤) وتفسير البغوي (٥ / ٢٠٤).

(٦) في " وحاجزا ".

(٧) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٥) والبحر المحيط (٦ / ١٥٤).

(٨) انظر : التفسير الكبير (١١ / ١٧١) ومعاني القرآن للزجاج (٣ / ٣١١).

من زبر الحديد بينهما[1] الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا[2] قيل : بعد ما بين السدين مائة فرسخ[3] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ بفتحتين جانبي الجبلين، لأنهما[4] يتصادفان، أي : يتقابلان[5] : الصدفين : مكي وبصري وشامي[6]، الصدفين أبو بكر[7] ﴿ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾ أي: قال ذو القرنين للعملة : انفخوا في الحديد ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ ﴾ أي : المنفوخ فيه وهو الحديد ﴿ نَارًا ﴾ كالنار ﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ ﴾ أعطوني ﴿ أُفْرِغْ ﴾ أصب ﴿ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ نحاسا مذابا، لأنه يقطر، وهو منصوب بـ "أفرغ" وتقديره آتوني[8] قطرا أفرغ عليه قطرا[9]،

---

(١) في " ج " بينها.

(٢) في " ج " جلدا وصلدا.

(٣) انظر هذه الأقوال : الكشاف (٣ / ٦١٥) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٢) وغرائب القرآن للنيسابوري (١٦ / ٢٦) والبحر المحيط (٦ / ١٥٥).

(٤) في " ج " لأنها.

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٦) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٢) وغرائب القرآن (١٦ / ٢٦).

(٦) بضم الصاد والدال، وهي لغة قريش.

(٧) بضم الصاد وإسكان الدال. انظر : الإتحاف : ٢ / ٢٢٧.

(٨) في " ب " وآتوني.

(٩) سقط من " ب ".

فحذف الأول ؛ لدلالة الثاني عليه[1] (قال ائتوني) بوصل الألف[2] حمزة،وإذا ابتدأ كسر الألف أي : جيئوني.

٩٧- ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ ﴾ بحذف التاء للخفة ؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء ﴿ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أن يعلوا السد ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أي: لا حيلة[3] فيه من صعود، لارتفاعه، ولا نقب لصلابته.

٩٨- ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي هذا السد نعمة من الله رحمة على عباده، أو : هذا الإقدار والتمكين من تسويته ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ فإذا دنا مجئ يوم القيامة، وشارف أن يأتي ﴿ جَعَلَهُۥ ﴾ أي: السد ﴿ دَكَّآءَ ﴾[4]: مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض، كل[5] ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك. دكاء كوفي[6]، أي: أرضا مستوية ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ آخر قول ذي القرنين.

٩٩- ﴿ وَتَرَكْنَا ﴾ وجعلنا ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ بعض الخلق ﴿ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ ﴾ يختلط ﴿ فِى بَعْضٍ ﴾ أي: يضطربون[7] ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز

---

(١) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٦) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٢) وغرائب القرآن (١٦ / ٢٦).

(٢) ومعه شعبة، بخلف عنه، انظر : المبسوط : ٢٤١، والتلخيص : ٣١٨.

(٣) في " ج " زيادة : لهم.

(٤) في " ب " و " ج " أي.

(٥) في " ب " و " ج " وكل.

(٦) انظر : الغاية : ١٥٧، والتلخيص : ٣١٩، والإتحاف : ٢ / ٢٢٨.

(٧) في " ج " يطربون.

أن يكون الضمير : ليأجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد، وروي : أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون[1] دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به[2] من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة و المدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفا[3] في أقفائهم فيدخل [4] آذانهم، فيموتون[5] ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ لقيام الساعة[6] ﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ ﴾ أي: جميع الخلائق للثواب والعقاب ﴿ جَمْعًا ﴾ تأكيد.

١٠٠- ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾ وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها[7].

١٠١- ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾ عن آياتي التي ينظر إليها [8] فأذكر[9] بالتعظيم، أو: عن القرآن وتأمل معانيه[1] ﴿ وَكَانُوا۟ لَا

---

(١) في " ب " فيأكلون.

(٢) سقط من " ب ".

(٣) قوله (ثم يبعث الله نغفا) أي دودا. انظر لسان العرب (١٤ / ٢٢١) وغرائب القرآن (١٦ / ٢٧) وفي التفسير الكبير (١١ / ١٧٢) قال الرازي : (ثم يبعث الله الحيوانات).

(٤) في " ج " : في آذانهم.

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٧) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٢) وغرائب القرآن (١٦ / ٢٧).

(٦) انظر : تفسير الثعالبي (٣ / ٥٤٢).

(٧) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٧) ومعني القرآن للزجاج (٣ / ٣١٣).

(٨) في " ج " زيادة أو عن القرآن.

(٩) في " ج " : فأذكره.

﴿يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كأنهم أصمت[2] أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع[3].

١٠٢- ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أفظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني: الملائكة وعيسى — عليه السلام — أولياء نافعهم ؟، بئس ما ظنوا، وقيل: " أن " بصلتها سد مسد مفعولي (أفحسب)، و" عبادي " و[4] " أولياء" مفعولا "أن يتخذوا "، وهذا أوجه، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ هو ما يقام للنزيل، وهو الضيف ونحوه (فبشرهم بعذاب أليم)[5].

١٠٣- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ (أعمالا)[6] تمييز، وإنما جمع، — والقياس أن يكون مفردا —، لتنوع الأهواء، وهم أهل الكتاب أو الرهبان.

١٠٤- ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ ضاع وبطل، وهو في محل الرفع، أي: هم الذين ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

---

(١) انظر هذه الأقوال: الكشاف (٣ / ٦١٧) وغرائب القرآن (١٦ / ٢٧).

(٢) في " ج " أصميت.

(٣) انظر: الكشاف (٣ / ٦١٧) والبحر المحيط (٦ / ١٥٦).

(٤) سقط الواو من " ج ".

(٥) انظر: الكشاف (٣ / ٦١٧) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٤).

(٦) سقط من " ج ".

١٠٥- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ فلا يكون لهم عندنا وزن و مقدار.

١٠٦- ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ ﴾ هي عطف بيان لـ "جزاؤهم" ﴿ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ أي: جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله.

١٠٧- ١٠٨- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ حال فيهما[1] ﴿ لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ تحولا إلى غيرها، رضا بما أعطوا، يقال : حال من مكانه حولا أي: لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح[2] الطرف إلى أرفع منه، أو: المراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

١٠٩- ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ أي: ماء البحر ﴿ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ قال أبو عبيدة[3]: المداد ما يكتب به[4] أي: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ج " : طامح مائل.

(٣) هو أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التميمي مولاهم البصري النحوي ولد سنة ١١٠ هـ في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري ومن مؤلفاته (مجاز القرآن) و(غريب القرآن) توفي سنة ٢٠٩ وقيل ٢١٠انظر بغية الوعاة ٣٩٥، وفيات الأعيان (٥ / ٢٣٥) شذرات الذهب (٢ / ٢٤) ومعجم الأدباء (١٩ / ١٥٤).

(٤) لسان العرب : ٣/ ٣٩٨.

وكان البحر مدادا لها، والمراد بـالبحر الجنس ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ ﴾ بمثل البحر ﴿ مَدَدًا ﴾ لنفد أيضا، والكلمات غير نافذة، ومددا تمييز نحو : لي مثله رجلا، والمدد: مثل المداد وهو ما يمد به. ينفد : حمزة وعلي[1] وقيل : قال حيي بن أخطب[2] : في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"فترلت، يعني : أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.[3]

١١٠- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه ,أن يلقاه لقاء رضا وقبول، أو: فمن كان يخاف سوء لقاء ربه [4]" والمراد باللقاء : القدوم عليه، وقيل: رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ خالصا لا يريدبه إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره[5]" وعن يحيى بن معاذ[6] هو ما لا يستحيا منه﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ هو

---

(١) انظر : المبسوط : ٢٤١، والتلخيص : ٣٢٠.

(٢) هو حيي بن أخطب النضري جاهلي من الأشداء العتاة كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة وقتلوه سنة ٥ هـ.
انظر : سيرة ابن هشام (٢ / ١٤٨ ــ ١٤٩) والأعلام للزركلي (٢ / ٢٩٢.

(٣) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٩) والتفسير الكبير (١١ / ١٧٦) والبحر المحيط (٦ / ١٥٩).

(٤) انظر هذه الأقوال في : الكشاف (٣ / ٦١٩) وغرائب القرآن (١٦ / ٣٠).

(٥) انظر : الكشاف (٣ / ٦١٩).

(٦) الرازي، وتقدمت ترجمته.

نهي عن الشرك، أو عن الرياء. قال[1] ـــ صلى الله عليه وسلم [2] ـــ : " اتقوا الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء [3]. قال ـــ صلى الله عليه وسلم[4] ـــ : " من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن يخرج[5] الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومن قرأ " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي[6] " إلى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك

---

(١) في " ب " وقال.

(٢) في " ب " : عليه السلام.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٤٢٨) من حديث محمود بن ليث بلفظ " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ... "
قال المنذري في الترغيب : (١ / ٦٩) اسناده جيد. وقال العراقي في تخريج الاحياء (٣ / ٢٩٤) ورجاله ثقات، وله شاهد من حديث شداد بن أوس رواه الحاكم في المستدرك (٤ / ٣٢٩) والبيهقي في الشعب (٥ / ٢٣٧) برقم (٦٨٤٣) بلفظ : " كنا نعد على عهد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن الرياء الشرك الأصغر " قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.
خرجه ابن حجر في الكافي ٢ / ٧٢٢، وعزاه ابن مردويه، أخرجه من حديث أبي هريرة. ومن طريق أخرى بإسناد فيه ابن لهيعة. وعزاه لابن مردويه أيضا السيوطي في الدر : ٤ / ٢٠٧. وذكره الزبيدي في الإتحاف : ٨ / ٢٧٤.

(٤) في " ب " عليه السلام.

(٥) في " ب " : خرج.

(٦) (يوحى إلي) ليست في " ب ".

كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلـــون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ "[1]. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ. والذي وقفت عليه ما رواه الحاكم في المســتدرك ــ ٢ / ٣١٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٢٤٩) بلفظ : " من قرأ سورة الكـهف في يوم الجمعه أضاء له من النور ما بين الجمعتين.. ومن قرأ سورة الكهف كانت لـه نورا يوم القيامة "

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله : قلـت نعيم ذو مناكير.

والذي صح في فضائل سورة الكهف، ما رواه مسلم في صحيحه كتــاب صـلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف (١ / ٥٥٥) برقم (٨٠٩) بلفظ : " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ".

سورة مريم [عليها السلام][1]

مكية، وهي ثمان، أو تسعٌ وتسعون آية[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ قال السُّدي: هو اسمُ الله الأعظمُ، وقيل: هو اسم للسورة، قرأ عليّ، ويحيى : بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر، وإلى الفتح أقرب، وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء[3] وحمزة : بعكسه، وغيرهم : بفتحها [4].

٢- ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ خبر مبتدأ، أي: هذا ذكر ﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول الرحمة ﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ بالقصر حمزة وعليّ وحفص[5]،[6] بدل عن[7] " عَبْدَهُ ".

---

(١) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي " ب " رضي الله عنها.

(٢) في "ج" زيادة " مدي وشامي ".

(٣) في الأصل : والفتح، والصواب ما أثبته.

(٤) المقصود بالكسر ـــ هنا : الإمالة، ويحيى أحدرواة شعبة. وتفصيل قراءة السبعة هنا أن أبا عمرو والكسائي وشعبة أمالا الهاء، وأما الياء فأمالها ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بترك الإمالة فيهما : حفص وابن كثير، واختلف عن نافع، والمقروء به من طريق الشاطبية هو : الإمالة بين بين لورش في الحرفين، وقالون بالفتح فيهما.
انظر المبسوط : ٢٤٢، والنشر : ٢ / ٦٧ ـــ ٦٩، والتحبير : ١٤١.

(٥) انظر : المبسوط : ١٤٢، والتلخيص : ٢٣٢.

(٦) في " ب " و " ج " زيادة : وهو.

(٧) في " ج " من.

٣- ﴿ إِذْ ﴾ ظرف للرحمة ﴿ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ دعاه دعاء سرا، كما هو المأمور به،وهو أبعد عن[1] الرياء وأقرب إلى الصفاء، أو : أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر، لأنه كان ابن خمس وسبعين، أو ثمانين سنة.

٤- ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ هذا تفسير الدعاء، وأصله: يا ربي، فحذف حرف النداء، والمضاف إليه اختصارا، ﴿ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ ضعف، وخص العظم، لأنه عمود البدن وبه قوامه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده ؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، والمراد: أن هذا الجنس هو العمود والقوام، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ : تمييز، أي : فشا في رأسي المشيب[2]" اشتعال[3] النار: إذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا، فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ولا ترى كلاما أفصح من هذا، ألا ترى أن أصل الكلام : يارب قد شخت ؛ إذ[4] الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب[5] الرأس المتعوض لهما، وأقوى منه :، ضعف بدني وشاب رأسي ففيه : مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه، وهنت عظام بدني، ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية، فهي أبلغ منه، وأقوى منه : أنا وهنت عظام بدني، وأقوى منه : إني وهنت عظام بدني، وأقوى منه : إني وهنت العظام من بدني ففيه : سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه : إني وهنت العظام مني : ففيه : ترك توسيط البدن،.

---

(١) في " ب " من.

(٢) في " ج " الشيب.

(٣) في " ج " واشتعلت.

(٤) في " ب " " وإذا " هو خطأ ,

(٥) في الأصل و " ب " الشيب، وما أثبته من " ج ".

وأقوى منه : إني وهنَ العظمُ مني، لشمول الوهن العظام فرداً فرداً، باعتبار ترك جمع العظم إلى الأفراد، لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد، فهكذا[1] تركت الحقيقة في : شاب رأسي إلى أبلغ[2]" وهي الاستعارة، فحصل : اشتعل شيب رأسي، وأبلغ منه : اشتعل رأسي شيباً ؛ لإسناد الاشتعال إلى مكان الشَّعْر ومنبتِهِ، وهو الرأس لإفادة شُمول الاشتعال الرأس ؛ إذ وِزَانُ : اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيباً وزان اشْتَعَل النّار في بيتي واشتعل بيتي ناراً، والفرق نيّرٌ , ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التّمييز، وأبلغ منه : واشتعل الرأس مني شيباً لِمَا مرَّ، وأبلغ منه : واشتعل الرأس شَيْباً، ففيه : اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا لقرينة العطف على "وهن العظم مني "[3] ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول، أي: بدعائي إياك ﴿ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيداً به غيرَشقيٍّ فيه، يقال : سَعِد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها. وعن بعضهم : أن محتاجاً سأله وقال : أنا الذي أحسنتَ إليَّ وقت كذا، فقال[4] : مرحباً بمن توسَّل بنا إلينا[5]" وقضى حاجته. [6]

٥- ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمِّه، وكانوا شِرَارَ[7] بني إسرائيل فخافهم أن يغيِّروا الدِّين وأن لا يُحْسِنُوا الخلافة على أمته، فطلب عَقِباً

---

(١) في " ج " ولهذا.

(٢) من قوله : " وأقوى منه إني وهن العظم مني.. إلى هنا غير واضح في " ب ".

(٣) سقط من " ج ".

(٤) في " ب " يقال.

(٥) في " ج " زيادة " وقت حاجته ".

(٦) الكشاف : ٣ / ٤ .

(٧) في الأصل : " شرار " والصواب ما أثبته.

صالحاً من صُلبه يقتدي به في إحياء الدِّين ﴿ مِن وَرَآءِى ﴾ بعد موتي، وبالقصر وفتح الياء كهداي : مكي [1] وهذا الظرف لا يتعلق بـ (خِفْتُ)، لأن وجود خوفه بعد موته لا يُتصور، ولكن بمحذوف، أو : بمعنى الولاية في (الموالي) أي : خفت فِعْلَ الموالي وهو تبديلهم وسوءُ خلافتهم من و رائي، أو : خفت الذين يلون الأمر من ورائي [2] ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ عقيماً لا تلد ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ﴾ اختراعاً منك بلا سبب ؛ لأني وامرأتي لا نصلح [3] للولادة ﴿ وَلِيًّا ﴾ ابناً يلي أمرك بعدي.

٦- ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ ﴾ برفعهما، صفة لـ "ولياً "، أي : هب لي ولداً وارثاً مني: العلمَ، ومن آل يعقوب: النبوة، ومعنى وراثة النبوة : أنه يصلح لأن يُوحى إليه، و لم يرد أن نفس النبوة تورث، ويجزمهما : أبو عمرو وعلي [4] على أنه جواب للدعاء، يقال : ورثه وورثت منه ﴿ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ابن إسحاق.

---

(١) لم أجدها في كتب القراءات عن ابن كثير، وذكرها الزمخشري في الكشاف : ٣ / ٤، والرواية الصحيحة المشهورة عنه كالجماعة. و لم يجزم أبو حيان بثبوتها، وحكى أنها رويت عنه. انظر البحر : ٦ / ١٦٥.

(٢) بهذا قدره الزمخشري، انظر : الكشاف : ٣ / ٤. وقدره أبو البقاء : عدم، أو جور الموالي . البنيان : ٢ / ٨٦٦، وانظر : الدر المصون : ٧ / ٥٦٦.

(٣) في " ج " لأن امرأتي لا تصلح.

(٤) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٦٢، والتحبير : ١٤١، واستشكل قراءة الجزم أبو عبيد استشكالاً حمله على ردّها ؛ لأنه لا تلازم بين الشرط والجزاء، ولأن المعنى : إن وهبت ورث، وهو غير جائز على زكريا. والجواب : أن التلاؤم حاصل بين الشرط والجزاء من حيث إن الأول أمر والثاني جواب فلوحظ معنى الأمرية، ولهذا حصل الجزم، وأما من حيث المعنى فلا إشكال أيضا ؛ لأن زكريا لا يطلب إلا ولدا صالحا والصالح يرث، فصفة الصلاح مقدرة، وجزم بالوراثة بناء على ظاهر الحال.
انظر : إبراز المعاني : ٣ / ٣٥٦، وتوجيه المشكل : ٣٢٨.

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مَرضيًّا ترضاه، أو: راضياً عنك وبحكمك، فأجاب الله تعالى دعاءه، وقال:

٧- ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ[١] ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ تولى الله تسميته تشريفاً له[٢].

نبشرك : بالتخفيف حمزة[٣] ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يُسَمَّ أحدٌ بيحيى قبله، وهذا دليل[٤] على أن الاسم الغريب جدير بالأَثَرَة[٥]" وقيل : مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في [أنه لم يعص ولم يَهُمّ بمعصية][٦] قط، وأنه [وُلد بين شيخ][٧] وعجوز، وأنه كان حصوراً، فلما بشرته الملائكة به :

٨- ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ وليس هذا باستبعاد، بل هو استكشاف أنه بأي طريق يكون[٨] ؟ أَيُوهبُ له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحوّلان شابين ؟ ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ أي : بلغت عتيا، وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام، كالعود

---

(١) في هامش الأصل : الغلام الطارّ الشارب، وهو بين الغلامية، يعني طار طرٌّ شاربه.

(٢) وهو اسم أعجميّ ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية، وقيل منقول من الفعل المضلوع كيعمر ويحصب. انظر : السراج المنير : ٢ / ٤١٤.

(٣) ينظر غاية الاختصار : ٢ / ٤٤٨، والتحبير : ٩٨.

(٤) في " ب " كلام بعده لا علاقة لسياق الكلام به.

(٥) المكرمة المتوارثة، القاموس : ٤٣٦ (أثر) وفي الكشاف : (٣ / ٥) زيادة تفضيل وتعليل. وليس الأمر على إطلاقه فقد يكون في الفرابة نكارة.

(٦) ما بين المعقوفتين غير واضح في " ب ".

(٧) ما بين المقوفتين غير واضح في " ب ".

(٨) في " ب " و " ج " يكون له.

اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية، "عتيا". و"صليا"، و"جثيا"، و" بكيا"، بكسر الأوائل : حمزة وعلي وحفص، إلا في "بكيا" [1].

٩- ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ الكاف رفع، أي : الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أو نصب بـ "قال"، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي: خلق يحيى من كبيرين سهل ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ ﴾ أوجدتك من قبل يحيى. خلقناك حمزة وعلي ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ لأن المعدوم ليس بشيء[2].

١٠- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ علامة أعرف بها حبل امرأتي ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ حال من ضمير تُكلم أي حال كونك سويّ الأعضاء واللسان، يعني : علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه، وأنت سليم الجوارح ما بك خَرَس ولا بكم، ودل ذكر الليالي ـ هنا ـ والأيام، في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن، إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عرفاً[3].

١١- ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ من موضع صلاته، وكانوا ينتظرونه، ولم يقدر أن يتكلم ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أشار[4] بأصبعه[5] ﴿ أَن

---

(١) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٢٣، والإتحاف : ٢ / ٢٣٤.

(٢) سوف يأتي التعليق على هذه المسألة عند تفسير أول آية في سورة الحج.

(٣) وقيل : إن " سويا " يرجع إلى الليالي، أي : مستويات، انظر التسهيل لابن جُزَيّ : وعزاه أبو حيان إلى ابن عباس، انظر : البحر : ٦ / ١٦٧.

(٤) في " ب " و " ج " أشار.

(٥) هذا قول ابن عباس، وقال مجاهد : كتب لهم في الأرض : الوسيط : ٣ / ١٧٨.

سَبِّحُواْ ﴾ صلّوا، و(أنّ) هي: المفسرة ﴿ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ صلاة الفجر والعصر.

١٢- ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ ﴾ أي وهبنا له يحيى، وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب: يا يحيى ﴿ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ بِقُوَّةٖ ﴾ حال، أي: بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ ﴾ الحكمة، وهو فهم التوراة والفقه في الدين ﴿ صَبِيّٗا ﴾ حال، قيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال : ما لِلّعب خلقنا.[1]

١٣- ﴿ وَحَنَانٗا ﴾ شفقة ورحمة لأبوية وغيرهما، عطفا على الحكم[2] ﴿ مِّن لَّدُنَّا ﴾ من عندنا[3] ﴿ وَزَكَوٰةٗ ﴾ أي: طهارة وصلاحاً فلم يعمل بذنب ﴿ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴾ مسلماً مطيعاً.

١٤- ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ وباراً[4] بهما لا يعصيهما ﴿ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا ﴾ متكبراً ﴿ عَصِيّٗا ﴾ عاصيا لربه.

١٥- ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ ﴾ أمان من الله له ﴿ يَوۡمَ وُلِدَ ﴾ من أن يناله الشيطان ﴿ وَيَوۡمَ يَمُوتُ ﴾ من فتاني القبر ﴿ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ من الفزع الأكبر، قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن [5].

١٦- ﴿ وَٱذۡكُرۡ ﴾ يا محمد ﴿ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿ مَرۡيَمَ ﴾ أي: اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها ﴿ إِذِ ﴾ بدلٌ من مريم

---

(١) انظر : بحر العلوم : ٢ / ٣٢٠.

(٢) أي : وآتيناه الحكم وحنانا، ويحتمل أن يكون مصدرا. البنيان للعكبري : ٢ / ٨١٨.

(٣) سقط لفظ " من عندنا " من " ب ".

(٤) في " ج " بارّا.

(٥) ينظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٥٨ ـ ٥٩، والكشاف : ٣ / ٨. ولفظ " المواطن " غيرواضح في "ب".

=

بدل اشتمال ؛ إذ الأحيان مشتملة على ما فيها، وفيه : أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا ؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ﴿ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: اعتزلت ﴿ مَكَانًا ﴾ ظرف ﴿ شَرْقِيًّا ﴾ أي: تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس، وقيل : قعدت في مَشْرقةٍ للاغتسال من الحيض.

١٧- ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ جعلت بينها وبين أهلها حجاباً يسترها لتغتسل وراءه ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ جبريل عليه السلام، والإضافة: للتشريف، وإنما سمي رُوحاً، لأن الدين يحيا به وبوحيه ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا ﴾ أي: فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شابٍّ أمرد وضيئ الوجه جعد الشعر ﴿ سَوِيًّا ﴾ مستوي الخلق، وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدأ لها في الصورة الملكية لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه.

١٨- ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ أي: إن كان يرجى منك أن تتقي الله فإني عائذة به منك.

١٩- ﴿ قَالَ ﴾ جبريل [عليه السلام](٢) ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ آمنها(٣) مما خافت، وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول من استعاذت به ﴿ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ بإذن الله تعالى، أو: لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع، ليهب لك أي:

وهو جزء من كلام له قال فيه :

" وحسن ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن، يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، فأكرم الله يحيى فأمنه في هذه المواطن . ينظر : الوسيط : ٣ / ١٧٩، والسراج المنير : ٢ / ٤١٦.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ب " و " ج ".

(٣) في " ج " أمَّنها , وكلاهما صواب.

الله: أبوعمرو ونافع [1] ﴿ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ طاهراً من الذنوب، أو : نامياً على الخير والبركة.

٢٠- ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ ابن ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ زوج بالنكاح ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ فاجرة تبغي الرجال، أي : تطلب الشهوة من أيّ رجل كان، ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين، والبغيّ : فعول عند المبرّد. بَغُوْيٌ فقلبت الواو [2] ياءً وأدغمت وكسرت العين إتباعاً ؛ ولذا لم يلحق [3] تاء التأنيث كما لم يلحق [4] في : امرأة صبور وشكور. وعند غيره : هي فعيل ولم يلحقها [5] الهاء، لأنها بمعنى مفعولة، وإن كانت بمعنى فاعلة

فهو قد يشبه به [6] مثل (إن رحمة الله قريب) [7][8]

---

(١) لقالون عن نافع وجهان وقراءة الياء عنه من طريق أبي نشيط الحلواني عنه، وكذلك الهمز، انظر التذكرة : ٢ / ٤٢٤، والنشر : ٢ / ٣١٧، والاتحاف ٢ / ٢٣٤.

(٢) سقط من " ب ".

(٣) في " ب " و " ج " تلحق.

(٤) في" ب " و " ج " تلحق.

(٥) في " ب " و " ج " تلحقها.

(٦) سقط من " ب " و " ج ".

(٧) الأعراف : ٥٦.

(٨) نصر ابن عطية قول المبرّد، وردّ على من قال بالثاني : بأنه لو كان على زنة فعيل لقوي أن يلحقه هاء التأنيث فيقال : بغية. المحرر الوجيز : ٤ / ٩، ولو قيل : إن هذا اللفظ لا يحتاج إلى علامة تأنيث لأنه خاص بالمؤنث كحائض وطالق لكان سائغاً. انظر : البحر : ٦ / ١٧ ـــ ١٧١.

٢١- ﴿ قَالَ ﴾ جبريل ﴿ كَذَٰلِكِ ﴾ الأمر(١) كما قلت لم يمسسك رجل نكاحاً أو سفاحاً ﴿ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي: إعطاء الولد بلا أب عليّ سَهلٌ ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ﴾ تعليل معلله محذوف، أي: ولنجعله ﴿ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ فعلنا ذلك، أو: هو معطوف على تعليل مضمر أي : لنبين به قدرتنا ولنجعله آية(٢)، أي : عبرة وبرهاناً على قدرتنا ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ لمن آمن به ﴿ وَكَانَ ﴾ خلق عيسى ﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ مقدراً مسطوراً، في اللوح، فلما اطمأنت إلى قوله ؛ دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها.

٢٢- ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي: الموهوب، فكان(٣) سِنّها ثلاثَ عَشرة سنة، أو : عشراً، أو عشرين ﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾ اعتزلت وهو في بطنها، والجارُّ والمجرور : في موضع الحال. عن ابن عباس — رضي الله عنهما — : كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبذته(٤) وقيل : ستة أشهر(٥)، وقيل : سبعة أشهر(٦)،(٧) وقيل : ثمانية، ولم يعش مولود. وضع لثمانية إلا عيسى(٨)، وقيل : حملته في ساعة وصوِّر في ساعة(٩) ووضعته في ساعة(١) ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً عن

---

(١) في " ج " أي الأمر.

(٢) في " ج " آية للناس.

(٣) في " ب " وكان. و " ج " وكانت.

(٤) انظر تفسير القرطبي : ١١ / ٩٢.

(٥) حكاه الماوردي وابن الجوزي بلا نسبة، انظر : النكت والعيون : ٢ / ٥٢٥، وزاد المسير : ٥ / ١٦٢.

(٦) " أشهر " ساقط من " ج ".

(٧) هو قول عطاء وأبي العالية، والضحاك كما في الكشاف : ٣ / ١٠.

(٨) حكاه الزجاج في معاني القرآن : ٣ / ٣٢٤، وانظر : زاد المسير : ٥ / ١٦٢. والسراج المنير : ٢ / ٤٢٠.

(٩) سقط من " ج " "وصور في ساعة ".

أهلها وراء الجبل ؛ وذلك لأنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائم(٢).

٢٣- ﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ جاء بها، وقيل : ألجأها، وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول : جئت المكان وأجاءنيه زيد ﴿ ٱلْمَخَاضُ ﴾ وجع الولادة ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ أصلها، وكانت يابسة وكان الوقت شتاء، وتعريفها : مشعر بأنها كانت نخلة معروفة، وجاز أن يكون التعريف للجنس، أي : جذع الشجرة، كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب، لأنه خرسة النفساء أي :طعامها، ثم(٣) ﴿ قَالَتْ ﴾ جزعا مما أصابها ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر، وغيرهم بالضم(٤) يقال مات يموت، ومات يمات ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر. بفتح النون حمزة وحفص، بالكسر غيرهما(٥)، ومعناهما واحد، وهو الشئ الذي حقه أن يطرح وينسى ؛ لحقارته.

٢٤- ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾ أي: الذي تحتها فـ "من" فاعل، وهو جبريل [عليه السلام](٦) لأنه كان بمكان منخفض عنها ؛ أو : عيسى عليه السلام ؛ لأنه خاطبها من تحت ذيلها، "مِنْ تحتها" مدني وكوفي سوى أبي بكر(٧).

---

(١) حكاه ابن الجوزي عن مقاتل بن سليمان، غير أنه قال : حملته في ساعة وصوّر في ساعة ووضعته في ساعة زاد المسير : ٥ / ١٦٢.

(٢) في " ج " : اللاّئمة.

(٣) لفظ : " ثم " ساقط من " ب ".

(٤) ينظر : التذكرة : ٢ / ٢٩٧، والتحبير : ١٠١.

(٥) ينظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٦٣، والإتحاف : ٢ / ٢٣٥.

(٦) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٧) ينظر : المصدران نفسُهما.

والفاعل : ضمير وهو عيسى عليه السلام، أو : جبريل [1] والهاء في " تحتـــها" للنخلة، ولشدة ما لقيت سليت بقوله ﴿ أَلَّا تَحْزَنِى ﴾ لا تهتمي [2] بـــالوحدة وعدم الطعام والشراب وقالة الناس [3] و"أن" بمعـــنى، أي: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ ﴾ بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته أن يقـــف وقف ﴿ سَرِيًّا ﴾ نهرا صغيرا، عند الجمهور [4] وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري، فقال : " هو الجدول " [5] وعن الحسن : سيدا كريما يعني عيســـى عليه السلام [6] وروي : أن خالد بن صفوان قال له : إن العـــرب تســـمي الجدول سر يا، فقال الحسن : صدقت ورجع إلى قوله [7] وقال ابن عبـــاس ـــ رضي الله عنهمـــا : ضرب عيسى أو جبريل عليهما [8] السلام بعقبـــه الأرض

---

(١) الأول : هو قول مجاهد والحسن، والثاني هو قول السدي، وقتادة والضحـــاك، انظـــر : الوسيط : ٣ / ١٨١، ورجح الرازي الأول، وصدر به البيضاوي، وانتصر الجلال المحلـــي على الثاني.
انظر : مفاتيح الغيب : ٢١ / ٢٠٤ ـــ ٢٠٥٠. وأنوار التتريل : ٤ / ٥. والجلالـــين : ٢٥٥، وقراءة الفتح ترجح أنه عيسى، ويقويه أنها لما اتهمت أشارت إليه ليتكلم، وذلـــك يدل على سابق معرفة، وإلى كل المعنيين أشار الدميري في منظومته فقال :

وقل فناداها ـــ هنا ـــ جبريل وقيل : عيسى، طفلها النبيل

(٢) في الأصل " لا تحتمي " والصواب ما أثبته.
(٣) في : " ب " ومقالة.
(٤) انظر : لسان العرب : (سرا).
(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : ٧/٥٦ من البراء مرفوعا وعزاه للطبراني في الصغير وضعف إسناده بمعاوية بن يحيى الصدفي، وذكره السيوطي في الدر : ٤/ ٤٨٢.
(٦) للحسن ـــ هنا ـــ أكثر من رواية، انظر : تفسير الحسن البصري : ٢ / ١٠٩.
(٧) المصدر نفسه، وحكى ابن الجوزي رجوعه أيضا دون ذكر القصة، انظر : زاد المسير : ٥ / ١٦٥.
(٨) في الأصل : " عليه ".

فظهرت عين ماء عذب، فجرى النهر اليابس، فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرها[1]» فقيل لها :

٢٥- ﴿ وَهُزِّيٓ ﴾ حركي ﴿ إِلَيۡكِ ﴾ إلى نفسك ﴿ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ قال أبوعلي: الباء زائدة، أي: هزي جذع النخلة ﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ ﴾ بإدغام التاء الأولى في الثانية: مكي ومدني وشامي وأبو عمرو وعلي وأبو بكر، و"تتساقط" بإظهار التاءين، و"تساقط" بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين: حمزة، و"يساقط " بفتح الياء والقاف وتشديد السين : يعقوب وسهل وحماد ونصير،و"تساقط " حفص من المفاعلة، و"تسقط" و "يسقط" و "تسقط" و " يسقط"التاء : للنخلة، والياء : للجذع، فهذه تسع قراءات[2] ﴿ رُطَبٗا ﴾ تمييز، أو مفعول به ؛ على حسب القراءة ﴿ جَنِيّٗا ﴾ طريا، وقالوا : التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت، وقيل : ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل.[3]

٢٦- ﴿ فَكُلِي ﴾ من الجني ﴿ وَٱشۡرَبِي ﴾ من السري ﴿ وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ بالولد الرضي، و" عينا "، تمييز، أي : طيبي نفسا بعيسى وارفضي عنك ما أحزنك ﴿ فَإِمَّا ﴾ أصله "إن ما"فضمت إن الشرطية إلى "ما" وأدغمت فيها ﴿ تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا ﴾ أي: فإن رأيت

---

(١) لم أجده عن ابن عباس.

(٢) القراءات المتواترة في هذا اللفظ أربع، هي التي عزاها إلى أصحابها، وهي (تساقط) و (تساقط) و (تساقط) و (تساقط)، انظر : غاية الاختصار ٢ / / ٥٦٣ ـــ ٥٦٤، والكامل : ٢١٦، وأما قراءة (تتساقط) بتاءين مفتوحتين فهي قراءة أبي السمال، وقراءة (تسقط) بضم التاء وسكون السين : لأبي حيوة ومسروق، وعن أبي حيوة أيضا : (يسقط) وعنه ـــ أيضا ـــ : (تسقط) وكذلك القراءة الأخيرة : فصل ذلك أبو حيان في البحر : ٦ / ١٧٥.

(٣) هو قول الربيع بن خيثم كما في السراج المنير : ٢ / ٤٢٢.

آدميا يسألك(١) عن حالك " فقولي : إني نذرت للرحمن صوما " وإمساكا عن الكلام، وكانوا يصومون(٢) كما يصومون عن الأكل والشرب، وقيل : صيامًا حقيقة، وكان صومهم(٣) فيه الصمت، فكان التزامه التزامه، وقد نهى رسول الله [صلى الله عليه وسلم](٤) عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فينا، وإنما أمرت أن تنذر السكوت؛ لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها، ولئلا تجادل السفهاء، وفيه (٥) : أن السكوت عن السفيه واجب، وما قدع(٦) سفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض، وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة، وقد تسمى الإشارة كلاما وقولا، ألا ترى إلى قول الشاعر في وصف القبور :

وتكلمت عن أوجه تبلى ....

وقيل : كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام، أو سوغ لها هذا القدر بهذا النطق(٧) ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ آدميا.

٢٧- ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ ﴾ بعيسى ﴿ قَوْمَهَا ﴾ بعد ما طهرت من نفاسها ﴿ تَحْمِلُهُۥ ﴾ حال منها، أي : أقبلت نحوهم حاملة إياه، فلما رأوه معها ﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ بديعا عجيبا، والفري : القطع، كأنه يقطع العادة.

---

(١) في " ب " يسائلك.

(٢) في " ج " زيادة " عن الكلام ".

(٣) في " ج " صيامهم.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٥) في " ج " " وفيه دليل على ".

(٦) القدع : الكف. القاموس : ٩٦٧ (قدع).

(٧) في " ج " بالنطق.

٢٨- ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾ وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني إسرائيل، أو هو أخو موسى عليهما[1] السلام، وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة، وهذا كما يقال: يا أخا همدان أي: يا واحدا منهم، أو: رجل صالح، أو: طالح في زمانها شبهوها في الصلاح، أو: شتموها به[2] ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ﴾ عمران ﴿ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ ﴾ زانيا ﴿ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ ﴾ حنة ﴿ بَغِيّٗا ﴾ زانية.

٢٩- ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾ إلى عيسى أن يجيبهم، وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها: لا تحزني وأحيلي بالجواب[3] علي، وقيل: أمرها جبريل بذلك، ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا ﴿ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ ﴾ حدث ووجد ﴿ فِي ٱلۡمَهۡدِ ﴾ المعهود ﴿ صَبِيّٗا ﴾ حال.

٣٠- ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترفت[4] بالعبودية، وهو ابن أربعين ليلة، أو ابن يوم، روي: أنه أشار بسبابته، وقال بصوت رفيع: إني عبد الله، وفيه لقول النصارى[5] ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الإنجيل ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ عن الحسن: أنه[6] كان في المهد نبيا وكلامه: معجزته، وقيل: معناه[7]: أن ذلك سبق في قضائه، أو جعل الآتي لا محالة، كأنه وجد.

---

(١) في " ج " عليه.

(٢) قيل: كان في زمانها رجل طالح اسمه هارون، فنسبوها إليه؛ على جهة التعيير. ذكره الطبري ولم ينسبه، وصوب أن يكون رجلا من قومها صالحا نسبت إليه. انظر: تفسيره: ١٦ / ٧٨.

(٣) في " ج " الجواب.

(٤) في " ب " و " ج " اعترف، وما أثبته يجوز إذا كان المراد هو اللسان، لأنه يؤنث ويذكر.

(٥) لأنه قال: عبد الله، ولم يقل: ابن الله، كما زعمت النصارى.

(٦) في " ج " " روي أنه ".

(٧) " معناه " سقط من " ب ".

٣١- ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ نفاعا حيث كنت، أو : معلما للخير ﴿ وَأَوْصَانِي ﴾ وأمرني ﴿ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ إن ملكت مالا، وقيل: صدقة الفطر، أو تطهير البدن، ويحتمل : وأوصاني بأن آمركم بالصلاة والزكاة ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ نصب على الظرف، أي : مدة حياتي.

٣٢- ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ عطفا على مباركا، أي بارا بها أكرمها وأعظمها ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا ﴾ متكبرا ﴿ شَقِيًّا ﴾ عاقا.

٣٣- ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ "يوم" ظرف، والعامل فيه: الخبر وهو (علي) ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلي، إن كان حرف التعريف للعهد[1] وإن كان للجنس، فالمعنى: وجنس السلام علي، وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها، لأنه إذا قال: وجنس السلام علي فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض.

٣٤- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ ﴿ عِيسَى ﴾ خبره ﴿ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ نعته، أو خبر ثان، أي: ذلك الذي قال : إني عبد الله [2] كذا وكذا عيسى بن مريم، لا كما قالت النصارى: إنه إله أو ابن الله ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ كلمة الله، فالقول الكلمة والحق الله، وقيل له: كلمة الله، لأنه ولد بقوله : كن بلا واسطة أب، وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر، أو: خبر مبتدأ محذوف، أو : بدل [3] ونصبه : شامي

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف : ٣ / ١٥، ثم عول على غيره، ولا يخفى بعد هذا الوجه لأن السلام على يحيى معهود غير سابق لفظا، بل هو كلام مستقل وقصة منفصلة وجودا وسردا، ولهذا لم يعول عليه المحققون، وأولهم الزمخشري الذي أخذ منه المصنف. حتى إن الألوسي جزم بأنه غير صحيح، وعلل بما سبق. انظر : روح المعاني : ١٦ / ٩٠.

(٢) لفظ " عبد الله " ساقط من " ج ".

(٣) في " ج " " أو بدل من عيسى ".

وعاصم على ؛ المدح[1] ﴿ ٱلَّذِى فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾ يشكون من المرية والشك، أو يختلفون من المراء، فقالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى : ابن الله، وثالث ثلاثة.

٣٥- ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ ﴾ ما ينبغي له ﴿ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ جئ بـ "من" لتأكيد النفي ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥٓ ﴾ نزه ذاته عن[2] اتخاذ الولد ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ بالنصب، شامي[3]، أي: كما قال لعيسى: كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان متزها أن يشبه الحيوان الوالد.

٣٦- ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ بالكسر: شامي وكوفي[4] ؛ على الابتداء، وهو من كلام عيسى، يعني : كما أنا عبده فأنتم عبيده، وعلي وعليكم أن نعبده، ومن فتح عطف على "بالصلاة " أي : أوصاني[5] بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم[6]، أو : علقه بما بعده، أي : ولأن الله ربي

---

(١) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٢٥، والنشر : ٢ / ٣١٨، ولتوجيه القراءتين : الإتحاف : ٢ / ٢٣٦، والبحر : ٦ / ١٧٨.

(٢) في " ب " : " من ".

(٣) انظر : التذكرة : ٢ / ٤١٥، والنشر : ٢ / ٢٢٠.

(٤) انظر التذكرة : ٢ / ٤٢٥، وغاية الاختصار : ٢ / ٥٦٤. وفيها إشكال هي ونظائرها في القرآن، ولقوة الإشكال فيها كان العلماء فيها ما بين مستشكل، ومستبعد، وملحن، ومضعف، ومستشكل مضعف، ومرجح، وموضح، ومدافع، وذاكر ساكت، وساكت بالمرة.

انظر : شرح الهداية : ١ / ١٧٩، والإبراز : ٢ / ٣١٧، والكشف لمكي : ١ / ٢٦١، والكامل للهذلي : ورقة ١٦٣، ونكات القرآن للمقري : ورقة ٤٢.

(٥) في " ب " و " ج " وأوصاني.

(٦) في " ب " : " وبأن الله بكم ".

وربكم فاعبدوه ﴿ هَٰذَا ﴾ الذي[1] ذكرت ﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا.

٣٧- ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ الحزب: الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها، وهم ثلاثة فرق نسطورية[2] ويعقوبية[3] وملكانية[4] [5] ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ من بين أصحاب[6] عيسى أو من بين قومه، أو [7] بين الناس، وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع، ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم، وهم يعقوب ونسطور وملكاء، فقال يعقوب : هو الله هبط[8] إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وقال نسطور : كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه، وقال الثالث : كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق ﴿ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة، أي : من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) نسبة إلى نسطور، وهم قريب من الملكانية إلا أنهم قالوا : إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان إنما ولد الإله، ونسطور كان بطريكا بالقسطنطينية، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : ١ / ١١١.

(٣) نسبة إلى يعقوب، يقولون : الله هو المسيح نفسه، وأنه ـ تعالى وتنزه عن عظيم كفرهم ـ مات وصلب وبقي العالم بلا مدبر ثلاثة أيام. انظر : الفصل : ١ / ١١١.

(٤) أعظم فرق النصارى، وهي مذهب جميع ملوك النصارى. انظر : الفصل : ١ / ١١٠ ـ ١١١.

(٥) في " ب " ملكايية.

(٦) في " ج " أصحابه.

(٧) في " ب " و " ج " أو من.

(٨) في الأصل : "حبط " وهو خطأ.

عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر، أو من مكان الشهادة، أو وقتها، أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله [1] عظيما ؛ لفظاعة ما شهدوا به في عيسى.

٣٨- ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ الجمهور: على أن لفظه أمر، ومعناه التعجب، والله تعالى لا يوصف بالتعجب، ولكن المراد : أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا[2] في الدنيا[3]، قال قتادة : إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم[4] ـــ وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم بزيد، فمعناه : كرم زيد جدا ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ ﴾ أقيم الظاهر مقام الضمير[5]، أي : لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم، ووضعوا العبادة في غير موضعها ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ عن الحق ﴿

(١) في " ب " : " يوما عظيما ".

(٢) في : وعميا.

(٣) هذه عبارة الزمخشري ٣ / ١٦ ـــ ١٧، ولما لم يكن بين المعتزلة والأشاعرة خلاف فيها لم يعلق عليها ابن المنير، وليس في إثبات العجب لله نكارة، إذا أثبت على الوجه اللائق به سبحانه من دون تشبيه، وقد صح في القراءة : (بل عجبت ويسخرون) [الصافات:١٢] بضم التاء وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة، وثبت في صحيح البخاري في باب الأسارى في السلاسل من كتاب الجهاد : ٤ / ٢٠، قول النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ " عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل ". وورد عن شريح إنكار صفة العجب، ورد عليه إبراهيم النخعي حينما بلغه قوله، وقال : إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أعلم منه، وكان يقرأ بالضم. انظر : مجموع الفتاوى : ٣ / ٢٢٩، وأضواء البيان : ٦/ ٦٨٠، وتوجيه المشكل : ٤٠١ ـــ ٤٠٣.

(٤) عزاه في الوسيط : ٣ / ١٨٤ إلى الحسن، والذي عن قتادة : سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر.

(٥) في " ج " المضمر.

مُّبِينٍ ﴾ ظاهر، وهو اعتقادهم عيسى إلها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم.

٣٩- ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ خوفهم ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ يوم القيامة، لأنه يقع فيه الندم على ما فات، وفي الحديث : " إذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا "[1] ﴿ إِذْ ﴾ بدل من يوم الحسرة، أو ظرف للحسرة وهو مصدر ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار ﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ هنا عن الاهتمام لذلك المقام ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون به، "وهم وهم": حالان، أي: وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين.

٤٠- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي: نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفناء، وذكر "من " لتغليب العقلاء ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ بضم الياء وفتح الجيم، وفتح الياء : يعقوب[2]، أي : يردون فيجازون جزاء وفاقا.

٤١- ﴿ وَٱذْكُرْ ﴾ لقومك ﴿ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قصته مع أبيه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ بغير همز، وهمزه : نافع[3]، قيل : الصادق : المستقيم في الأفعال، والصديق : المستقيم في الأحوال، فالصديق : من أبنية المبالغة ونظيره :الضحيك[4]، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، أي: كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيا في نفسه، وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه : وهو :

---

(١) لم أجده وهو في ابن كثير كما في التحقيق : ٣ / ١٥٥.

(٢) انظر : التلخيص : ٢١٠.

(٣) انظر : التلخيص : ٢٠٨.

(٤) حاصل ما قيل في معناه : أنه الذي جمع بين الصدق والتصديق، انظر : مفردات الراغب وبصائر ذوي التمييز : ٣ / ٣٩٧.

٤٢- ﴿إِذْ قَالَ﴾ وجاز أن يتعلق "إذ" بـ "كان" أو بـ "صديقا" نبيا، أي: كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات، والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب: أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم، كقوله: "واتل عليهم نبأ إبراهيم"(١) وإلا فالله ـ عز وعلا ـ هو ذاكره ومورده في تنزيله: ﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء وفتحها: ابن عامر(٢)، والتاء عوض من ياء الإضافة، ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ المفعول فيهما منسي غير منوي، ويجوز أن يقدر أي: لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ يحتمل أن يكون " شيئا " في موضع المصدر، أي: شيئا من الغناء(٣)، وأن يكون مفعولا به من قولك: أغن عني وجهك، أي: بعد.

٤٣- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي، أو: معرفة الرب ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة(٤) ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ﴾ أرشدك ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ مستقيما.

٤٤- ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ عاصيا.

٤٥- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ قيل: أعلم(٥) ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ قرينا في النار تليه ويليك، فانظر في

---

(١) الشعراء: ٦٩.

(٢) حيث جاء في القرآن، انظر: التذكرة: ٢ / ٣٧٨، والنشر: ٢٩٣.

(٣) في " ج " الإغناء.

(٤) في " ج " أو موصوفة.

(٥) هو قول الفراء والطبري، انظر: معاني القرآن: ٢ / ١٦٩، وجامع البيان: ١٦ / ٩٠.

نصيحته أباه[1] كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر، ففي الحديث : " أوحي إلى إبراهيم : إنك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار " فطلب منه أولا العلة في خطاه[2] طلب منبه على تماديه موقظ، لإفراطه وتناهيه، لأن من يعبد أشرف الخلق مترلة، وهم الأنبياء، كان محكوما[3] بالغي المبين، فكيف بمن يعبد حجرا، أو شجرا لا يسمع ذكر عابده، ولا يرى هيئات عبادته، ولا يدفع عنه بلاء، ولا يقضي له حاجة، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال : إن معي شيئا من العلم ليس معك، وذا[4] علم الدلالة على الطريق السوي، فهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك[5] من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بنهيه عما كان عليه، بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك، فأنت عابده في الحقيقة، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما تجره[6] ما هو فيه مع[7] مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به، وأن العذاب لاصق به، بل قال : أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل، كأنه قال : إني أخاف

والخوف : توقع المكروه كما بينه الراغب في المفردات : ١٦١، وهو الظاهر المتبادر. ولو كان إبراهيم عالما بكفره جازما به لم يشتغل بنصحه، والحاصل : أن الأكثرين على أن الخوف على بابه، وانظر : فتح القدير : ٣ / ٣٣٦، وروح المعاني : ١٦ / ٩٧.

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ب " " خطابه "، وهو مستقيم أيضا.

(٣) في " ج " "محكوما عليه".

(٤) في " ج " "وذلك ".

(٥) في " ج " " أنجك ".

(٦) في " ج " " يجره ".

(٧) في " ج " : " من التبعة والوبال "

أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملـــة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب،كما أن رضوان الله أكبر من الثواب نفســه[١]" وصدر كل نصيحة بقوله : "يا أبت " ؛ توسلا إليه، واســتعطافا[٢] وإشعــارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا، فثم :

٤٦- ﴿ قَالَ ﴾ آزر توبيخـــا ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي: أترغب عن عبادتها، فناداه باسمه و لم يقابل "يا أبت " بـــ " يابني "، و قدم الخبر على المبتدأ، لأنه كان أهم عنده ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عـــن شـــتم الأصنـــام ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾[٣] لأقتلنك بالحجارة، أو : لأضربنك بها حـــتى تتبــاعد، أو: لأشتمنك ﴿ وَٱهْجُرْنِى ﴾ عطف على محذوف يدل عليـــه " لأرجمنـــك "، تقديره : فاحذرني واهجرني ﴿ مَلِيًّا ﴾ ظرف، أي : زمانـــا طويـــلا، مـــن الملاوة[٤].

٤٧- ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ سلام توديع ومتاركة، أو: تقريب وملاطفة، ولـــذا وعده بالاستغفار بقوله: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾ أي[٥] : سأســأل الله أن يجعلك[٦] من أهل المغفرة بأن يهديك للإســـلام ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ ﴾ ملطفا بعموم النعم، أو رحيما، أو مكرما، والحفاوة : الرأفة[٧] والكرامة.

---

(١) في " ج " " في نفسه ".

(٢) في الأصل : " واستعطاف " والصواب ما أثبته.

(٣) في " ج " بالرجمان. و لم أجده بها التصريف والضبط.

(٤) بتثليث الميم : مدة العيش : اللسان : ١٥ / ٢٩٠ (ملا).

(٥) سقط من " ج ".

(٦) في " ب " يجعل لك، وهو خطأ.

(٧) في " ج " زيادة " والرحمة ".

٤٨- ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ ﴾ أراد بالاعتزال : المهاجرة من أرض بابل[1] إلى الشام ﴿ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما تعبدون من أصنامكم ﴿ وَأَدۡعُواْ ﴾ وأعبد ﴿ رَبِّي ﴾ ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم: ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ أي: كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام.

٤٩- ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فلما اعتزل الكفار ومعبوديهم[2] ﴿ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ ﴾ ولدا ﴿ وَيَعۡقُوبَ ﴾ نافلة ليستأنس بهما ﴿ وَكُلّٗا ﴾ أي[3]: كل واحد منهم ﴿ جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾ أي: ما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولادا مؤمنين أنبياء.

٥٠- ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا ﴾ هي: المال والولد ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ ﴾ ثناء حسنا، وهو : الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم في الصلوات، وعبر بـ "اللسان "عما يوجه باللسان، كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية ﴿ عَلِيّٗا ﴾ رفيعا مشهورا.

٥١- ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا ﴾ كوفي غير المفضل[4]، أي: أخلصه الله واصطفاه ومخلصا غيرهم[5]، أي : أخلص هو العبادة لله — تعالى — فهو مخلص بما له من السعادة بأصل الفطرة، ومخلص فيما عليه من

(١) موقعها في العراق، وذكر في القرآن (البقرة : ١٠٢) ومنهم من جعلها إقليم العراق، وهو اسم له قديم، وأكثر الناس لا يعرفون أين بابل كما قال البشاري في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ١٠٤.

(٢) في " ج " " ومعبودهم ".

(٣) سقط من " ج ".

(٤) انظر : الغاية : ٢٠٢، والتلخيص : ٢٩٤.

(٥) انظر : التذكرة : ٢ / ٤٥٢، والتلخيص : ٢٩٤.

العبادة بصدق الهمة ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ الرسول[1] الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي : الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع.

٥٢- ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ ﴾ دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة ﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ هو جبل بين مصر ومدين ﴿ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ من اليمين أي من ناحيته اليمنى[2]، والجمهور : على أن المراد أيمن موسى عليه السلام، لأن الجبل لا يمين له، والمعنى : أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة، وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام ﴿ وَقَرَّبْنَـٰهُ ﴾ تقريب منزلة ومكانة دون[3] منزل ومكان ﴿ نَجِيًّا ﴾ حال، أي : مناجيا، كنديم بمعنى منادم.

٥٣- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾ من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه ﴿ أَخَاهُ ﴾ مفعول ﴿ هَـٰرُونَ ﴾ بدل منه ﴿ نَبِيًّا ﴾ حال، أي : وهبنا له نبوة أخيه، وإلا فهارون كان أكبر سنا منه[4].

٥٤- ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ هو: ابن إبراهيم: في الأصح ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ وافيه. واعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه، فانتظره سنة في مكانه حتى عاد، وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى، وقيل : لم يعد ربه موعدا إلا أنجزه، وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وكأنه المشهور من خصاله ﴿ وَكَانَ رَسُولًا ﴾ إلى جرهم ﴿ نَّبِيًّا ﴾ مخبرا منذرا.

---

(١) في " ج " : " فالرسول ".

(٢) في " ج " ناحية اليمين.

(٣) في " ج " " لا " بدل " دون ".

(٤) يريد أن المقصود بالهبة : مؤازرة أخيه، وجعله نبيا ليعضده، وليس المراد أنه وهبه شخصه، لأنه كان أسن منه.

٥٥- ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ ﴾ أمته ؛ لأن النبي أبو أمته أو أهل[1] بيته، وفيه دليل على أنه لم يداهن غيره ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ قرئ مرضوا على الأصل[2].

٥٦- ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ﴾ هو أخنوخ، أول مرسل بعد آدم عليه السلام، وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل، وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتاب[3] الله لا يصح [4]، أنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمية ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

٥٧- ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ هو شرف النبوة والزلفى عند الله، وقيل: معناه: رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة وقد رآه النبي ــ عليه السلام [5] ــ ليلة المعراج فيها، وعن الحسن : إلى الجنة، لا شيئ أعلى من الجنة [6]، وذلك أنه حبب لكثرة عبادته إلى الملائكة، فقال لملك الموت : أذقني الموت يهن علي، ففعل ذلك بإذن الله، فحيي، [وقال : أدخلني النار أزدد رهبة، ففعل، ثم قال

---

(١) في " ج " وأهل.

(٢) هي قراءة ابن أبي عبلة، كما في البحر : ٦ / ١٨٨.

(٣) في " ج " : كتب.

(٤) ذكر ذلك عن وهب ابن منبه، كما صرح به السمرقندي في تفسيره : ٢ / ٣٢٦، ورده الزمخشري في الكشاف : ٣ / ٢٣، وعلل أبو حيان ذلك الرد بما ذكر المصنف. انظر : البحر : ٦ / ١٨٩. وانظر : تفسير ابن كثير : ٤ / ٤٦٥ ــ ٤٦٦.

(٥) في " ج " : صلى الله عليه وسلم.

(٦) تفسير الحسن البصري : ٢ / ١١٠.

أدخلني الجنة أزدد رغبة ففعل[١]، فقال[٢] له : اخرج][٣]، فقال[٤] : قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة، فقال الله عزوجل : بإذني فعل، وبإذني دخل، فدعه.[٥]

٥٨- ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ " من " للبيان، لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ﴿ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ "من"[٦] : للتبعيض، وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح، لأنه ولد سام[٧] ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: ومن ذرية إسرائيل أي: يعقوب، وهم: موسى وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ؛ لأن مريم من ذريته ﴿ وَمِمَّنْ ﴾ يحتمل العطف على "من" الأولى والثانية ﴿ هَدَيْنَا ﴾ لمحاسن الإسلام ﴿ وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ من الأنام، أو: لشرح الشريعة وكشف الحقيقة ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ أي : إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة، وهو كلام مستأنف إن جعلت " الذين " خبرا لـ " أولئك "، وإن جعلته صفة له

---

(١) سقط من غير الأصل.

(٢) في " ج " : ثم قال.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من " ب ".

(٤) في " ب " وقال، وفي " ج " فقال.

(٥) أورده ابن كثير، وعزاه إلى ابن أبي حاتم قال : " هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات وفي بعضه نكارة " تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٦٦.

(٦) ساقط من الأصل و " ب " والمثبت من " ج ".

(٧) في " ج " من ولد سام بن نوح.

كان خبرا، "يتلى" بالياء قتيبة[١] ؛ لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي[٢] ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ سقطوا على وجوههم رغبة ﴿ وَبُكِيًّا ﴾ باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد. في الحديث : " اتلوا القرآن وابكوا فإن[٣] لم تبكوا تباكوا " [٤] وعن صالح المري : قرأت القرآن على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المنام فقال لي :

" يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ " [٥] ويقول في سجدة[٦] التلاوة "سبحان ربي الأعلى" ثلاثا.[٧]

٥٩- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ فجاء من بعد هؤلاء المفضلين ﴿ خَلۡفٌ ﴾ أولاد

---

(١) نسبها أبو حيان إلى عبد الله بن مسعود، وأبي جعفر وشيبة، وقتيبة في رواية، وآخرين. انظر : البحر : ٦ / ١٨٩.

(٢) لأنه لو لم يكن فاصل لجاز أيضا، قال ابن مالك في الخلاصة :

وإنما تلزم فعل مضمر ... متصل، أو مفهم ذات حر

(٣) في " ج " وإن.

(٤) أخرجه ابو يعلى في مسنده : ٢ / ٥٠ برقم ٦٨٩ من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب مرفوعا بلفظ " إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا " وفي إسناده إسماعيل بن رافع الذي رواه عن أبي مليكة، وإسماعيل لين الحديث كما قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : ٣ / ٢٤، وعزاه أيضا إلى إسحاق البزار بالطريق المتقدم.

(٥) ذكره في الكشاف : ٣/ ٢٤. وذكر بن كثير نحوه عن عمر بن الخطاب مسندا، وعزاه إلى ابن أبي حاتم. انظر : تفسيره : ٤ / ٤٦٧.

(٦) في " ج " سجود.

(٧) لأنه سجود كسجود الصلاة، وحكمه : حكمه، وقد جاءت في خصوص هذا السجود أذكار تكلم فيها، راجع :

سوء، وبفتح اللام : لعقب[1] الخير، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- [2]: هم اليهود[3] ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ ملاذ النفوس. وعن علي رضي الله عنه : من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور[4]، وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ [5] : هو في هذه الأمة[6] ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ جزاء غي، وكل شر عند العرب غيا[7]، وكل خير رشاد. وعن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ[8] هو واد في جهنم، أعد للمصر[9] على الزنا، وشرب[10] الخمر، وآكل الربا، والعاق، وشاهد الزور[11].

---

(١) في " ج " العقب.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره : ٥ / ١٨١.

(٤) ذكره في الكشاف : ٣ / ٢٤.

(٥) سقط من " ج ".

(٦) وهو قول مجاهد أيضا، انظر : الوسيط : ٣ / ١٨٧، وزاد المسير : ٥ / ١٨١.

(٧) في " ب " و " ج " جزاء غي.

(٨) ساقط من " ج ".

(٩) في " ج " للمصرين.

(١٠) في " ج " وشارب.

(١١) ذكره عنهما الواحدي في الوسيط ٣ / ١٨٨، دون تفصيل وهو بهذا التفصيل عن ابن عباس في القرطبي ١١ / ١٢٥.

٦٠- ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ رجع عن كفره ﴿ وَءَامَنَ ﴾ بشـرطه ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ بعد إيمانه ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ بضم الياء وفتح[1] الخاء مكي وبصري وأبو بكر[2] ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ أي : لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه، بل يضاعف لهم، أو : لا يظلمون شيئا من الظلم.

٦١- ﴿ جَنَّٰتِ ﴾ بدل من الجنة ؛ لأن الجنة تشتمل على جنات عدن، لأنها جنس، أو: نصب على المدح ﴿ عَدْنٍ ﴾ معرفة ؛ لأنه[3] علم لمعنى العدن، وهو الإقامة، أو: علم لأرض الجنة ؛ لكونها مكان[4] إقامة ﴿ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ ﴾ أي: عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، كما سبق ذكرهم، ولأنه أضافهم إليه، وهو للاختصاص، وهؤلاء أهل الاختصاص ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي: وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة،أو : هم غائبون عنها لا يشاهدونها ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ ضمير الشأن، أو: ضمير الرحمن ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ ﴾ أي : موعودة[5] وهو الجنة ﴿ مَأْتِيًّا ﴾ أي: هم يأتونها.

٦٢- ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ لَغْوًا ﴾ فحشا أو: كذبا، أو : ما لا طائل تحته من الكلام، وهو المطرح[6] منه، وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو وابتغائه[7] [8] ؛ حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها ﴿ إِلَّا سَلَٰمًا ﴾

---

(١) في الأصل " والفتح " والصواب ما أثبته.

(٢) ينظر : التلخيص : ٢٤٧، وإرشاد المبتدي : ٢٧٨.

(٣) في " ج " لأنها.

(٤) في " ج " مقام.

(٥) في " ب " موعود.

(٦) في " ج " المطروح.

(٧) في " ب " و " ج " واتقائه، وكلاهما صحيح.

(٨) اللغو : ما لا يعتد به، كما عرفه الراغب في المفردات : ٤٥١، وهذا التعريف يشمل ما يضر وما لا ينفع، ومنزع الاستدلال الذي ذكره المصنف خفي، ويمكن أن يقال : إن الله

أي: لكن يسمعون سلاما من الملائكة، أو : من بعضهم على بعض، أو: لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة، فهو استثناء منقطع عند الجمهور، وقيل: معنى السلام : هو الدعاء بالسلامة، ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي: يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا، إذ لا ليل ولا نهار ثم ؛ لأنهم في النور أبدا، وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب، ومقدار الليل بإرخائها[1] والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك، وقيل : أراد دوام الرزق، كما تقول : أنا عند فلان بكرة وعشية[2]، تريد : الدوام.

٦٣- ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ أي: نجعلها ميراث أعمالهم، يعني : ثمرتها وعاقبتها، وقيل : يرثون[3] المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، لأن الكفر موت حكما ﴿ مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ من الشرك.

عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ياجبريئل[4] ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا " فترل :

لما نزه تلك الدار التي لا تكليف فيها عن اللغو، وامتن عليهم بذلك كان فيه تنبيه على اجتناب اللغو، لا سيما إذا ضم إلى ذلك آيات أخرى في امتداح المعرضين عن اللغو وسفاسف الأمور.

(١) قال تعالى : (وندخلهم ظلا ظليلا) [النساء :] وقال : (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) [الانسان:].

(٢) في " ج " وعشيا.

(٣) في " ج " يورثون.

(٤) في " ب " و " ج " يا جبريل.

٦٤- ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[1] والتترل على معنيين: معنى الترول على مهل، ومعنى الترول على الإطلاق، والأول : أليق هنا، يعني : أن نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي: له ما قدامنا وما خلفنا من الأماكن، وما نحن فيها، فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال، لا تجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه ؟

٦٥- ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ بدل من " ربك " أو : خبر مبتدأ محذوف، أي : هو رب السماوات والأرض، ثم قال لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات: ﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾ فاثبت على عبادته ﴿ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ أي: اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود، واصطبر[2] على المشاق ؛ لأجل عبادة[3] الخلاق، أي : لتتمكن من الإتيان بها ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ شبيها ومثلا، أو : هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق، أي: إذا صح أن لا معبود يوجه[4] إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٥ / ٢٣٧)، كتاب التفسير، باب (وما نتترل إلا بأمر ربك).

(٢) في " ج " واصبر.

(٣) في في الأصل " العبادة " والصواب ما أثبته.

(٤) في " ج " توجه.

فت[1] أبي بن خلف عظما وقال : أنبعث بعد ما صرنا كذا، فنزل [2] :

٦٦- ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ والعامل في "إذا": ما دل عليه الكلام، وهو أبعث، وانتصابه بـ " أخرج " ممتنع، لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها، فلا تقول اليوم لزيد قائم، ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، وتؤكد : مضمون الجملة، فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال، وما في " إذا ما " للتوكيد أيضا، فكأنه قال : أحقا إنا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك ! على وجه الاستنكار والاستبعاد، وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من[3] قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم.

٦٧- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ خفيف شامي ونافع وعاصم، من الذكر، والسائر[4] بتشديد الذال والكاف[5] وأصله يتذكر كقراءة[6] أبي، فأدغمت التاء في الذال أي : أولا يتدبر، والواو : عطفت لا يذكر على " يقول "، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف، يعني : أيقول ذلك: ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى، فإن تلك أدل على قدرة الخالق ؛ حيث أخرج[7] الجواهر، والأعراض من العدم إلى الوجود، وأما

---

(١) في " ج " فتهافت، وهو خطأ.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول : ٣٠٩ عن الكلبي، بلا إسناد.

(٣) في " ج " ومن.

(٤) هكذا في " ج " وما في " الأصل " و " ب " " والأستار " وهو غير مفهوم.

(٥) ينظر : التلخيص : ٣٢٤، وغاية الاختصار : ٢ / ٥٦٤.

(٦) في " ب " بقراءة.

(٧) في الأصل " الإخرج " والصواب ما أثبته.

الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق ﴿ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل الحالة التي هو فيها، وهي حالة بقائه ﴿ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ هو دليلٌ على ما بيَّنا، وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافاً للمعتزلة [1].

٦٨- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي: الكفارَ المنكرين للبعث ﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ الواو: للعطف، وبمعنى مع أوقع، أي : يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرن كلّ كافر مع شيطان في سلسلة، وفي إقسام الله باسمه مضافاً إلى رسوله تفخيمٌ لشأن رسوله ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ حال، جمع جاث، أي : بارك على الركب، ووزنه : فعول ؛ لأن أصله جُثُووٌ كسجود وساجد[2]، أي : يُعْتَلُون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جُثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم.

٦٩- ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ طائفة شاعت أي : تبعث غاوياً من الغواة ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴾ جرأة أو فجوراً، أي : لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، وقيل : المراد بأشدهم عتيّاً: الرؤساء ؛ لتضاعف جرمهم بكونهم[3] ضلّالاً ومضلين. قال سيبويه : " أيهم " : مبنيّ على الضمّ ؛ لسقوط صدر الجملة التي هي صلته

(١) سوف يأتي بيان ذلك ومناقشته عند تفسير أول سورة الحج، الآية الأولى.

(٢) أصله : جثوو، بواوين، على زنة فُعول، اجتمع واوان بعد ضمتي الجيم، والثاء، فكسرت الجيم تخفيفا، وقلبت الواو الأولى ياء، لسكونها وكسر ما قبلها، واجتمع ياء وواو مسبوقة إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، والأكثر في هذا إذا كان جمعا : الإعلال، والأكثر في المفرد التصحيح : كغلو، وعتو.

(٣) في " ج " : لكونهم.

وهو: "هو" من "هو[1] أشد"، حتى لو جئ به لأعرب بالنصب،وقيل : أيهم هو أشد، وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصصه، وكما[2] أن حذف المضاف إليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بـ "نترع "، وقال الخليل : هي معربة وهي : مبتدأ و"أشد": خبره، وهو رفع على الحكاية، تقديره : لنترعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا.[3]

ويجوز أن يكون الترع واقعا على " من كل شيعة "، كقوله: (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي لنترعن بعض كل شيعة، فكأن[4] قائلا قال : من هم ؟ قيل أيهم أشد عتيا، و" على " يتعلق : بأفعل أي : عتوهم أشد على الرحمن[5].

٧٠- ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا ﴾ أحق بالنار ﴿ صِلِيًّا ﴾ تمييز، أي : دخولا، والياء تتعلق بـ "أولى ".

---

(١) سقط من " ب ".

(٢) في " ب " و " ج " فكما.

(٣) راجع كتاب سيبويه : ٢ / ٣٩٧، وشرح الكافية الشافية : ١ / ٢٨٥، وأشار ابن مالك إلى أحوال أي ,إلى هذه المسألة في الخلاصة فقال :

أي كـ " ما " وأعربت مالم نضف　　　وصدر وصليها ضميرا تحذف

وبعضهم أعرب مطلقا ....

الألفية بشرح ابن عقيل : ١ / ١١١.

(٤) في " ب " وكأن.

(٥) انظر : كتاب سيبويه : ٢ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩، والخليل يشبه ذلك بقول الأخطل :

ولقد أبيت من الفتاة بمترل

فأبيت لا حرج ولا محروم.

كما قال سيبويه رحمه الله , وانظر : معاني الزجاج : ٣ / ٣٣٩.

٧١- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ داخلها، والمراد : النار، والـــورود: الدخول عند علي وابن عباس ـــ رضي الله عنهم ـــ، وعليـــه جمـــهور أهـــل السنة[١] لقوله تعالى: (فأوردهم النار) ولقوله تعالى: (لو كان هؤلاء آلهـــة مـــا وردوها) ولقوله: (ثم ننجي الذين اتقوا) إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول لقولـه -عليه السلام-: (الورود : الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلـــها: فتكـــون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم وتقول : النار للمؤمن : جـز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي. وقيل : الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار؛ لقراءة ابن عباس " وإن منهم "[٢]، وتحمل القراءة المشهورة على الالتفـــات.[٣] وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى : (ولما ورد ماء مديـــن) وقولـــه : (أولئك عنها مبعدون)[٤] وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها، وعـــن الحســـن وقتادة : الورود : المرور على الصراط، لأن الصراط ممدود عليها، فيسلم أهـــل الجنة ويتقاذف[٥] أهل النار[٦]، وعن مجاهد : ورود المؤمن النار: هو مس الحمى جسده في الدنيا، لقوله عليه السلام : [الحمى حظ كل مؤمن من النار) وقـــال

---

(١) جاء في مسند أحمد عن جابر (٣ / ٣٢٩) : أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسـلم ـــ قال : " الورود : الدخول.. " وحكى عن بن العباس والحسن وأبي مالك، واعترض علـى هذا بما قاله الزجاج من أن الورود يأتي على معنى الإشراف على الشـــئ وإن لم يدخلـــه المرء. ولكن الحديث في ذلك قد ورد فلا كلام، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.
انظر : زاد المسير : ٥ / ١٨٩ ـــ ١٩٠.

(٢) نسبها أبو حيان إليه وإلى عكرمة، والبحر : ٦ / ١٩٧.

(٣) من الغيبة وهو " لنحشرنهم " إلى الخطاب وهو " وإن منكم ".

(٤) انظر : معاني الزجاج : ٣ / ٣٤١، وزاد المسير ٥ / ١٩٠، وعبد الله هو : ابن مسعود.

(٥) في " ب " وتتقاذف.

(٦) هي رواية أخرى عن الحسن غير التي ذكرها ابن الجوزي. انظر : تفسير القرطـبي : ١١ / ١٣٦، هذا القول عنهم معا : الكشاف : ٣ / ٣٣.

رجل من الصحابة لآخر : أيقنت بالورود ؟ قال : نعم، وأيقنت بالصدر؟ قال: لا، قال : ففيم الضحك وفيم التثاقل !؟ ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي: كان ورودهم واجبا كائنا محكوما[1] به، والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب، كقولهم : ضرب الأمير.

٧٢- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ﴾ وعلي بالتخفيف[2] ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ عن الشرك: وهم المؤمنون ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ فيه دليل على دخول الكل، لأنه قال "ونذر" و لم يقل : وندخل، والمذهب : أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة، وقالت المرجئة الخبيثة : لا يعاقب لأن المعصية لا تضر الإسلام عندهم، وقالت المعتزلة: يخلد[3].

٧٣- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ ظاهرات الإعجاز، أو : حججا وبراهين حال. مؤكدة، كقوله: (هو الحق مصدقا)، إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججا ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي : مشركو قريش. وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ للفقراء ورؤوسهم[4] شعثة وثيابهم خشنة ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ نحن أن أنتم ﴿ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ بالفتح، وهو موضع القيام،والمراد : المكان والمسكن، وبالضم

---

(١) في " ج " محتوما.

(٢) انظر : البحر : ٦ / ١٩٨، والاتحاف : ٢ / ٢٣٨.

(٣) عبر المصنف بما يفيد احتمال العقاب بقوله " قد يعاقب " وجعل الاحتمال في الإثبات لا في النفي تغليبا لجانب الرحمة. وهو من دقائقه ـــ رحمه الله ـــ أما المرجئة فخلافهم غير معتبر، وكذلك المعتزلة والخوارج الذين قالوا بتخليد صاحب الكبيرة مخالفين بذلك النصوص الثابتة القاطعة وإجماع السلف الصالح، وخلافهم في ذلك وتفصيل قول السلف موضح في كتب أهل السنة والجماعة، انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٥٢٤ وما بعدها.

(٤) في " ج " ورسهم.

مكي[1]، وهو موضع الإقامة والمترل ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة، ومعنى الآية : أن الله تعالى يقول : إذا[2] أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المترل والحال، فقال تعالى :

٧٤- ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ فـ " كم " مفعول " أهلكنا " و "من " تبيين لإبهامها، أي : كثيرا من القرون أهلكنا، وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم ﴿ هُمْ أَحْسَنُ ﴾ في محل النصب صفة لـ " كم "، ألا ترى أنك لو تركت "هم" كان أحسن نصبا على الوصفية ﴿ أَثَاثًا ﴾ هو متاع البيت، أو : ما جد من الفرش ﴿ وَرِءْيًا ﴾ منظرا وهيئة، " فعل"[3] بمعنى مفعول من رأيت، "وريا"، بغير همز مشددا: نافع وابن عامر ؛ على قلب الهمزة ياء ؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم الإدغام، أو من الري الذي هو النعمة[4].

٧٥- ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ الكفر ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ جواب "من"[5] لأنها؛ شرطية، وهذا الأمر : بمعنى الخبر، أي : من كفر مد له الرحمن، يعني : أمهله وأملي له في العمر ؛ ليزداد طغيانا وضلالا، كقوله تعالى (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ؛ لتقطع[6] معاذير الضلال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) ينظر : النهاية : ٢ / ٥٦٤، والبحر : ٦ / ١٩٨.

(٢) في " ب " إذا.

(٣) في " ب " فعيل.

(٤) انظر : البحر المحيط : ٦ / ١٩٨ ــ ١٩٩، والاتحاف : ٢ / ٢٣٩، وهذه القراءة لنافع وابن عامر، من رواية قالون، وابن ذكوان. فتكون رواية ورش وهشام كالجماعة بالهمز.

(٥) سقط من غير الأصل.

(٦) في " ج " ليقطع.

رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ ﴾ هي متصلة بقوله "خير مقاما وأحسن نديا "، وما بينهما: اعتراض، أي : لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين ﴿ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ ﴾ في الدنيا، وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر ﴿ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ أي : القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال، فهما بدلان من " ما يوعدون " ﴿ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ منزلا ﴿ وَأَضۡعَفُ جُندًا ﴾ أعوانا وأنصارا، أي : فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكانا وأضعف جندا، لا خير مقاما وأحسن نديا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم، وجاز أن يتصل[1] بما يليها، والمعنى: إن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين، أو : يشاهدوا الساعة، و "حتى" هي التي يحكى بعدها الجمل، ألا ترى [2] الجملة الشرطية واقعة بعدها، وهي قوله : (إذا رأوا ما يوعدون.. فسيعلمون).

٧٦- ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى ﴾ معطوف على موقع[3] "فليمدد" لوقوعه موضع الخبر، تقديره : من كان في الضلالة مد، أو : يمد له الرحمن ويزيد، أي : يزيد في ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين أي : المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء، أو: يقينا وبصيرة بتوفيقه ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ أعمال الآخرة كلها، أو : الصلوات الخمس، أو : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[4] ﴿ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ مما يفتخر

(١) في " ج " بلا إعجام، وفي " ج " تتصل.

(٢) في " ب " و " ج " أن الجملة.

(٣) في " ب " موضع.

(٤) انظر : التعليق على الآية (٤٦) من سورة الكهف.

به الكفار ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[1] مرجعا وعاقبة وفي التفصيل[2]، تهكم بالكفـر ؛ لأنهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا.

٧٧- ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ثـم. وبضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع : هنا[3]، وفي الزخرف[4] ونـوح[5] حمزة وعلي، جمع ولد كأسد، أو بمعنى الولد كالعرب في العرب[6]، ولما كـانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها اسـتعملوا " أرأيـت " في معنى: أخبر، والفاء إفادة[7] التعقيب، كأنه قال : أخبر ـ أيضا ـ بقصة هـذا الكافر، واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله "لأوتين" : جـواب قسـم مضمر.

٧٨- ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ من قولهم : اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعـلاه، الهمـزة : للاستفهام، وهمزة الوصل محذوفة، أي : أنظر في اللوح المحفوظ، فرأى منيتـه ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ موثقا أن يؤتيه ذلك، أو العهد : كلمـة

---

(١) في " ج " أي مرجعا.

(٢) في سقطت جملة " وفي التفصيل " من " ب ".

(٣) في " ج " ههنا.

(٤) قوله تعالى : (قل إن كان للرحمن ولد ...).

(٥) قوله تعالى : (وولدوا إلا خسارا).

(٦) العرب، والعرب، والولد والولد، والقفل والقفل، والعجم، والعجم، والسخط والسخط، كلها جاءت بفتحتين، وبفتح وسكون. انظر : القاموس، مادة (عرب) و (عجم) و (ولد) و (قفل) و (سخط).

(٧) في " ج " أفادت.

الشهادة. عن[1] الحسن : نزلت في الوليد بن المغيرة. والمشهور أنها في العاص بن وائل، فقد روي أن خباب بن الأرت صاغ للعاص بن وائل حليا، فاقتضاه الأجر، فقال : إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهبا وفضة، فأنا أقضيك ثم، فإني أوتى مالا وولدا حينئذ[2].

٧٩- ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبيه على الخطأ، أي : هو مخطئ فيما يصوره لنفسه فليرتدع عنه ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ أي: قوله، والمراد : سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله ؛ لأنه كما قال كتب من غير تأجير. قال الله تعالى : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد "[3] وهو كقوله :

* إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة *[4]

أي : علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء، من المدد، يقال : مده وأمده بمعنى[5] ﴿ مَدًّا ﴾ أكد بالمصدر ؛ لغضبه تعالى.

٨٠- ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ أي: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة، والمعنى: مسمى: ما يقول، وهو المال والولد ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ حال، أي : بلا مال ولا ولد، كقوله: (ولقد جئتمونا فرادى)[6] فما يجدي عليه تمنيه وتأليه.

---

(١) في " ج " وعن.

(٢) انظر : تفسير الحسن البصري : ٢ / ١١٢، قال ابن الجوزي بعد أن ذكر رواية الحسن : " والمفسرون على الأول ". زاد المسير : ٥ / ١٩١.

(٣) ق : ١٨.

(٤) صدر بيت من الطويل، عجزه : ولم تجدي من أن تقري بها بدا. قائله : زائد بن صعصعة النفعي، كما في مشاهد الإنصاف : ٣ / ٣٨.

(٥) سقط من " ج ".

(٦) الأنعام : ٩٤.

٨١- ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ أي : اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها ﴿ لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ أي : ليتعززوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب.

٨٢- ﴿ كَلَّاۚ ﴾ ردع لهم عما ظنوا ﴿ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ الضمير: للآلهة، أي : سيجحدون عبادتهم وينكرونها، ويقولون : والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون، أو للمشركين، أي : ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله: " والله ربنا ما كنا مشركين"[١] ﴿ وَيَكُونُونَ ﴾ أي: المعبودون ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على المشركين ﴿ ضِدًّا ﴾ خصماء، لأن الله تعالى ينطقهم فنقول[٢] : يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك. والضد : يقع على الواحد والجمع، وهو في مقابلة " لهم عزا "، والمراد : ضد العز، وهو الذل والهوان، أي : يكونون عليهم ضدا لما قصدوه، أي : يكونون عليهم ذلا، لا لهم عزا، وإن رجع الضمير في " سيكفرون " و "يكونون " إلى المشركين، فالمعنى : ويكونون عليهم أي : أعداءهم ضدا، أي : كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها , ثم عجب نبيه ـ عليه السلام[٣] ـ بقوله :

٨٣- ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي[٤]: خليناهم وإياهم، من أرسلت البعير : أطلقته، أي : سلطناهم عليهم بالإغواء ﴿ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴾ تغريهم على المعاصي إغراء والأز والهز : أخوان[٥] ومعناهما : التهييج وشدة الإزعاج.

---

(١) الأنعام : ٢٣.

(٢) في " ب " فتقولوا.

(٣) سقط من " ب ".

(٤) سقط من " ج ".

(٥) في " ج " إخوان، وهو بعيد.

٨٤- ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بالعذاب ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ أي: أعمالهم للجزاء أو[١] أنفاسهم للفناء، وقرأها ابن سماك[٢] عند المأمون فقال : إذا كانت الأنفاس بالعدد و لم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد.[٣]

٨٥- ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ركبانا على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب[٤] سروجها ياقوت.

٨٦- ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ عطاشا، لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش[٥]، وحقيقة الورد : المسير إلى الماء فسمى[٦] به الواردون، قالوا[٧] الوفد[٨] : جمع وافد كركب وراكب، والورد : جمع وارد، ونصب " يوم " بمضمر أي : يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف، أو : اذكر يوم نحشرهم، ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي عمرهم[٩] كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش يساقون[١٠] إلى الماء ؛ استخفافا بهم.

---

(١) في " ج " و.

(٢) في " ب " و " ج " السماك.

(٣) ذكره الكشاف : ٣ / ٤١.

(٤) جمع نجيبة : وهي الناقة، يقال : ناقة نجيب، ونجيبة. القاموس : ١٧٤ (نجب).

(٥) في " ج " للعطش.

(٦) غير واضح في الأصل، وفي " ج " فيسمى، والمثبت من " ب ".

(٧) سقط من " ج ".

(٨) في " ج " فالوفد.

(٩) في " ب " و " ج " عمرهم برحمته.

(١٠) في " ب " و " ج " تساق.

٨٧- ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ حال، والواو : إن جعل ضميراً فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين المجرمين بأنهم[١] على هذه القسمة، ويجوز أن يكون[٢] علامة للجمع كالتي في " أكلوني البراغيث " والفاعل " من اتخذ " لأنه في معنى الجمع[٣]، ومحل " من اتخذ" رفع على البدل من واو " يملكون "، أو : على الفاعلية، أو نصب على تقدير حذف المضاف أي : إلا شفاعة من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا﴾ بأن آمن. في الحديث: "من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد" وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن : النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال لأصحابه ذات يوم : " أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً) قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : " يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كان لهم عند الرحمن[٤] عهد

---

(١) في " ج " لأنهم.

(٢) في " ج " يكون.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف : ٣ / ٤٢، وهو بعيد، قال أبو حيان : " ولا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة ... وذكر ابن عصفور أنها لغة ضعيفة " البحر : ٦ / ٢٠٤ , وانظر : الدر المصون : ٧ / ٦٤٣.

(٤) في " ج " الله.

فيدخلون الجنة "[١] أو : يكون من : عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره بـــه، أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

٨٨- ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴾ أي: النصارى واليهود ومن زعـــم أن الملائكة بنات الله.

٨٩- ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾ خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة، وهو التفـلت[٢] أو: أمر[٣] نبيه ــ عليه السلام ــ بأن يقول لهم ذلـــك، والإد : العجــب أو العظيم المنكر، والإدة : الشدة وأدني الأمر : أثقلني، وعظم علي أدا.

٩٠- ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ تقرب، وبالياء : نـــافع وعلـــي[٤] ﴿ يَتَفَطَّرۡنَ ﴾ وبالنون: بصري وشامي وحمزة وخلف وأبو بكر[٥]. الانفطار: من فطـــره إذا شقه، والتفطر من فطره إذا شققه ﴿ مِنۡهُ ﴾ من عظم هذا القـــول ﴿ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ تنخسف وتنفصل أجزاؤها ﴿ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ ﴾ تســقط ﴿ هَدًّا ﴾ كسرا أو قطعا أو هدما، والهدة: صوت الصاعقة من السماء، وهو مصــدر أي: تهد هدا من سماع قولهم، أو: مفعول له، أو: حال، أي: مهدودة.

٩١- ﴿ أَن دَعَوۡاْ ﴾ لأن سموا، ومحله جر، بدل من الهاء في "منـــه"، أو : نصـــب، مفعول له. علل الخرور بالهد، والهد بدعاء الولد للرحمن، أو رفع، فاعل هـــدا، أي: هدها دعاؤهم ﴿ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴾ .

---

(١) عزاه ابن حجر إلى الثعلبي، وإلى ابن مردويه بسياق آخر، وقال : أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر. الكافي الشاف : ٣ / ٤٢.

(٢) من الغيبة إلى الخطاب.

(٣) في " ج " وأمر.

(٤) ينظر : التذكرة : ٢ / ٤٢٧، والغاية : ٢ / ٥٦٥.

(٥) ينظر : التذكرة : ٢ / ٤٢٧، والغاية : ٢ / ٥٦٦.

٩٢- ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ انبغى مطاوع بغى : إذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب[1] لو طلب مثلا ؛ لأنه محال غير داخل تحت الصحة. وهذا لأن اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما، وفي اختصاص " الرحمن" وتكريره كرات[2] بيان[3] أنه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لأن أصول النعم وفروعها منه فليكشف[4] عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن.[5]

٩٣- ﴿ إِن كُلُّ مَن ﴾ "من"[6] نكرة موصوفة صفتها ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ وخبر "كل" ﴿ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ ووحد " آتي " حملا على لفظ كل، وهو اسم فاعل من : أتى، وهو مستقل، أي: يأتيه ﴿ عَبۡدًا ﴾ حال، أي: خاضعا ذليلا منقادا، والمعنى : ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية، والعبودية والنبوة : تتنافيان حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه، ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى

---

(١) في " ج " يتطلب.

(٢) في " ج " مرات.

(٣) في " ج " بيان له.

(٤) في " ب " فليكتشف.

(٥) وقد تكرر في هذه السورة صفة " الرحمن " ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، للإنباء بأن من مقاصد هذه السورة الإنباء بهذه الصفة التي تقعر المشركون في ردها.

راجع التحرير والتنوير : ٦ / ٥٩ ــ ٦٠.

(٦) سقط من " ج ".٤٥٢

المولى، فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا ؟. وقرأ ابـــن مســعود آت[1] الرحمن على أصله قبل الإضافة[2].

٩٤- ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴾ أي: حصرهم بعلمه وأحاط بهم.

٩٥- ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ أي: كل واحد منهم يأتيــه يــوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا[3] معين ولا ناصر.

٩٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ مودة في قلوب العباد، قال الربيع[4] : يحبهم الله[5] ويحببــهم إلى الناس[6]" وفي الحديث : " يعطى المؤمن مقة في صدور[7] الأبــرار ومهابــة في قلوب الفجار "[8] وعن قتادة وهرم : ما أقبل العبد إلىالله إلا أقبل الله بقلــوب العباد إليه[9]" وعن كعب: ما يستقر لعبد ثناء في الأرض حتى يســـتقر لــه في السماء[10].

---

(١) في " ب " أتن، وهو خطأ في الرسم.

(٢) بالتنوين كما نص عليه أبو حيان، انظر : البحر : ٦ / ٢٠٧.

(٣) في " ج " وبلا.

(٤) الربيع بن صبيح السعدي، أول من صنف بالبصرة، خرج غازيا نهاره في البحر عام ١٦٠ هـــ الأعلام : ٣ / ١٥.

(٥) لم يذكر في " ج " وعدلت عن التعبير بالسقوك لما لا يخفى.

(٦) نقله ابن عباس : النيسابوري في غرائبه : ١٦ / ٨٥.

(٧) في " ج " قلوب.

(٨) في " ج " الإحساس.

(٩) نسبه إلى قتادة الزمخشري في الكشاف : ٣ / ٤٦، وعن هرم بن حيان : الواحـــدي في الوسيط : ٣ / ١٧٩، وابن الجوزي في الزاد : ٥ / ١٩٨، والقرطبي في تفسـيره : ١١ / ١٩١.

(١٠) ذكر السمرقندي ما هو بمعناه : انظر : بحر العلوم : ٢ / ٣٣٤.

٩٧- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ ﴾ سهلنا القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك، حال ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المؤمنين ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ شدادا في الخصومة بالباطل، أي : الذين يأخذون في كل لذيذ أي شق من المراء والجدال، جمع ألد، يراد به: أهل مكة.

٩٨- ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ تخويف لهم وإنذار ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ أي: هل تجد أو ترى أو تعلم، والإحساس : الإدراك بالحاسة ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾ صوتا خفيا، ومنه الركاز، أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع، يعني : هلكوا كلهم، فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك، فليهن عليك أمرهم.

سورة طه[1]

[2]وهي مائة وخمسٌ وثلاثون آية كوفي[3]][4]

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ طـه ﴾ فخم[5] الطاء لاستعلائها، وأمال الهاء : أبوعمرو، وأمالهما : حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، وفخمهما ـــ على الأصل ـــ :غيرهم [6]، وما روي عن مجاهد، والحسن، والضحاك[7]، وعطاء، وغيرهم : أن معناه : يا رجل، فإن صح، فظاهر، وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة[8].

---

(١) زاد في " ج " : صلى الله عليه وسلم.ولم أثبتها لأنه يبعد إثباتها من المصنف، وهو لم يختر هذا المعنى.

(٢) زاد في " ج " مكية.

(٣) في " ب " مكية، بدل كوفي.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ". ولاختلاف العدد في آيها ينظر : الاتحاف : ٢ / ٢٤٢.

(٥) المراد بالتفخيم : عدم الإمالة.

(٦) انظر : الإرشاد : ٤٣٢، والنشر : ٢ / ٣١.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ذكر في البقرة أقوالاً كثيرة، فنقل عن الجمهور أن هذه الحروف أسماء للسور، ثم بين القول الذي فيه أن هذه الحروف جاءت إيقاظا لهم تنبههم أن هذا القرآن منظوم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم وقد عجزوا معه عن التحدي، ثم قال : " وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل " انظر : تفسيره : ١ / ٩ الآية الأولى من سورة البقرة، والرواية عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم، أوردها الواحدي في الوسيط : ٣ / ١٩٩، وابن الجوزي في تفسيره : ٥ / ٢٠٠. والقول بأن معناه : يا رجل : هو قول أكثر المفسرين كما قال الواحدي في المصدر نفسه، قيل : بلغة عك، وهو الذي اختاره ابن جرير وصوبه، وقيل بالسريانية، وقيل : بلسان الحبشة، وقيل : غير ذلك، انظر

٢- ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ إن جعلت "طه " تعديدًا لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها، وهي في موضع المبتدأ، والقرآن ظاهر، أوقع موقع المضمر، لأنها قرآن، وأن يكون جوابا لها، وهي قسم ﴿ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ لتتعب بفرط [1] تأسُّفك عليهم وعلى كفرهم وتحسُّرك على أن يؤمنوا، أو : بقيام الليل، فإنه روي : أنه ـ عليه السلام ـ صلى بالليل حتى تورمت قدماه، فقال له جبريل [عليه السلام] [2] : أبقِ على نفسك فإن لها عليك حقا[3]، أي : ما أنزلناه[4] لِتُنهك نفسك بالعبادة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة.

٣- ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةً ﴾ استثناء منقطع، أي : لكن أنزلناه تذكرة، أو حال ﴿ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ لمن يخاف الله، أو لمن يؤول أمره إلى الخشية.

٤- ﴿ تَنزِيلًا ﴾ بدل من "تذكرة" إذا جعل حالا، ويجوز أن ينتصب بـ "نزل" مضمرا، أو : على المدح، أو : بـ "يخشى" مفعولا، أي : أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ﴿ مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ "من "

الطبري ١٦ / ١٣٦، والواحدي : المصدر نفسه. ولا يمنع أن تكون هذه اللفظة جاءت موافقة للغات كثيرة إذا صح النقل ، والظاهر أن هذا اللفظ خارج عن سائر الحروف المقطعة فلا تحسب ضمنها، وهو الذي مال إليه الشوكاني : انظر : تفسيره : ٣ / ٣٥٦.

(١) في " ج " لفرط.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) ذكره المتقي بكنز العمال : رقم ١٧٩٩٤، وقال عزاه السيوطي : للنسائي وابن ماجه عن المغيره.
وأخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبوة : ١٨٥.
وأروده الزبيدي بالإتحاف : ٧ / ٤١٠ وعزاه للطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر.

(٤) في " ج " أنزلناء، بالهمزة، وهو خطأ.

تتعلق[1] بتنـــزيلا صلة له ﴿ ٱلْعُلَى ﴾ جمع العليا تأنيث الأعلـــى، ووصـــف السماوات بالعلى: دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها.

٥- ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ رفع على المدح، أي: هو الرحمن ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ استولى. عن الزجاج[2] ونبه بذكر العرش ــ وهــو أعظم المخلوقات ــ على غيره، وقيل : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير

---

(١) في " ج " يتعلق.

(٢) معاني القرآن : ٣ / ٣٥٠، قال بعد حكاية هذا المعنى : " والله أعلم. والذي يدل عليــه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء ". ونقل الواحــدي عــن الزجــاج أن الاستواء : الإقبال على الشئ ولا يصح في صفة الله ــ تعالى ــ إلا من هذا الوجه ومــا سواه باطل، نقله في الوسيط : ٣ / ٢٠٠ عن الزجاج في آية البقرة، و لم أجده في معانيه، ونقله الشوكاني ــ أيضا ــ في تفسيره : ٣ / ٣٥٧، والحق الذي ذهب إليــه الســلف الصالح أن الاستواء معلوم من لغة العرب، وكيفية استواء الخالق جل وعلا غير معلومــة كما ثبت معناه عن مالك رحمه الله. نثبتها على هذا الوجه اللائق به، لأننــا لم نعــرف كيفية الذات لنعرف كيفية الصفة، ومعنى استوى في لغة العرب، يأتي على معان أربعــة أشار أليها ابن القيم في نونيته، ونظمتها في الكفاية في العقيدة والمذاهب ص : ٤٩ بقــولي :

معنى استوى : علا استقر ارتفعا   وصــــعد، والجر بعد وقعا
ولام ــ أهل السنة ــ اللام التي   زيدت كنون حنطة في حطة
عشرون وجها تبطل استولى وفي   نونية الزرْعي ذكرهــــا يفي

ومذهب السلف هو الذي ذهب إليه أبو الحسن الأشعري، والمحققــون مــن متــأخري المفسرين.

وتفسير الاستواء بالاستيلاء محال، لأنه لا يكون إلا بعد عجز ومع منازع، وأين اســتواء الله ــ تعالى ــ من استواء بشر الذي يستدلون به لأدنى مناســبة ؟. انظــر : شــرح الطحاوية : ٣٧٢ ــ ٣٧٣، وتفسير الشوكاني : ٣ / ٣٥٧، وتفسير الآلوسـي : ١٦ / ١٥٤ وما بعدها

الملك مما [يردف][1] الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا[2] : استوى فلان[3] على العرش، أي : ملك وإن لم يقعد على السرير ألبتة، وهذا كقولك : يد فلان مبسوطة، أي : جواد وإن لم يكن له يد رأسا، والمذهب قول علي ـ رضي الله عنه ـ : الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ؛ لأنه تعالى كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان [4].

٦- ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ خبر ومبتدأ ومعطوف[5] ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي ذلك كله ملكه ﴿ وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ ما تحت السبع[6] الأرضين، أو : هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة [7].

---

(١) في الأصل : يردفع، وهو غير مفهوم، والمثبت من "ب " و " ج " والعبارة للزمخشري، وهي كالمثبت أيضا.

(٢) في " ج " فقال.

(٣) سقط لفظ " فلان " من " ج ".

(٤) هذا كلام الزمخشري بمعناه وأكثر ألفاظه، ولا يحتاج إليه، بل هو نوع آخر من التأويل الذي يفتح بابا آخر من التحريف، ومنه ولج الباطنية الذي يقولون في قوله تعالى : " اخلع نعليك " معناه : الاستغراق في خدمة الله تعالى من غير تصور نعل، ويفسرون نار إبراهيم بأنها عبارة عن تخليص إبراهيم فقط من غير أن يكون هناك نار ولا خطاب ألبتة. انظر : الكشاف : ٣ / ٥٠، وتفسير الألوسي : ١٦ / ١٥٥.

(٥) الخبر : " له " والمبتدأ : " ما في السموات " والمعطوف : " وما في الأرض ".

(٦) في غير الأصل : سبع. وكلاهما صواب.

(٧) المعنى أعم من ذلك، فكل ما تحت الثرى من كنوز الأرض وذهبها وبترولها وما تحت سبع الأرضين وما بينهما داخل في ذلك، قال الواحدي : " والمفسرون يقولون : أراد الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله ـ عز وجل ـ " الوسيط : ٣ / ٢٠١.

٧- ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ ترفع صوتك ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ ما أسررته إلى غيرك ﴿ وَأَخۡفَى ﴾ منه وهو ما أخطرته ببالك، أو ما[1] أسررته في نفسك، وما ستسره فيها.

٨- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ أي: هو واحد بذاته وإن افترقت عبارات صفاته، رد لقولهم : إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى، والحسنى: تأنيث الأحسن.

٩- ﴿ وَهَلۡ ﴾ أي: وقد ﴿ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ خبره، قفاه بقصة ـ موسى عليه السلام ـ ليتأسى[2] به فهي تحمل أعباء النبوة والصبر[3] على المكاره، لينال[4] الدرجة العليا، كما نالها موسى [عليه السلام] [5].

١٠- ﴿ إِذۡ رَءَا ﴾ ظرف لمضمر، أي: حين رأى ﴿ نَارٗا ﴾ كان كيت وكيت، أو مفعول به لـ "اذكر"، وروي : أن موسى ـ عليه السلام ـ استأذن شعيبا في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن[6] في ليلة مظلمة مثلجة، فقد[7] ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده، وقدح فصلد زنده[8] فرأى

---

(١) سقط من غير الأصل.

(٢) في " ج " ليتأسى.

(٣) في " ج " بالصبر.

(٤) في " ج " ولينال.

(٥) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٦) في " ج " بمن في الطريق.

(٧) في " ب " و " ج " وقد.

(٨) قدح في القدح (السهم قبل أن يراش) خرقه بأصل النصل، وصلد بالزند رام الإيراء به، والصلود : تصويت الزند من غير إيراء. والزند : العود الذي يقدح به النار. انظر : القاموس : (قدح) و (صلد) و (زند).

عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا[1] ﴿ فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ ﴾ أقيموا في مكانكم ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا ﴾ والإيناس رؤية شئ يؤنس به ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا ﴾ بنى الأمر على الرجاء ؛ لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به ﴿ بِقَبَسٍ ﴾ نار[2] مقتبسة[3] في رأس عود أو فتيلة ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ ذوي هدى، أو قوما يهدونني الطريق، ومعنى الاستعلاء في "على النار": أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها.

١١- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ أي: النار، وجد نارا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العناب، أو: العوسج[4] ولم يجد عندها أحدا، وروي : أنه كلما بعدت عنه، فإذا تركها قربت منه، فثم ﴿ نُودِيَ ﴾ موسى ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾.

١٢- ﴿ إِنِّيٓ ﴾ بكسرة[5] الهمزة أي : نودي فقيل : ياموسى إني، أو : لأن[6] النداء ضرب من القول فعومل معاملته، وبالفتح مكي وأبو عمرو، أي : نودي أني[7] [8] ﴿ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ أنا مبتدأ، أو تأكيد، أو فصل، وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة. روي : أنه لما نودي يا موسى قال : من المتكلم ؟ فقال الله عز و جل : أنا ربك، فعرف أنه كلام الله عز و جل بأنه سمعه من جميع

---

(١) أورده ابن جرير عن وهب بن منبه، انظر : تفسيره : ١٦ / ١٤٢.

(٢) في " ب " بنار.

(٣) سقط من " ج ".

(٤) العناب : ثمر معروف، والعوسج : شجر له شوك، القاموس : ١٥١ (عنب) و٢٥٤ (عسج).

(٥) في " ب " و " ج " بكسر.

(٦) في " ج " أو لأن.

(٧) في " ب " و " ج " بأني.

(٨) انظر : السبعة : ٤١٧، والإرشاد : ٤٣٢.

جهاته الست، وسمعه بجميع أعضائه(١) ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس، أو: لأنهما كانتا(٢) من جلد حمار ميت غير مدبوغ(٣)، أو لأن الحفوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين، والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها، فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ المطهر أو: المبارك ﴿ طُوًى ﴾ حيث كان منون شامي وكوفي، لأنه اسم علم للوادي وهو بدل منه، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة(٤)، وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين(٥).

١٣- ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾ اصطفيتك للنبوة، وأنا اخترناك: حمزة(٦) ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ إليك، للذي يوحى أو للوحي، واللام تتعلق(٧) بـ"استمع" أو بـ"اخترتك".

١٤- ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ وحدني وأطعني ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ لتذكرني فيها ؛ لاشتمال الصلاة على الأذكار، أو: لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو: لأن أذكرك بالمدح والثناء، أو: لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو: لتكون لي ذاكرا غير ناس، أو: لأوقات

---

(١) قال الآلوسي: " في صحة الخبر خفاء، ولم أر له سندا يعول عليه " روح المعاني: ١٦ / ١٦٨.

(٢) في " ج " لأنها كانت.

(٣) ورد في المستدرك: ٢ / ٣٧٩ مرفوعا بإسناد فيه حميد الأعرج الكوفي، وهو متروك كما نبه عليه الذهبي إثر تصحيح الحاكم.

(٤) ينظر: الموضح لابن أبي مريم: ٢ / ٨٣٠.

(٥) أبو زيد عن أبي عمرو، انظر: البحر المحيط: ٦ / ٢١٧.

(٦) بتشديد النون في " وأنا " ونون ممدودة على معنى التعظيم في اخترتك.انظر: السبعة: ٤١٧، والإرشاد: ٤٣٣.

(٧) في " ج " يتعلق، وفي " ب " مهمل، بلا نقط، كعادته فيما يحتمل الوجهين.

ذكري، وهي مواقيت الصلاة كقوله[1] : " إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)[2] وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف، أي : لذكر صلاتي، وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها.

١٥- ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ لا محالة ﴿ أَكَادُ ﴾ أريد عن الأخفش[3]، وقيل: صلة ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ قيل: هو من الأضداد، أي : أظهرها، أو : أسترها عن العباد، فلا أقول : هي آتية ؛ لإرادتي إخفاءها، ولولا ما في الأخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به[4] ﴿ لِتُجْزَىٰ ﴾ متعلق بآتية ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ بسعيها من خير وشر.

---

(١) في " ج " لقوله.

(٢) النساء : ١٠٣.

(٣) لم أجده في معاني القرآن له، وهذا المعنى ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز : ٣ / ٤٠، وابن الجوزي في تفسيره : ٥ / ٢٠٥، ولم ينسباه.

(٤) قال ابن عطية ـــ بعد أن ذكر قول من قال بأن " أخفيها " بمعنى : أظهرها ـــ : " هذا قول مختل " وقد ذكر الزمخشري ـــ وكان معاصرا له، لم يلقه ـــ ما يصحح مجيئة في لغة العرب فلا يكون مختلا من جهة اللغة، غير أن حمل الآية عليه هنا ضعيف لبعده عن الظاهر، والمعنى الذي ذكره المصنف آخر، هو قول الزمخشري ومختاره والأولى : حمل الإخفاء على معناه الحقيقي المعروف، وحمل " كاد " على معناها، وهو مقاربة الشيء، والمعنى : أن الله أبهم وقت الساعة حتى كاد يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها. وهو القول الذي اختاره ابن جزي بعد أن ساق الأقوال المتقدمة حيث قال : " وهذه الأقوال ضعيفة ". التسهيل : ٣ / ١١، وانظر : الكشاف : ٣ / ٥٤، والمحرر الوجيز : ٣ / ٤٠. وقيل : الوقف على " أكاد " : تام، ثم استأنف الإخبار.

١٦- ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ فلا يصرفنك عن العلم للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة، والخطاب لموسى والمراد به أمته ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ لا يصدق بها ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في مخالفة أمره ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ فتهلك.

١٧- ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ "ما" مبتدأ، و"تلك" خبره، وهي بمعنى هذه و"بيمينك "حال عمل فيها معنى الإشارة، أي : قارة، أو : مأخوذة بيمينك، أو: تلك موصول صلته بيمينك، والسؤال للتنبيه ليقع المعجز [1] بها بعد التثبت فيها[2] أو : للتوطين، لئلا يهوله انقلابها حية، أو : للإيناس ورفع الهيبة في المكالمة [3].

١٨- ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ﴾ أعتمد عليها إذا أعييت أو: وقفت على رأس القطيع، وعند الطفرة ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكله ﴿ وَلِىَ فِيهَا ﴾: حفص ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ [4] جمع مأربة بالحركات الثلاث،وهي الحاجة (أخرى) والقياس، أخر وإنما قال أخرى ردا إلى الجماعة، أو : لنسق الآي، وكذا" الكبرى "، ولما ذكر بعضها شكرا أجمل الباقي حياء من التطويل، أو: ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الإكرام، والمآرب الأخر : أنها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع، وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا[5] وتكونان شمعتين بالليل، وتحمل زاده، ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها، ويركزها فينبع الماء، فإذا رفعها

---

(١) في " ج " لتقع المعجزة.

(٢) ساقط من " ج ".

(٣) في " ج " للمكالمة.

(٤) في " ج " ولي فيها مآرب، ولي : حفص، جمع مأربه، وفيه تشويش وسقط.

(٥) في " ب " و " ج " دلوا. وما في الأصل له وجه.

نضب، وكانت تقيه الهوام[1] والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا، أو : لأنها جواب سؤال آخر ؛ كأنه[2] لما قال : هي عصاي قيل له ما تصنع بها ؟ فأخذ يعد[3] منافعها.

١٩- ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ اطرح عصاك لتفرق[4] مما تتكئ عليه فلا تسكن إلا بنا وترى كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب.

٢٠- ﴿ فَأَلْقَىٰهَا ﴾ فطرحها ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ تمشي سريعا، قيل: انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع[5] كل شيء خاف،وإنما وصفت بالحية ــ هنا ــ وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان،وهو الدقيق في غيرها: لأن الحية اسم جنس تقع[6] على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا، فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، و لأنها[7] كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. وقيل : كان بين لحييها[8] أربعون ذراعا.

---

(١) في بعض ما ذكره غرابة , منافع العصا كثيرة ولها مدخل في مواضع من الدين، كاتخاذها سترة في الصحراء والاعتماد عليها في الخطبة، والإشارة بها للحجر الأسود إن لم يستطع أن يقبله، وقد فصل في ذلك القرطبي في تفسيره : ١١ / ١٨٨. تفصيلا يفرح الباحث عن ذلك، ولأسامة بن منفذ كتاب في العصا (مطبوع).

(٢) في " ج " لأنه.

(٣) في " ب " بعد، و " ج " يعدد.

(٤) في " ج " لتفرغ.

(٥) في " ج " رآها تبتلع.

(٦) في " ب " بلا نقط، وفي " ج " بالياء.

(٧) في " ج " أو لأنها.

(٨) هذا من الأخبار التي يشبه أن تكون مما رواه كعب الأحبار، وذكره الواحدي في الوسيط : ٣ / ٢٠٤ بلا عزو.

٢١- ولما ﴿قَالَ﴾ له ربه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ سنردها ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ تأنيث الأول، والسيرة : الحالة التي يكون عليها الإنسان، غريزية كانت أو مكتسبة، وهي في الأصل : فعلة من السير كالركبة من الركوب، ثم استعملت بمعنى الحالة الطريقة وانتصبت على الظرف، أي : سنعيدها في طريقتها الأولى، أي : في حال ما كانت عصا، والمعنى : نردها عصا كما كانت، وأري ذلك موسى عند المخاطبة، لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون.

ثم نبه على آية أخرى، فقيل[1] :

٢٢- ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد وجناحي[2] الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه: جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما[3] عند الطيران، والمعنى: أدخلها تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس تعشي[4] البصر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ لنبوتك،، "بيضاء" و "آية" حالان معا، و"من غير سوء" "من"[5] صلة "بيضاء" كقولك: ابيضت من غير سوء، وجاز أن تنتصب[6] آية بفعل محذوف يتعلق به لام :

(١) في " ج " فقال.

(٢) في " ب " و " ج " وجناحا.

(٣) في " ج " زيادة أي يميلهما.

(٤) في " ج " يغشى.

(٥) سقط من " ج ".

(٦) في " ج " بالياء، وفي " ب " مهمل.

٢٣- ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ أي: خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية، لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى، أو : لنريك بهما[1] الكبرى من آياتنا[2]، أو : المعنى : فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى.

٢٤- ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ جاوز حدّ العبودية إلى دعوى الربوبية. ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كُلف أمراً عظيما يحتاج إلى صدر فسيح :

٢٥- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ وسعه ليتحمل الوحي والمشاق ورديء الأخلاق من فرعون وجنده.

٢٦- ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون، و"اشرح لي صدري " آكد من اشرح صدري ؛ لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل ؛ لأنه بقوله [3] : "اشرح لي ويسر لي" علم أن ثم[4] مشروحا وميسرا، ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر.

٢٧- ﴿ وَٱحْلُلْ ﴾ افتح ﴿ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾ وكان في لسانه رتة[5] للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه، وذلك لأن[6] موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره، فأراد قتله، قالت [7] آسية : أيها الملك إنه صغير لا يعقل، فجعلت في طست[8] نارا وفي

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) فتكون " الكبرى " على الوجه الأول ــ صفة وعلى الثاني مفعولا به.

(٣) في " ج " يقول.

(٤) في " ب " ثمة.

(٥) الرتة : بتشديد التاء : العجمية في الكلام. الصحاح (رتة).

(٦) في " ج " أن.

(٧) في " ج " فقالت.

(٨) في " ج " بالشين.

طست[1] يواقيت ووضعتها دلى موسى، فقصد اليواقيت، فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة، فوضعها على لسانه، فاحترق لسانه، فصار لكنة منها[2]. وروي أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ، ولما دعاه قال : إلى أي رب تدعوني ؟ قال : إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها [3].

"ومن لساني " : صفة لـ " عقدة "، كأنه قيل : عقدة من عقد لساني، وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكمالها، وأكثرهم على ذهاب جميعها.

٢٨- ﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾ عند تبليغ الرسالة.

٢٩- ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا ﴾ ظهيرا أعتمد عليه، من الوزر الثقل، لأنه يتحمل من [4] الملك أوزاره ومؤنه [5]، أو من الوزر الملجأ ؛ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره،أو معينا من الموازرة وهي المعاونة، فـ "وزيرا" مفعول أول لـ "اجعل" والثاني ﴿ مِّنْ أَهْلِى ﴾ أو : "لي وزيرا" مفعولاه.

٣٠- وقوله ﴿ هَٰرُونَ ﴾ عطف بيان للوزير [6] وقوله ﴿ أَخِى ﴾ بدل، أو : عطف بيان آخر، أو وزيرا[7] و"هارون " مفعولاه، وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة.

٣١- ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ قو به ظهري، وقيل : الأزر : القوة.

---

(١) في " ج " بالشين.

(٢) ذكر القصة : السمرقندي في بحر العلوم : ٢ / ٣٣٩، وأصل القصة في الحاكم من طريق وهب بن منبه. وانظر : السراج المنير : ٢ / ٤٥٩.

(٣) انظر : الكشاف : ٣ / ٥٩.

(٤) في " ج " عن.

(٥) في " ج " ومؤنته.

(٦) في " ج " لوزيرا.

(٧) في " ج " أو وزيرا. وهو خطأ.

٣٢- ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ اجعله شريكي في النبوة والرسالة، و "اشدد "[١] وأشركه على حكاية النفس شامي : على الجواب، والباقون على الدعاء والسؤال [٢].

٣٣- ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ ﴾ نصلي لك وننزهك تسبيحا ﴿ كَثِيرٗا ﴾ .

٣٤- ﴿ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ في الصلوات وخارجها.

٣٥- ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ عالما بأحوالنا. فأجابه الله تعالى حيث :

٣٦- ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أعطيت مسؤولك، فالسؤل : الطلبة، فعل بمعنى مفعول، كخبر بمعنى مخبور. سولك، بلا همز : أبو عمرو[٣].

٣٧- ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا ﴾ أنعمنا ﴿ عَلَيۡكَ مَرَّةً ﴾ كرة ﴿ أُخۡرَىٰٓ ﴾ قبل هذه، ثم فسرها فقال :

٣٨- ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ إلهاما، أو مناما حين ولدت، وكان فرعون يقتل أمثالك، و"إذ" ظرف لـ "مننا". ثم فسر "ما يوحى " بقوله :

٣٩- ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ ﴾ ألقيه ﴿ فِي ٱلتَّابُوتِ ﴾ و"أن"[٤] مفسرة، لأن الوحي بمعنى القول ﴿ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ النيل ﴿ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ الجانب، وسمي ساحلا لأن الماء يسحله أي : يقشره، والصيغة، أمر ليناسب ما تقدم، ومعناه: الإخبار، أي: يلقيه اليم بالساحل ﴿ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ ﴾

---

(١) في " ج " اشدد.

(٢) بفتح همزة " أشدد " وضم همزة " أشركه " عند الشامي، والباقون بضم الأولى على أنها همزة وصل، وفتح الثانية. انظر : الغاية : ٢ / ٥٦٨، والإرشاد : ٤٣٢.

(٣) أبو عمرو، من رواية السوسي عنه، كما هو معلوم من قاعدته في إبدال الهمز الساكن ما عدا كلمات مجزومات محصورة. انظر : التلخيص : ١٤٨، والتحبير : ٥٧.

(٤) في " ج " وإن، وهو خطأ.

يعني: فرعون، والضمائر كلها راجعة إلى موسى [ـ عليه السلام][1] ـ ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يفضي إلى تنافر النظم[2]، والمقذوف في البحر : الملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى [عليه السلام] [3] في جوف التابوت، روي : أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا[4]، فوضعته فيه وقيرته[5]، ثم ألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا[6] هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به، فأخرج، ففتح، فإذا صبي[7] أصبح الناس وجها، فأحبه فرعون حبا شديدا، فذلك قوله ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [8] يتعلق "مني" بـ ["ألقيت"][9]، يعني: إني أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب، فما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة : كانت[10] في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه[11] ﴿ وَلِتُصْنَعَ ﴾ معطوف على محذوف، تقديره : وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع ﴿ عَلَىٰ

---

(١) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٢) قال الزمخشري : " ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم " الكشاف : ٣ / ٦١، وفي ذلك نظر، لأن الضمير صالح، لأن يعود إلى الأقرب والأبعد، وعوده على الأقرب أولى، وهذا وغيره اعتراض ابو حيان، انظر : البحر : ٦ / ٢٤١، والدر المصون : ٨ / ٣٥.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ب ".

(٤) مندوفا، اللسان : ٢ / ٢٣٩ (حلج).

(٥) قير الشئ : طلاه بالقار، القاموس : ٦٠١ (قير).

(٦) في " ب " وبينا، وفي " ج " فبينما.

(٧) في " ج " بصبي.

(٨) ذكر القصة عن المفسرين : ابن الجوزي في تفسيره : ٢ / ٢١١.

(٩) في الأصل بالقية، وهو خطأ في الرسم، والصواب : المثبت.

(١٠) في " ج " كان.

(١١) ذكره عنه الواحدي في الوسيط : ٣ / ٢٠٦، وابن الجوزي في الزاد : ٥ / ٢١١.

عَيۡنِيٓ ﴾ أي: لتربى بمرأى مني، وأصله : من صنع الفرس، أي : أحسن القيام عليه، يعني : أنا مراعيك [وراقبك](1) كما يراعي الرجل الشئ بعينه إذا اعتنى به، و" لتصنع " بسكون اللام والجزم يزيد على أنه أمر (2).

٤٠- ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ ﴾ بدل من إذ أوحينا، لأن مشي أخته كان منة عليه ﴿ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴾ روي: أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره، فصادفتهم يطلبون به مرضعة يقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدي امرأة، فقالت : هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه ؟ وأرادت بذلك المرضعة (3) (4). وتذكير الفعل للفظ "من"، فقالوا : نعم، فجاءت بالأم، فقبل ثديها، فذلك (5) قوله ﴿ فَرَجَعۡنَٰكَ ﴾ فرددناك ﴿ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ كما وعدناها بقولنا (إنا رادوه إليك) ﴿ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا ﴾ لمقامك ﴿ وَلَا تَحۡزَنَۚ ﴾ على فراقك ﴿ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا ﴾ قبطيا كافرا(6) ﴿ فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ ﴾ من القود. قيل الغم : القتل بلغة قريش.(7) وقيل : اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله (8) ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله له(9) باستغفاره

---

(١) في الأصل : وراغبك، وليس له وجه، والمثبت من " ب ". رقبه : حرسه : القاموس ١١٦ (رقب) وفي " ج " ومراقبك.

(٢) أبو جعفر : انظر : الإرشاد : ٤٣٤، والكامل : ٧ ٢١.

(٣) في " ج " زيادة الأم.

(٤) ينظر : الوسيط : ٣ / ٢٠٦، والكشاف : ٣ / ٤٦٢.

(٥) في " ج " وذلك.

(٦) هو الذي وكزه فقضى، كما سيأتي في سورة القصص، آية (١٥).

(٧) حكاه ابن جرير عن مجاهد، انظر : تفسيره : ١٦ / ١٦٤.

(٨) في " ج " تعالى.

(٩) سقط من " ب "

حين[1] (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي) ونجاه من فرعون بأن ذهب[2] به[3] من مصر إلى مدين ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ابتليناك ابتلاء بإيقاعك في المحن وتخليصك منها،والفتون مصدر كالقعود، أو : جمع فتنة، أي : فتناك ضروبا من الفتن، والفتنة المحنة، وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ هي بلدة شعيب عليه السلام على ثماني[4] مراحل من مصر، قال وهب: لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر، منها مهر لصفوراء ' وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد[5] ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ أي: موعد ومقدار للرسالة. وهو أربعون سنة [6].

٤١- ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على إرادتي ومحبتي، قال الزجاج : اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم[7].

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ب " ذهبت، وله وجه.

(٣) ساقط من " ب ".

(٤) في " ج " ثمان، وهو لغة.

(٥) زاد المسير : ٥ / ٢١٣، وفي قول ابن عباس ومقاتل : كان مكثه عشر سنين.

(٦) أخرج البخاري في صحيحه، باب هجرة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من كتاب مناقب الأنصار من حيث ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ " بعث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لأربعين سنه.. " وانظر : هذا القول في الوسيط : ٣ / ٢٠٧، وزاد المسير : ٥ / ٢١٢ , وعزاه للأكثرين.

(٧) لم أجده في معانيه، ونسبه إليه الواحدي في الوسيط : ٣ / ٢٠٧.

٤٢- ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي ﴾ بمعجزاتي ﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ تفترا[١] من الوني وهو الفتور والتقصير ﴿ فِي ذِكۡرِي ﴾ أي: اتخذا ذكري جناحا تطيران به، أو : أريد بالذكر تبليغ الرسالة، فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها.

٤٣- ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ﴾ كرر ؛ لأن الأول مطلق، والثاني مقيد ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ جاوز الحد بإدعاء[٢] الربوبية.

٤٤- ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى، أو كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث، أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرة، أو: عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت، أو: هو قوله: "هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى " فظاهره الاستفهام والمشورة[٣] ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ أي يتعظ ويتأمل فيذعن للحق ﴿ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ أي: يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة، وإنما قال لعله يتذكر مع علمه أنه لا يتذكر، لأن الترجي لهما، أي : اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله [٤] وجدوى إرسالهما

---

(١) كتبت في الأصل تفترى، والصواب : المثبت.

(٢) في " ج " بادعائه.

(٣) هذا هو القول الذي لا يعدل عنه، لأن معنى الخطاب واللين فيه ظاهر، ولأنه قرآن وهو خير ما يفسر به القرآن، ولأنه في صميم الأمر الذي بعثا من أجله، وليس في القولين السابقين شئ من ذلك. والله أعلم. وقد روي هذا القول الأخير عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، انظر : زاد المسير : ٥ / ٢١٣.

(٤) في " ب " علمه.

إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة، وقيل : معناه : لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش، وقد كان ذلك من كثير من الناس، وقيل: لعل من الله[1] -تعالى- واجب[2] وقد تذكر، ولكن حين لم ينفعه التذكر، وقيل : تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان، وكان لا يقطع أمرا دونه. وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى، وقال : هذا رفقك بمن يقول : أنا إله فكيف بمن قال أنت الإله[3] ؟ أو : هذا[4] رفقك بمن قال : أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال : سبحان ربي الأعلى؟

٤٥- ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ يعجل علينا بالعقوبة، ومنه الفارط، يقال : فرط عليه أي عجل[5] ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أي: حافظكما وناصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالكم[6] ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكم[7]، قال ابن عباس -[رضي الله عنهما][8]: "أسمع دعاءكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فأمنع، لست بغافل عنكما فلا تهتما.[9]

(١) في " ب " زيادة تعالى.

(٢) القرطبي : ١١ / ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) في " ج " وهذا. وهو الأقرب.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٨٠، وغريب القرآن لليزيدي : ٢٤٦.

(٦) في " ج " أقوالكما.

(٧) في " ج " أفعالكما.

(٨) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٩) أورده في البحر المحيط : ٦ / ٢٣١، ولم يعزوه إليه.

٤٧- ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾ أي: فرعون ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ إليك ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: أطلقهم[1] عن الاستعباد والاسترقاق ﴿ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ بتكليف المشاق ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ ﴾ بحجة[2] ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ على صدق ما ادعينا[3] وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي " إنا رسولا ربك " مجرى البيان والتفسير[4] لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها، وهي المجئ بالآية، فقال فرعون : وما هي ؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أي: سلم من العذاب من أسلم، وليس بتحية[5] وقيل : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين.

٤٨- ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ ﴾ بالرسل ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان، وهي أرجى آي القرآن[6] ؛

---

(١) في " ب " أطلقهما. وهو خطأ.

(٢) في " ج " (بآية من ربك) بحجة على صدق.

(٣) في " ج " ادعيناه.

(٤) في " ج " والتفسير والتفصيل.

(٥) معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٣٥٨.

(٦) انظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٣٣، حكاه عن ابن عباس، واستدل بها : المرجئة على أن أصحاب الكبيرة غير معذبين، وأجيب بأنه لا يصح الاستدلال بها إلا إذا كان المراد بالعذاب حقيقته، أو جميع أنواعه، فتكون اللام للجنس أو : للاستغراق. والأمر ليس كذلك ؛ لأن اللام للعهد المفهوم، أي : العذاب المستمر، مثلا.
هذا فحوى ما أورده وأجاب به الألوسي، عليه الرحمة، انظر : تفسيره : ١٦ / ١٩٩.
وقد يجاب : بأن آية الوعيد هذه تضم إلى النصوص الأخرى الواردة في تعذيبهم، كما يضم المستثنى والمستثنى منه، فلا يؤخذ الحكم من آية واحدة، ووجه استدلال المرجئة بالآية أن مرتكب الكبيرة غير مكذب، والآية تفيد أن العذاب مصير المكذب المتولي

لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكـــذب، وليـــس وراء الجنس شئ، فأتياه وأديا الرسالة، وقالا له ما أمرا به.

٤٩- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ خاطبهما،ثم نادى أحدهما ؛ لأن موســى هوالأصل في النبوة وهارون تابعه.

٥٠- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ "خلقه" أول مفعــولي أعطى، أي: أعطى خليقته كل شئ يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو : ثانيـــهما أي: أعطى كل شيئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطـى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكـــذا الأنف، والرجل، واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها، وقرأ نصـير : "خلقه "[1] صفة للمضاف، أو : للمضاف إليه، أي : أعطى كل شيئ مخلـــوق عطاء ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ عرف كيف يرتفق بما أعطـــى للمعيشـــة في الدنيـا والسعادة في العقبى.

٥١- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ فما حال الأمم الخالية والر مم البالية، سأله عن حال من تقدم من القرون، وعن شقاء من شقي منهم وســعادة مـــن سعد.

٥٢- ﴿قَالَ﴾ موسى مجيبا ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ مبتدأ وخــبر ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ أي اللوح، خبر ثان، أي : هذا سؤال عن الغيب، وقد استأثر الله به لا يعلمــه إلا هو، وما أنا إلا عبد[2] لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلـــم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفــوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ أي :

فقط، وليس الأمر كما ذكروا فإن حكم الله ﷻ يؤخذ من مجموع النصوص، ولو أخـــذ من آية واحدة لكان الويل متحققا للمصلين.

(١) ذكرها في الكامل (٢١٧) عنه وعن آخرين.

(٢) في " ج " زيادة " مثلك ".

لا يخطئ شيئا، يقال: ضللت الشئ إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد لـه، أي : لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ ثوابهم وعقابهم، وقيل : لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه.[1]

٥٣- ﴿ ٱلَّذِى ﴾ مرفوع صفة لربي، أو : خبر مبتدأ محذوف، أو : منصوب على المدح ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ كوفي، وغيرهم مهادا، وهما لغتان لما يبسط ويفرش [2] ﴿ وَسَلَكَ ﴾ أي: حصل[3] ﴿ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طرقا ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أي: مطرا[4] ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ ﴾ بالماء. نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاوع للافتنان، وقيل : تم كلام موسى، ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله : (فأخرجنا به)، وقيل : هذا كلام موسى أي: فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس[5] ﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافا ﴿ مِّن نَّبَاتٍ ﴾ هو مصدر سمي به [النابت][6] فاستوى فيه الواحد والجمع ﴿ شَتَّىٰ ﴾ صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى، أي: إنها مختلفة النفع والطعم[7] واللون والرائحة والشكل، بعضها للناس وبعضها للبهائم.

---

(١) ذكر القرطبي في معناه خمسة أقوال. انظر : تفسيره الجامع : ١١ / ٢٠٨، وكذلك الرازي : ٢٢ / ٦٧.

(٢) انظر : الإرشاد : ٤٣٣ ــ ٤٣٤، والتحبير : ١٤٣.

(٣) في " ج " جعل.

(٤) في " ج " أي مطر.

(٥) انظر : تفسير الرازي : ٢٢ / ٦٨.

(٦) المثبت من " ب " و " ج " وفي الأصل، (عن نابت) ولم أفهمه.

(٧) سقط من " ج ".

ومن نعمته [1] تعالى : أن أرزاقنا تحصل بعمل الأنعام، وقد جعل الله تعالى [2] علفها مما يفضل عن حاجتنا ما[3] لا يقدر على أكله قائلين :

٥٤- ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ ﴾ حال من الضمير في فـ "أخرجنا"، والمعنى: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ في الذي ذكرت ﴿ لَأٓيَٰتٖ ﴾ لدلالات ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول، واحدها: نهية ؛ لأنها تنهى عن المحظور، أو، ينتهى إليها في الأمور.

٥٥- ﴿ مِنۡهَا ﴾ من الأرض ﴿ خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ أي: أباكم آدم -عليه السلام- وقيل: يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا[4]. أو : لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ إذا متم فدفنتم ﴿ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ ﴾ عند البعث ﴿ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ مرة[5] أخرى، والمراد بإخراجهم : أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء، ويخرجهم إلى المحشر، عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي عنه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا، وهي كفاتهم[6] إذا ماتوا.

---

(١) في " ج " نعمة الله.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) في " ج " مما.

(٤) الكشاف : ٣ / ٦٧.

(٥) سقط من " ج ".

(٦) في " ج " أكفاتهم.

٥٦- ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ﴾ أي: فرعون ﴿ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا ﴾ وهي تسع آيات: العصا، واليد، وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع،والدم، ونتق الجبل(١) ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ الآيات ﴿ وَأَبَىٰ ﴾ قبول الحق.

٥٧- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ مصر ﴿ بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ فيه دليل: على أنه خاف منه خوفا شديدا، وقوله " بسحرك " تعلل، وإلا فأي ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه.

٥٨- ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ فلنعارضنك بسحر مثل سحرك ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ هو مصدر بمعنى الوعد، ويقدر مضاف، أي: مكان موعد، والضمير في ﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ ﴾ للموعد، قرأ يزيد : بالجزم على جواب الأمر(٢) وغيره : بالرفع، على الوصف للموعد ﴿ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا ﴾ هو بدل من المكان المحذوف، ويجوز أن لا يقدر مضاف، ويكون المعنى: اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه، وانتصب "مكانا" بالمصدر، أو : بفعل يدل عليه المصدر ﴿ سُوًى ﴾ بالكسر : حجازي وأبو عمرو وعلي، وغيرهم بالضم(٣) وهو نعت لمكانا أي(٤) : منصفا بيننا وبينك، وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية.

٥٩- ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ مبتدأ وخبر، وهو يوم عيد كان لهم، أو يوم النيروز(٥) (٦)، أو يوم

---

(١) راجع تفسير الآية (١٠١) من سورة الإسراء.

(٢) انظر : الإرشاد : ٤٣٤، والتحبير : ١٤٣.

(٣) المصدرين نفسهما.

(٤) في " ب " أو، وهو خطأ.

(٥) في " ب " نيروز.

(٦) أول يوم من السنة، القاموس : ٦٧٧، (نرز).

عاشوراء[1]. وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة، فبذكر الزمان علم المكان، وعلى الثاني تقديره : وعدكم وعد يوم الزينة ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي : يجمع[2] في موضع رفع أو جر عطفا على "يوم" أو "الزينة" ﴿ ضُحًى ﴾ أي : وقت الضحوة، لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق، وليشيع في جميع أهل الوبر والمدر[3].

٦٠- ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ أدبر عن موسى معرضا ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾ مكره وسحرته، وكانوا اثنين[4] وسبعين، أو أربعمائة، أو سبعين ألفا ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ للموعد.

٦١- ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾ أي: للسحرة ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا ﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾ كوفي غير أبي بكر: يهلككم، وغيرهم بفتح الياء والحاء[5] [6]، والسحت والإسحات : بمعنى الإعدام، وانتصب على جواب النهي ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ عظيم ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ من كذب على الله.

٦٢- ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ ﴾ اختلفوا، أي: السحرة، فقال بعضهم : هو ساحر مثلنا، وقال بعضهم : ليس هذا بكلام السحرة أي : لا تفتروا على الله كذبا، الآية ﴿

---

(١) هو قول سعيد بن جبير وإلا هو قول : مجاهد وقتادة والسري، انظر : الوسيط : ٣ / ٢١٠.

(٢) في " ب " و " ج " تجمع.

(٣) الوبر : صوف الإبل ، والمراد بالكلميتن أهل البادية والحاضرة . مختار القاموس : ٥٦٩ و ٦٤٦ .

(٤) في " ج " اثنين، وهو خطأ.

(٥) في " ج " وبفتح الياء والحاء غيرهم.

(٦) انظر : السبعة : ٤١٩، والإرشاد : ٤٣٤.

أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: تشاوروا في السر، وقالوا : إن كان ساحرا فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر، والنجوى : يكون مصدرا واسما.

ثم لفقوا هذا الكلام يعني :

٦٣- ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يعني: موسى وهارون، قرأ أبو عمرو: إن هذين لساحران[1] وهو ظاهر، ولكنه مخالف للإمام وابن كثير وحفص والخليل، وهو أعرف بالنحو واللغة، إن هذان لساحران بتخفيف إن مثل قولك: إن زيد لمنطلق، واللام : هي الفارقة بين "إن" النافية المخففة من الثقيلة، وقيل : هي بمعنى ما، واللام : بمعنى إلا، أي : ما هذان إلا ساحران، دليله : قراءة أبي إن ذان إلا ساحران، وغيرهم إن هذان لساحران، قيل : هي لغة بني حارث[2] [3] بن كعب ومراد وكنانة، فالتثنية في لغتهم بالألف أبدا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال :

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها[4]

وقال الزجاج : "إن" بمعنى : نعم، قال الشاعر :

---

(١) في هذا اللفظ : أربع قراءات :
قراءة بتخفيف " إن " وتشديد نون " هذان " وألف قبلها، وهي قراءة ابن كثير.
وقراءة بتشديد النون، وياء بعد الذال ونون مخففة، وهي قراءة أبي عمرو.
وقراءة بتخفيف " إن " وتخفيف النون من " هذان " قبلها ألف، وهي قراءة حفص.
وقراءة باقي العشرة، كحفص، غير أنهم يشددون نون " إن ". وفيها الإشكال الذي عالجه المصنف بعد.انظر : النشر : ٢ / ٣٢٠ ـ ٣٢١، والاتحاف : ٢ / ٣٤٨ ـ ٢٤٩.

(٢) في " ب " و " ج " بلحارث.

(٣) بلحارث بن كعب بن عمرو من كهلان بن سبأ، من نواحي نجران , نهاية الأرب : ٥٨.

(٤) من الرجز، قيل : لأبي النجم، وقيل لرؤبة، وقيل : لغيرهما، انظر : المقاصد النحوية : ١ / ١٣٣، والخزانة ٣ / ١٩٩.

ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت وقلت[1] إنه[2]

أي: نعم، والهاء للوقف، وهذان مبتدأ، وساحران خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره: هذان لهما ساحران، فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء، وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال:

خالي لأنت ومن جرير خاله[3] ....

قال: وعرضته[4] على المبرد فرضيه، وقد زيفه أبو علي[5] ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ الفضلى، تأنيث الأمثل وهو الأفضل.

---

(١) في " ب " و " ج " فقلت.

(٢) من مجزوء الكامل، قائله: عبد الله بن قيس الرقيات: ٦٦، وهو في شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٧٣، ١٨٧.

(٣) صدر بيت من الكامل، لم أجده معزوا، استشهد به الأشموني في شرحه على الألفية: ١ / ٢١٣، وابن عقيل في شرحه: ١ / ١٤٠، وعجز البيت:

نيل العلاء ويكرم الأخوالا ....

والفعلان في البيت مجزومان.

(٤) في " ج " فعرضته.

(٥) انظر الحجة لأبي علي: ٥ / ٢٣٠، ومعاني الزجاج: ٣ / ٣٦٣، والمحرر الوجيز: ٤ / ٥٠، ومغني اللبيب: ١ / ٣٨، والشرح الرائد لكتاب نظم الفوائد لمهلب حسن بركات ص: ٣٥، وتوجيل المشكل: ٣٣٢.وقد ذكر المصنف أربعة أوجه لرفع الإشكال عن قراءة الجمهور، وللإمام ابن تيمية رسالة فيها، ضمن الفتاوى ١٥ / ٢٤٨، وقد جمعت في توجيهها أحد عشر قولا، في مشكل القراءات ص ٣٣١، وما بعدها، وعلى بعضها اعتراضات، فأكتفى بالإحالة عليها مفصلة، لأن المقام مقام تفصيل ومناقشة وترجيح لا يحسن فيه الإيجاز، ومقام التحقيق يطلب فيه الإيجاز في مقصوده، وتكفي الإشارة والإحالة إلى نظيره.

٦٤- ﴿ فَأَجۡمِعُواْ ﴾ فأحكموا، أي: اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا، "فاجمعوا" أبو عمرو[١] ويعضده بجمع كيده ﴿ كَيۡدَكُمۡ ﴾ هو ما يكاد به ﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ ﴾ مصطفين حال، أمروا بأن يأتوا صفا ؛ لأنه أهيب في صدور الرائين ﴿ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾ وقد فاز من غلب، وهو اعتراض.

٦٤- ﴿ قَالُواْ ﴾ أي: السحرة ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ ﴾ عصاك أولا ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾ ما معنا، وموضع "أن" مع ما بعده فيهما : نصب بفعل مضمر، أو: رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه : اختر أحد الأمرين، أو : الأمر إلقاؤك، أو : إلقاؤنا، وهذا التخيير منهم استعمال[٢] أدب حسن معه، وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصل[٣] إليهم بركته. وعلم موسى [عليه السلام][٤] اختيار إلقائهم أولا حتى :

ولبعضهم في نظم كثير من وجوهها المحتملة :

وإن هذان لساحران	قيل :اسم " إن " ذي : ضمير لشان
واللام إذ ذاك على"هما"دخل	مبتدأ، خبره ما بعد حل
لأنه ألف " هذا " وألف	تثنية حذف، منعه عرف
أو: اسمها : "هذان لكن يلزم	ألفه كما تقول خثعم
أو : " إن " ذي نافية واللام	كمثل إلا، قاله الأعلام
أو : اسمها هذان لما دلا	على الإشارة بنوه أصلا

(١) بوصل الهمزة وفتح الميم، انظر : السبعة : ٤١٩، والإرشاد : ٤٣٥.

(٢) في " ب " استعماله.

(٣) في " ب " وصل.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ب ".

٦٦- ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ ﴾ أنتم أولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر، فيظهر[1] الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويسلط المعجزة على السحر ويمحقه، فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين، فألقوا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ ﴾ يقال في "إذا" هذه : إذا المفاجأة[2]، والتحقيق : أنها إذا الكائنة لمعنى[3] الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها، وخصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة، والجملة : ابتدائية، لا غير، والتقدير : ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم، والمعنى : على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيله إليه السعي ﴿ يُخَيَّلُ ﴾ وبالتاء : ابن ذكوان[4] ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ إلى موسى ﴿ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴾ رفع بدل اشتمال من الضمير في "يخيل "، أي : يخيل الملقى، روي: أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك[5].

٦٧- ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ أضمر في نفسه خوفا ظنا منه أنها تقصده للجبلة البشرية، أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه.[6]

٦٨- ﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ الغالب : القاهر، وفي ذكر "إن" و"أنت" وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة : مبالغة بينة.

---

(١) في " ب " و " ج " ويظهر.

(٢) في " ب " فيمحقه.

(٣) في " ج " بمعنى.

(٤) وحكي عنه الخلاف من رواية الأخفش عنه ، والصحيح أنه لا خلاف في قراءته بالتاء : ٣٢٨ ، والنشر : ٢ / ٣٢١ .

(٥) الكشاف : ٣ / ٧١، و تفسير الرازي : ٢٢ / ٨٣.

(٦) انظر : الكشاف : ٣ / ٧٢، وذكر الرازي خمسة تخريجات لهذا الخوف، والمعنى الأول هو المتبادر، وأنه خوف بمقتضى الجبلة كما خاف من عصاه أول مرة، ولذلك قال الله له : " لا تخف أنك أنت الأعلى " ولم يقل : إنه لن يخالجهم شك.

٦٩- ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ﴾ بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف : حفص. "تلقف"[(١)] ابن ذكوان. الباقون : تلقف[(٢)] ﴿ مَا صَنَعُوٓا۟ ﴾ زوروا وافتعلوا، أي : اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم و لم يقل : عصاك تعظيما لها، أي : لا تحتفل بما صنعوا فإن ما يمينك أعظم منها، أو تحقيرا، أي : لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد[(٣)] الفرد الذي في يمينك، فإنه بقدرة ربك يتلقفها على وجدته[(٤)] وكثرتها ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ﴾ كوفي غير عاصم[(٥)] سحر بمعنى : ذي سحر، أو : ذوي سحر، أو : هم لتوغلهم في سحرهم[(٦)] كأنهم السحر، وكيد بالرفع على القراءتين، و "ما" موصولة : أو مصدرية ــ وإنما وحد ساحر[(٧)] ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية، لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ ﴾ أي: هذا الجنس ﴿ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ أينما كان، فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا.

فلعظم ما رأوا من الآية ودفعوا[(٨)] إلى السجود، فلذلك قوله :

٧٠- ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم

---

(١) في " ج " وتلقف.

(٢) غير أن البزي يقرأ بتشديد التاء. انظر : التحبير : ١٤٣، والإتحاف : ٢ / ٢٥٠ ــ ٢٥١.

(٣) تصغير عود.

(٤) في " ب " و " ج " وجدته، أي العويد.

(٥) انظر : التحبير : ١٤٣ .

(٦) في " ج " السحر.

(٧) في الأصل صاحب. والمثبت : الصواب.

(٨) في " ج " وقعوا.

"ألقوا"[1]. فما أعجب أمرهم !! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقـــوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقـــاءين، روي: أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود، فرفعوا رؤوسهم، ثم ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[2] وإنما قدم هارون ـــ هنا ـــ وأخر في " الشـــعراء "[3] محافظة للفاصلة ؛ ولأن الواو لا توجب ترتيبا.

٧١- ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ ﴾ بغير مد : حفص، وبهمزة ممـــدودة : بصـــري وشـــامي وحجازي، وبهمزتين : غيرهم[4] ﴿ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي لموســـى، يقال: آمن له وآمن بـــه ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ لعظيمكم، أي : لمعلمكم، يقول[5] أهل مكة للمعلم : أمـــرني كبـــيري[6] ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ القطع من خــلاف : أن تقطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى، لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخـــر بأن هذا يد وذلك[7] رجل، وهذا يمين وذاك شمال، و"من" لابتداء الغايـــة، لأن

---

(١) لم أجده في كتابه المعاني في جميع مظانه، والكلام الذي بعده للزمخشري : الكشـــاف : ٣ / ٧٣. وذكره السمرقندي عنه في تفسيره : ٢ / ٣٤٩ ، وهو بنحوه غير منســـوب في البحر : ٦ / ٢٤٣ .

(٢) عزاه في الكشاف : ٣ / ٧٤ إلى عكرمة.

(٣) في قوله تعالى : (رب موسى وهارون) [٤٨].

(٤) انظر : الاتحاف : ٢ / ٢٥١.

(٥) في " ج " تقول، وله وجه.

(٦) انظر : الكشاف : ٣ / ٧٤.

(٧) في " ب " فذاك، وفي " ج " وذاك.

القطع مبتدأ، وناشئ من مخالفة العضو[1] العضو، ومحل الجار والمجرور : النصب على الحال، أي : لأقطعنها مختلفات، لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف، شبه تمكن المسلوب[2] في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلذا[3] قال: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ وخص النخل لطول جذوعها ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا ﴾ أنا على إيمانكم[4] به[5] أو: رب موسى على ترك الإيمان به[6]؛ وقيل: يريد نفسه لعنه الله، وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله : آمنتم له، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله، كقوله : " يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين "[7] ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ أدوم.

٧٢- ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ لن نختارك ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ القاطعة الدالة على صدق موسى ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ عطف على "ما جاءنا"، أي: لن نختارك على الذي جاءنا، ولا على الذي خلقنا، أو قسم، وجوابه: "لن نؤثرك" مقدم على القسم ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ فاصنع ما أنت صانع من القطع[8] والصلب قال :

وعليهما مسرودتان قضاهما[9] ....

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ب " و " ج " المصلوب.

(٣) في " ج " فلهذا.

(٤) في " ج " على ترك إيمانكم.

(٥) في " ج " بي.

(٦) سقط من " ب ".

(٧) التوبة : ٦١.

(٨) في " ج " القتل.

(٩) صدر بيت من الكامل، عجزه : داود، أو صنع السوابغ تبع.
ذكره في اللسان معزوا إلى أبي ذؤيب. لسان العرب : ١٥ : ١٨٦، (قضى).

أي : صنعهما، أو : احكم ما أنت حاكم ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أي : في هذه الحيوة [(١)] فانتصبت[(٢)] على الظرف أي : إنما تحكم فينا مدة حياتنا.

٧٣- ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ ﴾ "ما" موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا ﴿ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ حال من "ما"، روي : أنهم قالوا لفرعون : أرنا موسى نائماً، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا : ماهو بسحر، الساحر إذا نام بطل سحره، فكرهوا معارضته خوف الفضيحة، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر.[(٣)] انظر: كيف نفعهم علمهم بالسحر، وضرّ فرعون جهله به[(٤)] فكيف بعلم الشرع ؟ ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ ثواباً لمن أطاعه ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ عقاباً لمن عصاه، وهو رد لقول فرعون : "ولتعلمن أينا أشدُّ عذاباً وأبقى ".

٧٤- ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ هو ضمير الشأن ﴿ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ﴾ كافراً ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ ﴾ للمجرم ﴿ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح بالموت ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة ينتفع بها.

٧٥- ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾ مات على إيمانه[(٥)] ﴿ قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بعد الإيمان ﴿ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ جمع العليا.

---

(١) في " ج " الحياة الدنيا.

(٢) في " ج " فانتصب.

(٣) اقتصر عليه في الكشاف : ٣ / ٧٤، مع هذا التعليل، وهو المتبادر لأنه يريد أن يتبجح باقتداره وقهره وتعذيبه، ويضع من شأن موسى ـــ عليه السلام ـــ وانظر : السراج المنير : ٢ / ٤٧٣.

(٤) في " ج " وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر.

(٥) في " ج " الإيمان.

٧٦- ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ بدل من "الدرجات" ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ دائمين فيها [1] ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهر من الشرك بقوله : لا إله إلا الله، قيل : هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم، وقيل : خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية، وهو أظهر.

٧٧- ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي ﴾ لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلاً ويأخذ بهم من طريق البحر ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ أي [2] : اجعل لهم، من قولهم: ضربَ له في ماله سهماً ﴿ يَبَسٗا ﴾ أي: يابساً، وهو مصدر وصف به، يقال يَبَس يُبساً ويَبَساً ﴿ لَّا تَخَٰفُ ﴾ حال من الضمير في "فاضرب"، أي: اضرب لهم طريقاً غير خائف. "لا تخف": حمزة[3] على الجواب ﴿ دَرَكٗا ﴾ هو اسم من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ﴿ وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ الغرق، وعلى قراءة حمزة ولا تخشى : استئناف، أي : وأنت لا تخشى، أو : يكون الألف للإطلاق،كما في : " وتظنون بالله الظنونا "[4] فخرج بهم موسى من أول الليل، وكانوا سبعين ألفا، وقد استعاروا حليهم، فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط[5] فقص أثرهم فذلك قوله :

٧٨- ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ ﴾ هو حال، أي : خرج خلفهم ومعه جنوده ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ ﴾ أصابهم من البحر ﴿ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ هو من جوامع

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) سقط من " ج ".

(٣) انظر : إرشاد المبتدئ : ٤٣٧، والمهذب في القراءات العشر : ٢ / ٢٥.

(٤) الأحزاب : (١٠).

(٥) بكسر القاف : أهل مصر، وإليهم تنسب الثياب القبطية (بالضم على غير قياس) وقد تكسر، القاموس : ٨٨٠ (قبط).

الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي : غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله عز و جل.

٧٩- ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾ عن سبيل الرشاد ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ وما أرشدهم إلى الحق والسداد، وهذا رد لقوله : (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد). ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله:

٨٠- ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي، وقلنا: يا بني إسرائيل ﴿ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ أي: فرعون ﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ ﴾ بإيتاء الكتاب ﴿ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾ وذلك أن الله تعالى[1] وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة، وإنما نسب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم، و"الأيمن" نصب، لأنه صفة جانب، وقرئ : بالجر على الجوار[2] ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ في التيه، وقلنا لكم :

٨١- ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ حلالات ﴿ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوني غير عاصم[3] ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ ولا تتعدوا حدود الله بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي، أو : لا يظلم بعضكم بعضا ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴾ عقوبتي يسقط من جبل فيهلك، فتحقيقه[4] : سقط من

---

(١) في " ج " عز وجل.

(٢) انظر البحر المحيط : ٦ / ٢٤٦ .

(٣) انظر : التحبير : ١٤٤، والإتحاف : ٢ / ٢٥٣.

(٤) في " ب " و " ج " وتحقيقه.

شرف[1] الإيمان إلى حفر [2] النيران، قرأ علي فيحـــل ويحلـــل، والبـــاقون : بكسرهما [3] . فالمكسور: في معنى الوجوب من حل الدين يحـــل إذا وجـــب أداه[4]" والمضموم في معنى النـــزول.

٨٢- ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ عن الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ وحـــد الله تعـــالى وصدقه فيما أنـــزل ﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾ أدى الفرائض ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ثم استقام وثبت على الهدى المذكور، وهو التوبة، الإيمان، والعمل الصالح.

٨٣- ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ ﴾ وأي[5] شيئ عجل بك ؟ ﴿ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ أي: عن السبعين الذين اختارهم، وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعـــد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه، فقال الله ــ تعـــالى ــ : وما "أعجلك"أي شئ أوجب عجلتك ؟ استفهام إنكار و "ما" مبتـــدأ، و "أعجلك " الخبر.

٨٤- ﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ أي : هم خلفي يلحقون بي وليس بيـــني وبينهم إلا مسافة يسيرة، ثم ذكر موجب العجلة فقـــال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ ﴾ أي: إلى الموعد الذي وعدت ﴿ لِتَرْضَىٰ ﴾ لتزداد عني رضا[6] وهـــذا دليل على جواز الاجتهاد.

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ب " و " ج " حفرة من حفر.

(٣) انظر : التحبير : ١٤٤، والإتحاف : ٢ / ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) في " ب " و " أداؤه.

(٥) في " ج " أي : وأي شئ.

(٦) عبر المصنف بالازدياد، و لم يعبر بحصول الرضا لئلا يلزم منه مقابلة، وهـــو الســـخط , وانظر : تفسير الرازي : ٢٢ / ٩٨.

٨٥- ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ﴾ ألقيناهم في فتنة ﴿ مِنۢ بَعْدِكَ ﴾ من بعد خروجك من بينهم، والمراد بالقوم : الذين خلفهم مع هارون ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له، وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: سامرة [١] وقيل: كان علجا من كرمان[٢]، فاتخذ عجلا واسمه: موسى بن ظفر [٣]، وكان منافقا [٤].

٨٦- ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ ﴾ من مناجاة ربه ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ ﴾ شديد الغضب، أو: حزينا ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ ﴾ وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور، وكانت ألف سورة، كل[٥] سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا، ولا وعد أحسن من ذلك[٦] ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ أي: مدة مفارقتي إياكم، والعهد : الزمان، يقال : طال عهدي بك، أي : طال زماني بسبب مفارقتك ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي : أردتم أن تفعلوا فعلا يجب[٧] عليكم الغضب من ربكم ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان[٨] فأخلفوا موعده باتخاذ العجل.

---

(١) في " ب " و " ج " سامرة.

(٢) قال في القاموس (٥٢٥) : " والسامري : الذي عبد العجل، كان علجا من كرملن أو عظيما من بني إسرائيل، منسوب إلى موضع لهم.

(٣) انظر : التعريف والإعلام للسهيلي : ١١٢.

(٤) زاد في الكشاف (٣ / ٧٩) " وكان من قوم يعبدون البقر ".

(٥) في " ب " وكل.

(٦) انظر : الكشاف : ٣ / ٨٠.

(٧) في " ج " يجب به.

(٨) في " ج " الآيات.

٨٧- ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾ بفتح الميم: مدني وعاصم، وبضمها: حمزة وعلي، وبكسرها: غيرهم [١]. أي : ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، أي : لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه [٢]، ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ ﴾ بالضم والتشديد: حجازي وشامي وحفص، وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم[٣] ﴿ أَوۡزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ أثقالا من حلي القبط، أو : أرادوا بالأوزار : أنها آثام وتبعات ؛ لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن غدا لنا عيد[٤]، فقال السامري : إنما حبس موسى لشؤم حرمتها[٥]؛ لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي ' على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ، فأحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل، فانصاعت عجلا مجوفا، فخار بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق، وقيل : نفخ فيه[٦] تراب[٧] من موضع قوائم فرس جبريل ــ عليه السلام ــ يوم الغرق، وهو فرس الحياة [٨]، فحيي، فخار، ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه[٩] ﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾ في نار السامري التي أوقدها[١٠] في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ ما معه من الحلي في

(١) السبعة : ٤٢٢ ــ ٤٢٣ , والنشر : ٢ / ٣٢١ ــ ٣٢٢.

(٢) أخلفنا موعدك.

(٣) السبعة : ٤٢٣، والنشر : ٢ / ٣٢٢.

(٤) في غير الأصل : لنا غدا عيدا.

(٥) في " ج " حرمها.

(٦) في " ب " في.

(٧) في " ج " ترابا.

(٨) في " ب " الحياة.

(٩) الكشاف : ٣ / ٨٠.

(١٠) في الأصل : أقدها , والصواب المثبت.

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي في النار، أو : ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل — عليه السلام —.

٨٨- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري من الحفرة ﴿عِجْلًا﴾ خلقه الله — تعالى — من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء ﴿جَسَدًا﴾ مجسدا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت، وكان يخور كما تخور العجاجيل[(١)] ﴿فَقَالُواْ﴾ أي : السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فأجاب عامتهم إلا اثني عشر ألفا ﴿فَنَسِيَ﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور، أو : هو ابتداء كلام من الله عز و جل، أي : فنسي السامري[(٢)] ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر، أو نسي السامري الاستدلال، على أن العجل لايجوز أن يكون [(٣)] إلها بدليل قوله:

٨٩- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ أي : أنه لا يرجع، فـ "أن" مخففة من الثقيلة ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي : لا يجيبهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع، فكيف تتخذونه إلها ؟ وقيل[(٤)] : إنه ما خار إلا مرة.

٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لمن عبدوا العجل ﴿هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجل ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ كونوا على دين[(٥)] الذي هو الحق ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾ في ترك عبادة العجل.

---

(١) جمع عجول، كعجل، مختار : ٤٣٨.

(٢) من قوله : موسى ربه إلى هنا : ساقط من " ج ".

(٣) في " ج " لا يكون إلها.

(٤) في " ب " فقيل.

(٥) في " ب " و " ج " ديني، وهو الأولى.

٩١- ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ لن[١] نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ فننظر[٢] هل يعبده كما عبدنا[٣]؟ وهل صدق السامري أم لا ؟ فلما رجع موسى :

٩٢- ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ بعبادة العجل.

٩٣- ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ بالياء في الوصل والوقف مكي، وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل، وغيرهم بلا ياء[٤]، أي : ما دعاك إلى إلا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشئ وبين الداعي إلى تركه، وقيل : لا مزيدة والمعنى : أي شئ منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني ؟ أو ما منعك أن تتبعني في الغضب لله ؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ؟ وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ أي: الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم، ثم أخذ شعر[٥] رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه، لأن الغيرة في الله ملكته.

٩٤- ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ﴾ وبخفض الميم : شامي وكوفي غير حفص[٦]، وكان أخاه[٧] لأبيه وأمه عند الجمهور، ولكنه ذكر الأم استعطافا وترقيقا[٨] ﴿لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ ثم ذكر عذره فقال ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن

---

(١) في " ج " أي لن.

(٢) في " ب " فينظر، وفي " ج " فننظره.

(٣) في " ج " عبدناه.

(٤) انظر : التحبير : ١٤٥.

(٥) في " ج " بشعر.

(٦) انظر : التلخيص في القراءات الثمان : ٢٦٩ .

(٧) سقط من " ج ".

(٨) في " ج " وترفيقا.

تَقُولَ ﴾ إذا[1] قاتلت بعضهم ببعض ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أو خفت أن تقول — إن فارقتهم واتبعتك، ولحق بي فريق وتبع السامري فريق — : فرقت بين بني إسرائيل ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ ﴾ و لم تحفظ ﴿ قَوْلِى ﴾ " اخلفني في قومي وأصلح "[2] وفيه دليل جواز[3] الاجتهاد[4] , ثم أقبل موسى على السامري منكرا عليه حيث :

(١) في " ج " إن.

(٢) الأعراف : ١٤٢.

(٣) في " ج " دليل على جواز.

(٤) وذلك أن موسى — عليه السلام — فوض فيهم ليقوم بينهم مقام إصلاح، وهو محتاج إلى بذل جهد وإعمال رأي.

والآية أصل — أيضا — في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن المقيم بين فاعلي المنكر حكمه حكمهم.

وقد ساق القرطبي بعد تفسير الآيات السابقة كلا ما نفيسا، أذكره بنصه للفائدة. قال رحمه الله : " وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي — رحمه الله — : ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ وأعلم — حرس الله مدته — أنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد — صلى الله عليه وسلم — ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شئ من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه — ويحضرون شيئا يأكلونه. هل الحضور معهم جائز أم لا. أفتونا مأجورين، يرحمكم الله. وهذا القول الذي يذكرونه

ياشيخ كف عن الذنوب — قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا — ما دام ينفعك العمل
أمّا الشباب فقد مضى — ومشيب رأسك قد نزل

وفي مثل هذا ونحوه. الجواب : — يرحمك الله — مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار، قاموا يرقصون حواليه

٩٥- ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ ﴾ ما أمرك الذي تخاطب عليه ﴿ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴾ .

٩٦- ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ وبالتاء حمزة وعلي[1]، قال[2] الزجاج : بصر : علم، وأبصر، نظر[3]، أي : علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل، قال موسى : وما ذاك ؟ قال : رأيت جبريل على فرس الحياة، فألقي في نفسي أن أقبض من أثره، فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ القبضة : المرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقرئ [فقبصت][4] قبصة ' فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع[5] ﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي من أثر فرس الرسول، وقرئ بها[6] ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ فطرحتها في جوف العجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ ﴾ زينت ﴿ لِى نَفْسِى ﴾ أن أفعله ففعلته اتباعا لهواي، وهو اعتراف بالخطأ واعتذار منه[7]

ويتواجدون،، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار ؛ فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين، وبالله التوفيق. تفسير القرطبي : ١١/ ٢٣٧-٢٣٨ .

(١) انظر : الموضح : ٢ / ٨٥١ .

(٢) في " ج " وقال.

(٣) معاني القرآن : ٣ / ٣٧٤ .

(٤) في الأصل بالتاء المربوطة، وليس له وجه.

(٥) ونحوهما : الخضم والقضم. الأول بجميع الفم، والثاني بمقدمه.

(٦) نسبها في الكشاف (٣ / ٨٢) إلى ابن مسعود.

(٧) سقط من " ج ".

٩٧- ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ من بيننا طريدا ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ ما عشت ﴿ أَن تَقُولَ ﴾ لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ أي: لا يمسني أحد ولا أمسه، فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، , إذا اتفق أن يماس أحدا حم الماس والممسوس، وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس، ويقال : إن ذلك موجود في أولاده إلى الآن، وقيل: أراد موسى ـ عليه السلام ـ إن يقتله فمنعه الله تعالى[1] منه لسخائه ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ أي : لن يخلفك[2] الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذاك في الدنيا، لن تخلفه مكي وأبو عمرو، وهذا من أخلفت الموعد إذا وجده[3] خلفا ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ ﴾ وأصله: ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفا ﴿ عَاكِفًا ﴾ مقيما ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ بالنار ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ ﴾ لنذرينه ﴿ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له، فظهرت على شفاههم صفرة الذهب.

٩٨- ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ تمييز، أي : وسع علمه كل شئ.

٩٩- ومحل الكاف من[4] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ نصب، أي : مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴾ من أخبار الأمم.

---

(١) في " ج " زيادة تعالى.

(٢) في " ج " تخلفك. وهو خطأ.

(٣) في " ج " وجدته.

(٤) في " ج " في.

الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ ﴾ أعطينـاك [1] ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ من عندنا ﴿ ذِكْرًا ﴾ قرآنا، فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاه، لمن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار.

١٠٠- ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن هذا الذكر، وهو القرآن ولم يؤمن به ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ عقوبة ثقيلة، سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقي عليه بهرة، أو: لأنها جزاء الوزر وهو الإثم.

١٠١- ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ حال من الضمير في "يحمل"، وإنما جمع على المعنى، ووحد في فإنه حملا على لفظ من ﴿ فِيهِ ﴾ في الوزر، أي : في جزاء الوزر، وهو العذاب ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ "ساء" في حكم "بئس"، وفيه ضمير يفسره "حملا "، وهو تمييز، واللام في "لهم" للبيان كما في "هيت لك"، والمخصوص بالذم محذوف ؛ لدلالة الوزر السابق عليه تقديره : ساء الحمل حملا وزرهم.

١٠٢- ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ بدل من يوم القيامة، ننفخ أبو عمرو [2] ﴿ فِي ٱلصُّورِ ﴾ القرن[3]، أو: هو جمع صورة أي : ننفخ الأرواح فيها، دليله : قراءة قتادة في[4] الصور بفتح الواو جمع صورة[5] ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ حال، أي عميا، كما قال : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا " وهذا

(١) في " ج " أي : أعطيناك.

(٢) انظر : الإرشاد : ٤٣٨، والتحبير : ١٤٥.

(٣) في " ب " القرن.

(٤) سقط من " ج ".

(٥) نسبها في البحر : (٦ / ٢٥٨) إلى الحسن وابن عياض، وذكرها في الكشاف : ٣ / ٨٤، دون نسبة.

أي عميا، كما قال : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا " وهـذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق[1].

١٠٣- ﴿ يَتَخَافَتُونَ ﴾ يتسارون ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ ما لبثتم في الدنيا ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴾ أي: عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور، أو : في الدنيا، لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور، فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر، لأن أيام السرور قصار، أو: لأنها ذهبت عنهم، والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء، أو: لاستطالتهم: الآخرة ؛ لأنها أبد[2] يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم بالآخرة[3] وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم بقوله :

١٠٤- ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أعد لهم قولا ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ وهو كقوله : " قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين "[4].

١٠٥- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ سألوا النبي [-صلى الله عليه وسلم][5]- ما يصنع بالجبال يوم القيامة ؟ وقيل : لم يسأل، وتقديره: إن سألوك ﴿ فَقُلْ ﴾ ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات، مثل قوله : "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى"[6] وقوله : "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم

---

(١) في " ج " تزرق.

(٢) في " ج " أبدا.

(٣) في " ب " و " ج " في الآخرة.

(٤) المؤمنون : ١١٣.

(٥) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٦) البقرة : ٢٢٢.

خير"[1] "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير"[2] "يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها [3] "[4] [ويسألونك][5] عن الروح قل الروح"[6] "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو"[7] لأنها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء[8] ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ أي: يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام، وقال الخليل : يقلعها.

١٠٦- ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فيذر مقارها، أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله : " ما ترك على ظهرها "[9] ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ مستوية ملساء.

١٠٧- ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ انخفاضا ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ ارتفاعا، والعوج بالكسر وإن[10] كان في المعاني، كما أن المفتوح[11] في الأعيان، والأرض عين

---

(١) البقرة : ٢٢٠.

(٢) البقرة : ٢١٩.

(٣) في " ج " زيادة عند ربي.

(٤) الأعراف : ١٨٧.

(٥) في الأصل : يسألونك، الصواب المثبت.

(٦) الإسراء : ٨٥.

(٧) الكهف : ٢١٥.

(٨) ويحتمل أن يكون مجئ الفاء ؛ لإرادة الإسراع بالجواب لأن مثله لا يؤخر : إذ كان مقصودهم من هذا الطعن في الحشر والنشر. انظر : تفسير الرازي : ٢٢ / ١١٧، وهو أقرب مما ذكره المصنف، وإن كان أكثر المفسرين عليه : انظر : القرطبي : ١١ / ٢٤٥، والبقاعي : ٢ / ٣٤٥.

(٩) فاطر : ٤٥.

(١٠) في " ج " إن.

(١١) في " ب " كالمفتوح.

ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج وإن [دقت][١] الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني.[٢]

١٠٨- ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أضاف اليوم إلى وقت نسف[٣] الجبال، أي : يوم إذ نسفت، وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة ﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ ﴾ إلى المحشر، أي: صوت الداعي وهو إسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس : أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي إلى عرض الرحمن، فيقبلون من كل أوب إلى صوته[٤] لا يعدلون عنه ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته ﴿ وَخَشَعَت ﴾ وسكنت ﴿ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ هيبة وإجلالا ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ صوتا خفيا[٥] كالتحريك[٦] للشفاه، وقيل : هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر.

١٠٩- ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ محل "من" رفع ؛ على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي : لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن، أي : أذن للشافع في الشفاعة﴿ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا

---

(١) في الأصل : دقة. والصواب : المثبت.

(٢) راجع تفسير الآية الأولى من سورة الكهف.

(٣) في " ج " نسفه.

(٤) في " ب " صوبه (بالتاء والباء)، وفي " ج " صوبه.

(٥) في " ج " خفيفا.

(٦) في " ب " و " ج " لتحريك.

﴾ أي: رضي قوله[1] لأجله بأن يكون المشفوع له مسلما، أو : نصب، على أنه مفعول تنفع.

١١٠- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ أي : بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى ما، أو : يرجع الضمير إلى الله تعالى ؛ لأنه تعالى[2] ليس بمحاط[3].

١١١- ﴿ وَعَنَتِ ﴾ خضعت وذلت، ومنه : قيل للأسير: عان ﴿ ٱلْوُجُوهُ ﴾ أي: أصحابها، ﴿ لِلْحَيِّ ﴾ الذي لا يموت، وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن ﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت، أو القائم بتدبير الخلق ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ يئس من رحمة الله ﴿ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ من حمل إلى موقف القيامة شركا، لأن الظلم وضع الشئ في غير موضعه، ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه.

١١٢- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[4] الطاعات ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ مصدق بما جاء به محمد ــ عليه السلام ــ، وفيه : دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن[5] الإيمان شرط قبولها[6] ﴿ فَلَا يَخَافُ ﴾ أي: فهو لا

---

(١) في " ج " قولا.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) في " ج " بمحاط به.

(٤) في " ج " الصالحات الطاعات.

(٥) في " ج " وإن ".

(٦) لأن الإيمان هو الأساس الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة، وليس فيه دليل على أن يستحق اسم الإيمان بلا عمل صالح لأن الله قرنهما في هذه الآية معا، وشرط الإيمان، لأن من عمل صالحا وهو غير مؤمن فعمله باطل. والله أعلم.

يخاف. فلا يخف ؛ على النهي : مكي[1] ﴿ ظُلْمًا ﴾ أن يزداد في سيئاته ﴿ وَلَا هَضْمًا ﴾ ولا ينقص من حسناته، وأصل الهضم النقص والكسر.

١١٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ عطف على كذلك نقص، أي : مثل[2] ذلك الإنزال ﴿ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسان العرب ﴿ وَصَرَّفْنَا ﴾ كررنا ﴿ فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يجتنبون الشرك ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ﴾ الوعيد، أو القرآن ﴿ ذِكْرًا ﴾ عظة، أو شرفا بإيمانهم به، وقيل : أو بمعنى الواو.

١١٤- ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾ ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام ﴿ ٱلْمَلِكُ ﴾ الذي احتاج[3] إليه الملوك ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ المحق في الألوهية، ولما ذكر القرآن وإنزاله قال استطرادا وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهك ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ بقراءته ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ بالقرآن ومعانيه، وقيل : ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

١١٥- ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ أي: أوصينا[4] إليه أن لا يأكل من الشجرة، يقال : في أوامر الملوك ووصاياهم : تقدم الملك إلى فلان وأوعز[5] إليه، وعزم عليه وعهد إليه، فعطفت قصة آدم على و"صرفنا فيه من الوعيد "، والمعنى : وأقسم قسما، لقد أمرنا أباهم آدم ووصينا[6] أن لا يقرب الشجرة ﴿ مِن قَبْلُ

(١) انظر : الإرشاد : ٤٣٨ ـــ ٤٣٩، والتحبير : ١٤٥.

(٢) في " ب " و " ج " ومثل.

(٣) في " ج " يحتاج.

(٤) في " ج " أوحينا.

(٥) في " ج " وأوصى.

(٦) في " ج " ووصينا.

﴾ من قبل وجودهم، فخالف إلى ما نهى عنه، كما أنهم يخالفون، يعني : أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه ﴿ فَنَسِيَ ﴾ العهد، أي : النهي، والأنبياء ــ عليهم السلام ــ يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ قصدا إلى الخلاف لأمره، أو لم يكن آدم من أولي العزم. والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما، أو : بمعنى نقيض العدم أي : وعد منا له عزما، و"له" متعلق بـ "نجد".

١١٦- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ منصوب باذكر ﴿ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ قيل: هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل، أو : كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه[1] ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ كان ملكا من جنس المستثنى منهم، وقال الحسن : الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا[2] يتناسلون، وإبليس من نار السموم. وإنما صح استثناؤه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم[3] ﴿ أَبَىٰ ﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب لمن

(١) في " ب " فيه له.

(٢) في " ج " ولا.

(٣) نقل المصنف هذا الخلاف مع توسع في تفسيره للآية (٣٤) من سورة البقرة، وعزا القول الأول إلى ابن عباس، وعلي، وابن مسعود، وعزا القول الثاني إلى الحسن، وقتادة، وكأنه يرجح الأول، قال : " وقوله : كان من الجن " معناه : صار من الجن كقوله : " فكان من المغرقين " ولا يخفى ضعف هذا التوجيه، لأن الله تعالى قال بعد ذلك : ففسق عن أمر ربه، ولا يستقيم معنى الصيرورة معه، وآية الكهف صريحة بأنه من الجن، وأما الاستثناء في مثل هذا فهو جائز لغة وعقلا وعادة، ومن كان عنده إردب شعير وفيه حبة أرز لا يقول عندي إردب شعير وأرز، ويصح أن يقول : فسدالشعير إلا حبة الأرز، والمفسرون يبحثون هذه المسألة في آية البقرة وآية الكهف، ولا يكاد يخلو تفسير مبسوط من التطويل في هذه المسألة. والله أعلم.

قال لم لم يسجد ؟ والوجه : أن لا يقدر مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله : "فسجدوا" وأن يكون معناه : أظهر الإباء وتوقف.

١١٧- ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ حيث لم يسجد لك، ولم ير فضلك ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ فلا يكونن سببا لإخراجكما ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ فتتعب في طلب القوت، ولم يقل : فتشقيا اكتفاء[1] لرؤوس الآي، أو دخلت تبعا، و لأن[2] الرجل هو الكافل لنفقة المرأة، وروي : أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان[3] يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه.

١١٨- ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ عن الملابس لأنها معدة أبدا فيها.

١١٩- ﴿ وَأَنَّكَ ﴾ بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على إن الأولى، وغيرهما بالفتح[4]، عطفا على ألا تجوع ومحله نصب بأن، وجاز للفصل، كما تقول : إن في علمي إنك جالس ﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ لا تعطش لوجود الأشربة فيها ﴿ وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ لا يصيبك حر الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها في ظل ممدود.

١٢٠- ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ أي: أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود، لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ لا يفنى.

---

(١) في " ج " مراعاة.

(٢) في " ج " ولأن.

(٣) في " ج " و كان.

(٤) انظر : الإرشاد : ٤٣٩، والتحبير : ١٤٥.

١٢١- ﴿ فَأَكَلَا ﴾ أي: آدم وحواء ﴿ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ عوراتهما ﴿ وَطَفِقَا ﴾ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل، وهو كـ "كاد" في وقوع الخبر فعلا مضارعا، إلا أنه : للشروع في أول الأمر وكاد : للدنو منه ﴿ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي : يلزقان الورق بسوءاتهما للتستر، وهو ورق التين ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ ضل عن الرأي. وعن ابن عيسى خاب (١). والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمدا فيكون ذنبا، وقد لا يكون عمدا فيكون زلة، ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لأن الغي خلاف الرشد، وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة وموعظة [كافة](٢) للمكلفين، كأنه قيل : لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة، فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر.

١٢٢- ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ قربه إليه واصطفاه، وقرئ به(٣). وأصل الكلمة الجمع يقال جبي إلي كذا فاجتبيته ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قبل توبته ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ وهداه إلى الاعتذار والاستغفار.

١٢٣- ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ ﴾ يعني: آدم وحواء ﴿ بَعْضُكُمْ ﴾ ياذرية آدم ﴿ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ بالتحاسد في الدنيا أو الاختلاف في الدين ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ كتاب وشريعة ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ في العقبى، قال ابن عباس رضي الله

---

(١) وعن بعضهم : فغوى : فبشم من كثرة الأكل. الكشاف : ٣ / ٩١.

(٢) في الأصل : خافه، والمثبت هو الصواب.

(٣) لم أجد من ذكرها ، ولعلها من قراءات التفسير : وانظر : البحر : ٦ / ٢٦٥ .

عنهما : ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، يعني : أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه.

١٢٤- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ عن القرآن ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث. عن ابن جبير : يسلبه القناعة حتى لا يشبع، فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحد[1] عن ذكر ربه[2] إلا أظلم عليه وقته وتشوش[3] عليه رزقه[4] ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ عن الحجة، عن ابن[5] عباس [رضي الله عنهما][6] : أعمى البصر[7] وهو كقوله : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا)[8] وهو الوجه.

١٢٥- ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ في الدنيا.

١٢٦- ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسر فقال ﴿ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي : أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعتبر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك، ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

---

(١) في " ج " أحدكم.

(٢) في " ب " ربي.

(٣) في " ب " ونشوش.

(٤) ذكره في الكشاف : ٣ / ٩٢.

(٥) سقط من " ب ".

(٦) المثبت من " ب ".

(٧) ذكره في الوسيط ولم يعزه : انظر : ٣ / ٢٢٦.

(٨) الإسراء : ٩٧.

١٢٧- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين : المعيشة والضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله : "ولعذاب الآخرة أشد وأبقى "، أي: وللحشر[1] على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي.

١٢٨- ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون[2] ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى ﴾ حال من الضمير المجرور في لهم ﴿ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ﴾ يريد أن قريش[3] يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول إذا تفكروا وعلموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا.

١٢٩- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد -[صلى الله عليه وسلم] -[4] ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ لا زما فاللزام مصدر لازم فوصف به ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ القيامة وهو معطوف على كلمة[5]، والمعنى : ولولا حكم سبق بتأخر[6] العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة.

---

(١) في " ج " بلا واو.

(٢) ليست بالمشهور عن يعقوب، ونسبها في البحر : ٦ / ٢٦٧، إلى جماعة منهم ابن عباس والسلمي.

(٣) في " ب " و " ج " قريشا، وما في الأصل على المنع من الصرف، وليس بالمشهور، والعلة العلمية والتأنيث.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٥) أي : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما.

(٦) في " ب " و " ج " بتأخير.

١٣٠- ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك ﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ وصل ﴿ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ في موضع الحال،أي [(١)] : وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه ﴿ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ يعني: الظهر والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: وتعمد آناء الليل، أي : ساعاته وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك، وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله : " والصلاة الوسطى " عند البعض، وإنما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس، وهو عطف على قبل ﴿ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ "لعل" للمخاطب، أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك. وترضى علي و أبوبكر. أي : يرضيك ربك.

١٣١- ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ ﴾ أي : نظر عينيك، ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجابا به،وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك أن يباده الشيئ بالنظر ثم يغض الطرف، ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة، وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن : لا تنظروا إلى دقدقة هماليج[(٢)] الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب[(٣)]، وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ أصنافا من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) جمع هملاج، بكسر الهاء، البرذون، وشاة هملاج، لا مخّ لها. القاموس : ٢٦٩ (هملج).

(٣) لم أجد من عزاه إليه.

والفعل واقع على منهم، كأنه قال إلى الذي متعنا به، وهو أصناف، بعضهم وناسا منهم ﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ زينتها وبهجتها، وانتصب على الذم، أو : على إبداله من محل به، أو : على إبداله من "أزواجا" على تقدير ذوي زهرة[1] ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لنعذبنهم في الآخرة بسببه ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ ثوابه وهو الجنة، أو: الحلال الكافي ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ مما رزقوا.

١٣٢- ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ أمتك، أو: أهل بيتك ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ ﴾ أنت، داوم ﴿ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ وإياهم، فلا تهتم، لأمر الرزق وفرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله، وعن[2] عروة بن الزبير : أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ : ولا تمدن عينك، الآي ثم ينادي الصلاة، الصلاة رحمكم الله [3]. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله [4]. وعن مالك بن دينار مثله، وفي بعض المسانيد أنه ــ عليه السلام ــ كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة [5]، وتلا هذه الآية ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين.

---

(١) ذكر السمين في إعرابها تسعة أوجه، وبين الضعيف منها.انظر : الدر المصون : ٨ / ١٢٤.

(٢) في " ج " عن.

(٣) ذكره في الكشاف : ٣ / ٩٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ذكره السيوطي بالدر المنثور : ٤ / ٣١٣ وعزاه لأحمد في الزهد وابن أبي حاتم بتفسيره، والبيهقي بالشعب عن ثابت مرسلا.

١٣٣- ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي الكافرون ﴿ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هلا يأتينا محمد بئاية من ربه تدل على صحة نبوته ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم ﴾ أو لم تأهم مدني وبصري وحفص[1] ﴿ بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي : الكتب المتقدمة، يعني : أهم اقترحوا على عادهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم : أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز، يعني : القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المترلة ودليل صحته، لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها.

١٣٤- ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ ﴾ من قبل الرسول أو القرآن ﴿ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ﴾ بالنصب ؛ لأنه جواب الاستفهام بالفاء ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ بترول العذاب ﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾ في العقبى.

١٣٥- ﴿ قُلْ كُلٌّ ﴾ أي كل واحد منا ومنكم ﴿ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ أنتم ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿ مَنْ أَصْحَٰبُ ﴾ مبتدأ وخبر ومحلهما نصب ﴿ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾ المستقيم ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ إلى النعيم المقيم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا يقرأ أهل الجنة إلا سورة طه ويس ".[2]

---

(١) انظر : الإرشاد / ٤٣٩، والتحبير : ١٤٥.

(٢) ذكره في الكشاف : ٣ / ٩٧، وقال ابن حجر في تخريجه " أخرجه ابن مردويه من حديث أبي بن كعب ".

ولمثله عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٤٨٥، عن أبي أمامة.

سورة الأنبياء

[مكية][1][2] مائة واثنتا[3] عشرة آية[4] كوفي إحدى[5] عشرة[6] وبصري

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿ ٱقۡتَرَبَ ﴾ دنا ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ اللام : صلة لـ "اقترب"، عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أن المراد بـ"الناس" المشركون ؛ لأن ما يتلوه : من صفات المشركين[7] ﴿ حِسَابُهُمۡ ﴾ وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم، يعني : يوم القيامة، وإنما وصفه بالاقتراب ؛ لقلة ما بقي بالإضافة إلى ما مضى، ولأن كل آت قريب ﴿ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ ﴾ عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم ﴿ مُّعۡرِضُونَ ﴾ عن التأهب لذلك اليوم، فالاقتراب عام، والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين، فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، والأول: إنما يفيق في عسكر الموتى، الواجب[8] عليك: أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتتنبه للعرض قبل أن تنبه، وتعوض عن الغافلين، وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين.

---

(١) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٢) في " ج " زيادة وهي.

(٣) في " ب " واثنتي.

(٤) سقط من " ب ".

(٥) في " ج " وإحدى.

(٦) في " ج " زيادة (آية).

(٧) ذكره في تنوير المقباس : ٢٣٦.

(٨) في " ب " و " ج " فالواجب.

٢- ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ ﴾ شئ[١] من القـــرآن ﴿ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾ في التنزيل إثباته[٢]، مبتدأ تلاوته، قريب عهده باستماعهم، والمراد به : الحـــروف المنظومة، ولا خلاف في حدوثها ﴿ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ ﴾ من النبي ــ عليه السـلام ــ أو : غيره ممن يتلوه ﴿ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ يستهزءون به.

٣- ﴿ لَاهِيَةٗ ﴾ حال من ضمير "يلعبون "، أو " وهم يلعبون " و" لاهية ": حــالان من الضمير في "استمعوه"[٣]، ومن قرأ "لاهية" بالرفع، يكون خبرا بعـــد خــبر لقوله : "وهم"[٤].

وارتفعت ﴿ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ بـــ "لاهية"، وهي من : لها عنه إذا ذهل وغفل، والمعـــنى: قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها، وقال[٥] أبو بكر الوراق : القلب اللاهـــي : المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ وبـــالغوا في إخفاء ﴿ ٱلنَّجۡوَى ﴾ وهي اسم من التناجي، ثم أبـدل ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ من واو "وأسروا"[٦] إيذانا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به، أو: جــاء على لغة من قال : "أكلوني البراغيث" [٧]، أو : هو مجرور المحل لكونه صفة أو :

(١) سقط من " ب " لفظ (شئ).

(٢) في " ج " إتيانه.

(٣) أي : حال بعد حال.

(٤) قراءة الرفع : قراءة ابن أبي عيلة، عيسى، البحر المحيط : ٦ / ٢٧٥.

(٥) في " ج " قال.

(٦) في " ج " من وأسروا.

(٧) هي لغة أزد شنوءة، وهي إسناد الفعل غير مجرد في المثنى والجمع، وفيـــها شـــذوذ مـــع حسنها، وعليها خرج قوله تعالى : (ثم عموا وصموا كثير منهم)، انظر البحر المحيـــط : ٦ / ٢٧٥، والدر المصون : ٨ / ١٣٣، وانظر بسطها وخلاف النحاة في تخريج ما جـــاء على هذه اللغة، مغني اللبيب : ٢ / ٣٦٥، همع الهوامع : ١ / ١٦. والأعاريب المذكـــورة في التبيان للعكبري : ٢ / ٩١١.

بدلاً[1] عن[2] الناس، أو هو منصوب المحل على الذم، أو : هو مبتدأ خبره : "أسروا النجوى "، فقدم عليه، أي : والذين ظلموا أسروا النجوى[3] ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من النجوى، أي : وأسروا الحديث، ويجوز أن يتعلق بـ "قالوا" مضمراً، والمعنى : أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، وأن كل من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار : أفتَحْضرون السّحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر.

٤- ﴿ قَالَ رَبِّى ﴾ حمزة وعلي وحفص، أي : قال محمد، وغيرهم : "قل ربي"[4]. أي : قل يا محمد للذين أسروا النجوى ﴿ يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي : يعلم قول كلّ قائل هو في[5] السماء و الأرض[6] سراً كان أو جهراً ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما في ضمائرهم.

٥- ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ أضربُوا عن قولهم : هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحياً من الله إليه، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل :

---

(١) في " ج " بدل.

(٢) في " ج " من.

(٣) أرجح هذه الوجوه : هو الأول : لسلامته من الاعتراض عليه، وغيره إما شاذ أو بعيد، وقد عزاه ابن عطية لسيبويه، انظر : المحرر الوجير :، وعزاه غيره للمبرد، انظر : الدر المصون : ٨ / ١٣٣.

(٤) الموضح لابن أبي مريم : ٢ / ٨٦٠ .

(٥) في " ب " و " ج " هو في.

(٦) في " ب " و " ج " أو الأرض.

لجلج[1]، والمبطل : رجاع غير ثابت على قول واحد، ثم قالوا : إن [كـان] [2] صادقا في دعواه، وليس الأمر كما نظـن[3] ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِئَايَةٍ ﴾ بمعجزة ﴿ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ كما أرسل من قبله باليد البيضاء، والعصا[4]، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى[5] ولصحة[6] التشبيه في قوله : "كما أرسل الأولـون" من حيث إنه في معنى : كما أتى الأولون بالآيات، لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى[7] أنه لا فرق بين قولك : أرسل محمد وبين قولك : أتى محمد بالمعجزة، فرد الله عليهم قولهم بقوله :

٦- ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ من أهل قرية ﴿ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ صفة لـ "قرية" عند مجئ الآيات المقترحة، لأنهم طلبوها تعنتا ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمنون[8] هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أغنى[9] منهم ؟ والمعنى : أن أهل القرى المهلكة اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله، فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا.

---

(١) اللجلجة : التردد في الكلام، القاموس : ٢٦٠ (لجج) والمراد أن الباطل مضطرب متردد في جهات مختلفة، غير مستقر.

(٢) في الأصل : كانوا. والصواب : المثبت.

(٣) في " ج " يظن.

(٤) هو موسى.

(٥) وهو عيسى.

(٦) في " ب " و " ج " وصحة.

(٧) في " ب " يرى.

(٨) في " ج " أفيؤمن.

(٩) في " ب " أعتى، وفي " ج " أعنى.

٧- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ هذا جواب قولهم: هل هـــذا إلا بشـــر مثلكم ﴿ نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ــــ "نوحـــي "حفـــص[١] ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ العلماء بالكتابين ؛ فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كـــانوا بشرا و لم يكونوا ملائكة، وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك. ثم بين أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله :

٨- ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ وحد الجســـد : لإرادة الجنـــس ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ صفة لـــ "جسدا"، يعني : وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غـــير طاعمين ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾ كأنهم قالوا: هلا كان ملكـــا لا يطعـــم ويخلد، معتقدين[٢] أن الملائكة لا يموتون، أو: مسمين بقاءهم الممتد وحيـــاتهم المتطاولة خلودا.

٩- ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ بإنجائهم، والأصل : في الوعد[٣] مثل: "واختـــار موسى قومه"[٤] أي: من قومه ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ مما حـــل بقومـــهم ﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ هم المؤمنون ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المجاوزين الحد بـــالكفر، ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على أن "من نشاء " غيرهم.

١٠- ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا معشـــر قريـــش ﴿ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ شرفكم إن عملتم به، أو: لأنه بلسانكم، أو : فيه ذكـــر دينكـــم ودنيـــاكم، والجملة، أي ـــ : "فيه ذكركم "ـــ، صفة لـــ "كتابـــا" ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٥] ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون.

---

(١) أي بالنون، انظر : المبسوط : ٢١١، وغاية الاختصار : ٢ / ٣٥٠.

(٢) في " ج " إما معتقدين.

(٣) يعني : أنه نصب على نزع الخافض.

(٤) الأعراف : ١٥٥.

(٥) في هامش الأصل : والجملة، أي : فيه ذكركم صفة لـــ " كتابا ".

١١- ﴿ وَكَمْ ﴾ نصب بقوله ﴿ قَصَمْنَا ﴾ أي: أهلكنا ﴿ مِن قَرْيَةٍ ﴾ أي: أهلها، بدليل قوله ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم، لأن القصم أفظع الكسر، وهو : الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم فإنه كسر بلا[1] إبانة ﴿ وَأَنشَأْنَا ﴾ خلقنا ﴿ بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ فسكنوا مساكنهم.

١٢- ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ ﴾ أي : المهلكون ﴿ بَأْسَنَآ ﴾ عذابنا، أي: علموا علم حس ومشاهدة ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا ﴾ من القرية، و" إذا" للمفاجأة[2] و"هم" مبتدأ والخبر: ﴿ يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون مسرعين، والركض : ضرب الدابة بالرجل، فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، أو: شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم :

١٣- ﴿ لَا تَرْكُضُواْ ﴾ والقائل : بعض الملائكة[3] ﴿ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش. قال الخليل : المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه[4] ﴿ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي : يقال لهم استهزاء بهم : ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو : ارجعوا

---

(١) عبارة الكشاف : ٣ / ١٠٣، وانظر : أساس البلاغة : ٥١١، وكتاب وفاق المفهوم، لابن مالك : ٢١٦.

(٢) في " ب " للمفاجآت.

(٣) وهم ملائكة العذاب.انظر : القرطبي ١١ / ٢٥٧، والبحر المحيط : ٦ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩ وقيل : هم رجال بختنصر سلطهم على قرية خضوراء باليمن. اعتمادا على رواية حكيت عن ابن عباس، وهو بعيد , انظر : المحرر الوجيز : ٣ / وذكر مثله في الكشاف : ٣ / ١٠٣.

(٤) انظر : اللسان، و لم ينسب مثل هذا المعنى لأحد.

واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم : بم تأمرون ؟ وكيف نأتي ونذر؟ كعادة المنعمين المخدمين، أو : يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، أو: يسألكم الوافدون والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم، أو : قال : بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون، فنودي من السماء يا لثارات الأنبياء وأخذهم السيوف، فثم :

١٤- ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ اعترفوا[١] حين لا ينفعهم الاعتراف.

١٥- ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ ﴾ هي إشارة إلى " ياويلنا" ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ دعاؤهم، و"تلك": مرفوع، على أنه اسم "زالت"، و"دعواهم" الخبر : ويجوز العكس ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا ﴾ مثل الحصيد، أي : الزرع المحصود، ولم يجمع كما لم يجمع المقدر ﴿ خَـٰمِدِينَ ﴾ ميتين خمود النار، و"حصيدا خامدين" : مفعول ثان لـ "جعل"، أي: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد[٢] والخمود، كقولك : حلوا حامضا، أي : جعلته جامعا للطعمين.[٣]

١٦- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ اللعب : فعل يروق أوله ولا ثبات له، و"لاعبين" حال من فاعل "خلقنا"، والمعنى: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو[٤]

---

(١) في " ج " اعتراف.

(٢) في " ج " الحصد.

(٣) ويجوز أن يكون " خامدين " حالا من الضمير في " جعلناهم " أو الضمير المستكن في " حصيدا " أنه في معنى : محصود، انظر البحر المحيط : ٦ / ٢٧٨، والدر المصون : ٨ / ١٣٨. وجوز أبو البقاء فيه وجها آخر، وهو أن يكون صفة لـ " حصيدا " وحصيد بمعنى محصود، والتقدير مثل حصيد. انظر : التبيان : ٢ / ٩١٣.

(٤) رسمت في الأصل بثلاث لامات , وهو مستكره في الإملاء.

واللعب، وإنما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها، ولنجازي المحسن والمسيء على ما تيقتضيه[1] حكمتنا، ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله :

١٧- ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾[2] أي: ولدا، أو امرأة، كأنه رد على من قال : عيسى ابنه ومريم صاحبته ﴿ لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ من الولدان أو الحور ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ أي: إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا، وقيل : هو نفي كقوله : " وإن أدري " أي : ما كنا فاعلين.

١٨- ﴿ بَلْ نَقْذِفُ ﴾ "بل "، إضراب عن اتخاذ اللهو وتتريه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو بل من سنتنا أن نقذف، أي : نرمي ونسلط ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ الشيطان (أو بالإسلام على الشرك، أو : بالجد على اللعب ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ فيكسره ويدحض الحق الباطل، وهذه استعارة لطيفة ؛ لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل، والمستعار منه حسي والمستعار له عقلي، فكأنه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف[3] ﴿ فَإِذَا هُوَ ﴾ أ ي

---

(١) في " ب " بالياء، وفي " ج " بالتاء.

(٢) اللهو : لفظ عام يشمل كل مايستمتع به، كما في مفردات الراغب : ٤٥٥، وحمل الآية على العموم أولى، وأكثر المفسرين على المعنى الذي ذكره المصنف، وذكر ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٠) أن اللهو : المرأة بلغة أهل اليمن، وهو الولد عن ابن عباس، انظر : القرطبي : ١١ / ٢٧٦.

(٣) انظر : الكشاف : ٣ / ١٠٤ ـــ ١٠٥، وحاشية الشيخ زاده : ٤ / ٣٤٣، وفيها بسط واضح، وأوضح منه ما في التحرير والتنوير : ١٧ / ٣٤.

الباطل ﴿ زَاهِقٌ ﴾ هالك ذاهب ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ الله[1] من الولد ونحوه.

١٩- ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خلقا وملكا، فأنى يكون شيء منه ولدا له، وبينهما تناف، ويوقف "على الأرض " لأن ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ مترلة ومكانا[2] لا مترلا ومكانا[3] يعني : الملائكة مبتدأ خبره ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ لايتعظمون ﴿ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ ولا يعيون.

٢٠- ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ حال من فاعل "يسبحون" أي : تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاقم لا يتخلله[4] فترة بفراغ، أو بشغل آخر، فتسبيحهم جار مجرى النفس منا. ثم أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بـ "أم" التي بمعنى "بل" [والهمزة][5] فقال :

٢١- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ يحيون الموتى، و "من الأرض" صفة لآلهة،لأن آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض [كالذهب][6] والفضة والحجر وتعبد في الأرض، فنسبت إليها، كقولك : فلان من المدينة، أي: مدني[7]. أو : متعلق بـ "اتخذوا" ويكون فيه بيان ابتداء غاية الاتخاذ، وفي

---

(١) في " ج " زيادة (به).

(٢) في " ج " ولا مكانا.

(٣) انظر : كتاب الوقف والابتداء لأبي الحسن الغزال : و : ١٣٤.

(٤) في " ج " لا تتخلله، وغير واضح في " ب ".

(٥) ما بين المعقوفتين من غير الأصل، وهو الصواب، وفي الأصل (همزة).

(٦) في الأصل كذهب، والمثبت من غيره، وهو الأوفق.

(٧) هي النسبة القياسية، وأما مديني فهو نسبة إلى مدينة المنصور، وأما مدائني : فيه نسبة إلى مدائن كسرى. ذكره في "المختار ":
ونظمت هذا المعنى في بيتين :

قوله : "هم ينشرون" زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيي الموتى، وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات، لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الانتشار لها[1] لأن العاجز عنه لا يصح أن يكون إلها، إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإنشار : من جملة المقدورات، وقرأ الحسن : ينشرون بفتح الياء[2] وهما لغتان، أنشر الله الموتى ونشرها، أي : أحياها.

٢٢- ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي: غير الله، وصفت آلهة بـ "إلا" كما وصفت بغير، لو قيل: آلهة غير الله، ولا يجوز رفعه على البدل ؛ لأن "لو" بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوق[3] إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى : " ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك "[4] ولا يجوز نصبه استثناء ؛ لأن الجمع إذا كان منكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين، لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء[5] والمعنى : لو كان يدبر أمر

إلى المدينة من تعزوه قل : مدني وقل مديني : لمنصور. وإن تكن

مدائن الفرس أي :كسرىفنسبتها مدائني فارع ما قلنا ولا تهن

(١) سقط (لها) من " ج ".

(٢) انظر : البحر المحيط : ٦ / ٢٨ ٢، والقراءات الشاذة للقاضي : ٧١.

(٣) في " ب " و " ج " لا يسوغ.

(٤) على قراءة الرفع.

(٥) في إعراب هذه الآية اختلاف قوي بين المعربين، والجمهور على منع البدلية ــ في لفظ الجلالة والتقليل بأن لفظ " آلهة " نكرة ولا يصح منه الاستثناء، لأنه لا يفيدالتعميم قول قوي، وعزاه العكبري إلى المحققين، انظر التبيان : ٣ / ٩١٥، وقد أجاز مثل هذا المبرد، وابن الضائع. انظر : البحر : ٦ / ٢٨٣، والدر المصون : ٨ / ١٤٢ ــ ١٤٥.

السماوات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ لخربتا لوجود التمانع، وقد قررناه في أصول الكلام[1]، ثم نزه ذاته فقال: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من الولد والشريك.

٢٣- ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها، فمن هو مالك الملوك ورب الأرباب فعله[2] صواب كله أولى بأن لا يعترض عليه ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لأنهم مملوكون خطاؤن لما خلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه، وقيل : وهم يسألون يرجع إلى المسيح والملائكة، أي : هم مسؤولون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافي المسؤولية.[3]

٢٤- ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الإعادة لزيادة الإفادة، فالأول: للإنكار من حيث العقل، والثاني من حيث النقل، أي وصفهم الله تعالى بأن يكون له شريكا[4]، فقيل لمحمد: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ حجتكم على ذلك، وذا عقلي وهو يأباه كما مر، أو نقلي وهو الوحي أيضا يأباه، فإنكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن الأنداد ﴿ هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن[5] ﴿ ذِكْرُ مَن مَّعِىَ ﴾ يعني: أمته ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ يعني : أمم

---

(١) للمصنف في هذا الباب " عمدة العقائد " جمع فيه أهم قواعد الكلام، وكتاب " الاعتماد " شرح على " عمدة العقائد "، كما بيّنته في المبحث الخامس المشتمل على تصانيفه في الفصل الثاني في قسم الدراسة ودليل التمانع مبسوط في كتب العقيدة والتفسير : انظر : شرح الطحاوية، بتخريج الألباني : ٧٨ ـــ ٨٦، والبحر المحيط : ٦ / ٢٨٢.

(٢) في " ج " فعله.

(٣) في " ج " تنافي الجنسية المسئولة.

(٤) في " ج " بأن يكون له شريك.

(٥) سقطت الكلمتان من " ج ".

الأنبياء من قبلي، وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه، " معي "حفص"[1] فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال: ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ أي : القرآن وهو نصب بـ "يعلمون "، وقرئ: "الحق"[2] أي : هو الحق ﴿ فَهُم ﴾ لأجل ذلك ﴿ مُّعۡرِضُونَ ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

٢٥- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ "إلا نوحي" كوفي غير أبي بكر وحماد[3] ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ وحدوني، فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد.

٢٦- ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله فتره ذاته عن ذلك[4] ثم أخبر عنه بأهم عباد بقوله ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة.

٢٧- ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ أي : بقولهم فأنيب[5] اللام مناب الإضافة، والمعنى : أهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله، بقولهم ﴿ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به.

---

(٢) فيكون الوقف على " يعلمون " وقد ذكر القراءة كل من الزمخشري في الكشاف : ٣ /، وأبو حيان في البحر : ٦ / ٢٨٤.

(٣) وقراءة الباقين " يوحى ". انظر : المبسوط : ٢٥٣، وا

(٤) حكاه جمع من المفسرين، انظر : الكشاف : ٣ / ١٠٩، والفخر الرازي : ٢٢ / ١٥٩، والبحر المحيط : ٦ / ٢٨٥، واللباب : ١٣ / ٤٧٨.

(٥) في " ج " فأنيبت.

٢٨- ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ أي: ما قدموا وأخروا من أعمالهم ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ أي : لمن رضي الله عنه أو: قال[1] لا إله إلا الله ﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ خائفون.

٢٩- ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ ﴾ من الملائكة ﴿ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ ﴾ من دون الله. " إني "مدني وأبو عمرو[2] ﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ أي : فذلك القائل، خبره ﴿ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ وهما[3] جواب الشرط ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها، وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم، وقال ابن عباس ــ [رضي الله عنهما][4] ــ وقتادة والضحاك : قد تحقق الوعيد في إبليس، فإنه ادعى الإلهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته [5].

٣٠- ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ألم ير : مكي[6] ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا ﴾ أي : جماعة السماوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل: كنَّ ﴿ رَتۡقٗا ﴾ بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين، وهو مصدر، فلذا صَلح أن يقع مرتوقتين ﴿ فَفَتَقۡنَٰهُمَا ﴾ فشققناهما، والفَتْقُ : الفصلُ بين الشيئين والرَّتْقُ : ضد الفتق، فإن قيل: متى [رأوهما][7] رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك ؟ قلنا : إنه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد، ولأن الرؤية بمعنى العلم،

---

(١) في " ج " وقال.

(٢) إني : بفتح الياء في الوصل. انظر : الإتحاف : ٢ / ٢٦٢.

(٣) في " ج " وهو.

(٤) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٥) ذكره ابن جرير عن قتادة : ١٧ / ١٧، والسيوطي في الدر : ٥ / ٦٢٥ عنه، وعن الضحاك، ولم يورده عن ابن عباس صاحب التنوير.

(٦) التحبير : ١٤٦، والإتحاف : ٢ / ٢٦٣.

(٧) في الأصل : رواوهما.

وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان في العقل، فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله، ثم قيل : إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء، وقيل: كانت السماوات مرتتقة طبقة واحدة، ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين، وقيل: كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان كقوله : (والله خلق كل دابة من ماء)[1] أو: كأنما خلقناه من الماء ؛ لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه، كقوله : " خلق الإنسان من عجل "[2] ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون لما[3] يشاهدون.

٣١- ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ جبالا ثوابت من رسا إذا ثبت ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ لئلا تضطرب بهم، فحذف " لا " و " اللام "، وإنما جاز حذف " لا " لعدم الإلباس[4] كما تزاد لذلك في " لئلا يعلم أهل الكتاب "[5] ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ أي: طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع، ونصبت[6] على الحال من ﴿ سُبُلًا ﴾ مقدمة[7] فإن قلت : أي فرق بين قوله تعالى : " لتسلكوا منها سبلا فجاجا "[8] وبين هذه ؟ قلت : الأول : للإعلام

---

(١) النور : ٤٥.

(٢) الأنبياء : ٣٧.

(٣) في " ب " و " ج " بما.

(٤) في " ج " الالتباس.

(٥) الحديد : ٢٩.

(٦) في " ج " ونصب.

(٧) في " ج " متقدمة.

(٨) نوح : ٢٠.

بأنه جعل فيها طرقا واسعة، والثاني: لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة، فهو بيان لما أبهم ثم[1] ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي[2] : ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة.

٣٢- ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ في موضعه عن السقوط كما قال : " ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه "أومحفوظاً بالشهب عن الشياطين كما قال : " وحفظناهما من كل شيطان مارد "[3]

﴿ وَهُمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ عَنْ ءَايَـٰتِهَا ﴾ عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ غير متفكرين فيها فيؤمنون.

٣٣- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ ﴾ لتسكنوا فيه ﴿ وَٱلنَّهَارَ ﴾ لتتصرفوا فيه ﴿ وَٱلشَّمْسَ ﴾ لتكون [سراج][4] النهار ﴿ وَٱلْقَمَرَ ﴾ ليكون سراج الليل ﴿ كُلٌّ ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، أي : كلهم، والضمير للشمس والقمر والمراد بهما : جنس الطوالع، وجُمِع جَمع العقلاء للوصف بفعلهم، وهو السباحة ﴿ فِى فَلَكٍ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ـــ : الفلك السماء[5]، والجمهور[6] على أن الفلك موجٌ مكفوف تحت السماء يجري[7] فيه الشمس القمر والنجوم، و"كل" مبتدأ، خبره ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ يسيرون، أو : يدورون، والجملة : في محل النصب على الحال من "الشمس والقمر ".

---

(١) انظر : الكشاف : ٣ / ١١٢.

(٢) سقط من " ج ".

(٣) الصافات : ٧.

(٤) في الأصل : السراج، والصواب : المثبت.

(٥) انظر :الوسيط ٣ / ٢٣٦.

(٦) في " ج " والمجهور. وهو خطأ.

(٧) في " ج " تجري.

٣٤- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ البقاء الدائم ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ ﴾ بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر[(١)] ﴿ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴾ والفاء الأول لعطف جملة على جملة، والثاني[(٢)] لجزاء الشرط، كانوا يقدرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً[(٣)] فإن متّ أنت أيبقى هؤلاء.

٣٥- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم ﴾ ونختبركم، سمي ابتلاء وإن كان عالماً بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم، لأنه في صورة الاختبار ﴿ بِٱلشَّرِّ ﴾ بالفقر والضر ﴿ وَٱلْخَيْرِ ﴾ الغنى والنفع ﴿ فِتْنَةً ﴾ مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر، وعن ابن ذكوان ترجعون.[(٤)]

٣٦- ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ ﴾ ما يتخذونك ﴿ إِلَّا هُزُوًا ﴾ مفعول ثان ليتخذوك. نزلت في أبي جهل، مر به النبي [-صلى الله عليه وسلم-][(٥)] فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[(٦)] ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ﴾ يعيب ﴿ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ والذكر: يكون بخير وبخلافه، فإن كان

---

(١) انظر: الإتحاف: ٢ / ٢٦٣.

(٢) الفاء الأول الذي في " أفأن " والثاني: الذي في " فهم ". ويلاحظ أن المصنف عامل الفاء معاملة المذكر، والحروف تذكر وتؤنث.

(٣) في " ج " بشر.

(٤) قراءة يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، في جميع القرآن فيما كان متعلقا بالآخرة، انظر: الإتحاف: ٢ / ٢٦٣، وهناك قراءة بالياء مضمومة، ذكرها أبو حيان ولم ينسبها، انظر: البحر: ٦ / ٢٨٩.

(٥) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط عن السدي: ٣ /٢٣٧، وكذلك أبو حيان في البحر: ٦ / ٢٨٩، وعزاه أيضا إلى مقاتل.

الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: بذكر الله وما يجب أن يذكر به[1] من الوحدانية ﴿ هُمْ ﴾ بـه ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن[2] يتخذوا هزوا منك فـإنك محـق وهـم مبطلون، وقيل : "بذكر الرحمن" أي : بما أنزل عليك من القـرآن كـافرون جاحدون، والجملة : في موضع الحال أي : يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية، وهي الكفر بالله [تعالى][3]، وكررهم : للتـأكيد، أو : لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر، فأعيد المبتدأ.

٣٧- ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ فُسّر بالجنس، وقيل : نزلـت حـين كـان النضر[4] بن الحارث يستعجل بالعذاب[5]، والعَجل والعَجَلة مصدران، وهـو تقديم الشئ على وقته، والظاهر أن المراد : الجنس وأنه رُكّب فيه العجلة، فكأنه خُلِق من العَجَل، ولأنه يكثر منه، والعرب تقول لمن يَكْثُر منه الكَرَم خُلِق مـن الكرم، فقدّم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليـها، ثم منـع وزجر[6] كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلـك وهـو طبعه وسجيته وقد[7] رُكّب فيه، وقيل : العجل الطين بلغـة حِمْـيَر قـال شاعرهم :

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ج " أن.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٤) في " ب " نضر.

(٥) قاله ابن عباس في رواية عطاء عنه، انظر : الوسيط : ٣ / ٢٣٧، والقرطـبي : ١١ / ٢٨٩.

(٦) في " ج " منعه وزجره.

(٧) في " ج " فقد.

والنبع في الصخرة الصماء منبته [(١)] والنخل تنبت[(٢)] بين الماء والعَجَلِ[(٣)]

وإنما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه، كما أمره بقمع الشهوة وقد ركّبها فيه، لأنه أعطاه القدرة[(٤)] التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة، و"من عجل" حال، أي: عجلاً ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ نقماتي ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ بالإتيان بها.[(٥)]

٣٨- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ إتيان العذاب أو: القيامة ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قيل: هو أحد وجهي استعجالهم.

٣٩- ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ جواب "لو" محذوف، و"حين": مفعول به ليعلم، أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم في النار من وراءٍ وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هوّله عندهم.

---

(١) صدر البيت كله ساقط من " ج ".

(٢) في " ج " ينبت.

(٣) يروى صدر البيت بلفظ آخر، هو:

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ....

وهو من البسيط، أنشده ابن الأعرابي، ولم أجده منسوبا، ذكره الماوردي في تفسيره: ٣/ ٤٥، وبيان الحق في وضح البرهان: ٢ / ٧١، والقرطبي في تفسيره: ١١ / ٢٨٩، ذكر عجزه واشتشهد به في اللسان: ١١ / ٤٢٨ (عجل).

(٤) في " ج " القوة.

(٥) في " ب " و " ج " زيادة (هو بالياء عند يعقوب، وافقه سهل وعباس في الوصل) انظر: الإتحاف / ٢ / ٢٦٤. وفي " ج " و (عباس) بدل (عباس).

٤٠- ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم ﴾ الساعة ﴿ بَغۡتَةً ﴾ فجأة ﴿ فَتَبۡهَتُهُمۡ ﴾ فتحيرهم، أي: لا يكفونها، بل تفجؤهم فتغلبهم ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ فلا يقدرون على دفعها ﴿ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ يمهلون.

٤١- ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ ﴾ فحلّ ونزل ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم ﴾ جزاء ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ سلى رسول الله -[صلى الله عليه وسلم-][1] عن استهزائهم به[2] بأن له في الأنبياء أسوة، وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا.

٤٢- ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم ﴾ يحفظكم ﴿ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ أي: من عذابه إن أتاكم ليلاً أو نهاراً ﴿ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ أي : بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا[3] للسؤال عنه، والمعنى:أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثم أضرب عن ذلك بقوله :

٤٣- ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ ﴾ لما في " أم " من معنى "بل "، وقال[4] : ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منْعَنا وحِفْظَنا، ثم استأنف بقوله ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾ فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد: كيف يمنع غيره وينصره ؟ ثم قال :

---

(١) ما بين المعقوفتين من " ب " و " ج " وفي الأصل (عليه السلام).

(٢) سقط من " ب ".

(٣) في " ب " فصلحوا.

(٤) في " ب " و " ج " فقال.

٤٤- ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ أي: ما هم فيه من الحفظ والكلاءة، إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً، كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك، وهو أمل كاذب ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ أي : ننقص[١] أرض الكفر، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها، وإظهارهم على أهلها، وردها دار إسلام، وذكر " نأتي "يشير بأن الله يجزيه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة علبها ناقصة من أطرافها ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أفكفار[٢] مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم، أي : ليس كذاك بل يغلبهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه بنصرنا.[٣]

٤٥- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ﴾ أخوفكم من العذاب بالقرآن ﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ بفتح الياء والميم ورفع " الصم "، "ولا تسمع الصم ": شامي[٤]" على خطاب النبي — [صلى الله عليه وسلم][٥]- ﴿ إِذَا مَا

(١) في " ج " نقص، وهو خطأ. و" نقص " فعل يأتي لازما، ومتعديا إلى واحد، واثنين، قال تعالى : " ثم لم ينقصوكم شيئا ".

(٢) في " ب " أو كفار.

(٣) ذه السورة مكية، ولم يكن حينئذ شيئ من أرض المشركين في أيدي المسلمين، والقرينة المشاهدة، وأقرب التفاسير في ذلك قول من قال : إن النقصان هنا بدخول بعض المشركين في الإسلام وأرضهم تبع لهم، ولم أجده في كثير من تفاسير المتقدمين، ونبه عليه الطاهر بن عاشور في تفسيره : ١٧ / ٧٧، والأكثرون أنها نزلت في كفار مكة، انظر : البحر : ٦ / ٢٩٣.

(٤) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٧٤، والتحبير : ١٤٦.

(٥) ما بين المعقوفتين من " ج "، وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

﴿ يُنذَرُونَ ﴾ يخّوفون، واللام في "الصم" للعهد، وهـو إشـارة إلى هـؤلاء المنذرين،والأصل : ولا يسمعون إذا ما يُنذرون، فوضع الظاهر موضع المضمـر للدلالة على تصامّهم وسدّهم أسماعهم إذا ما أنذروا.

٤٦- ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ دفعة يسيرة ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ صفة لـ "نفحة" ﴿ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أي: ولئن مسهم من هذا الذي يُنذرون به أدنى شئ لذلّوا، ودعوا بالويل على أنفسهم، وأقـرّوا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصامُّوا، وأعرضوا، وقد بولغ حيـث ذكـر المسّ والنفحة ؛ لأن النفح يدل على القلة، يقال : نفحه بعَطِية : رضخه بها، مـع أن بناءها للمرة.

٤٧- ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾ جمع: ميزان، وهو ما يوزن به الشئ، فيعرف كميتـه. وعن الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان[1] وإنما جمع الموازين لتعظيم شـأنها، كما في قوله : " يا أيها الرسل[2] "[3] والوزن لصحائف الأعمال، في قـول ﴿ ٱلْقِسْطَ ﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل : مبالغة، كأنهـا في نفسـها قسط، أو: على حذف المضـاف، أي : ذوات القسـط ﴿ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لأهل يوم القيامة، أي: لأجلهم ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ من الظلـم ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ وإن كان الشئ مثقال حبة. "مثقال" بـالرفع : مدني، وكذا في لقمان [4] على كان التامة ﴿ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ صفة لـ "حبة" ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ أحضرناها، وأنث ضمير المثقال ؛ لإضافته إلى الحبة، كقولهـم :

---

(١) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف : ٣ / ١١٨، ولم أجده في تفسيره الحسن البصري.

(٢) أكثر العلماء على أنه ميزان واحد،وإنما جمع لما ذكره المصنف، أو باعتبار تعدد الأعمـال الموزونة، كما قرره ابن كثير في تفسيره : ٤ / ٥٦٦.

(٣) المؤمنون : ٥١.

(٤) انظر : المبسوط : ٢٥٣، ٢٥٤، والتحبير : ١٤٦.

ذهبت بعض أصابعه[1] ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ عالمين حافظين، عن ابن عباس — رضي الله عنهما —.[2] لأن من حسب[3] شيئاً علمه وحفظه.[4]

٤٨- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا ﴾ قيل: هذه الثلاثة هي التوراة، فهي فرقانٌ بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة، "وذكر" أي : شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح داريهم[5] ودخلت الواو على الصفات كما في قوله : (وسيداً وحصوراً ونبيا)[6] وتقول مررت بزيد الكريم والعالم الصالح[7] ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

٤٩-ومحل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ جر على الوصفية، أو نصب على المدح، أو رفع عليه[8] ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾ يخافونه ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ حال، أي: يخافونه في الخلاء ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ ﴾ القيامة وأهوالها ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون.

---

(١) وإلى مثل هذا أشار ابن مالك بقوله :

وربما أكسب ثان أولا تأنيثا إن كان لحذف موهلا.

الألفية بشرح ابن عقيل : ٢ / ٩ .

(٢) نسبه إليه الواحدي في الوسيط : ٣ / ٢٤٠.

(٣) في " ج " حفظ.

(٤) في " ج " حسبه وعلمه.

(٥) في " ج " دينهم.

(٦) سورة آل عمران : ٣٩.

(٧) فهو من باب عطف الصفات، وقيل الواو زائدة، انظر : التبيان : ٢ / ٩١٩، والدر المصون : ٨ / ١٦٧.

(٨) الجر على الوصفية أو البدل، أو البيان، والنصب على إضمار : أعني، أو : أمدح، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، انظر : البيان : ٢ / ٩٢٠، والبحر : ٦ / ٢٩٥، والدر المصون : ٨ / ١٦٧.

٥٠- ﴿ وَهَٰذَا ﴾ أي[1] : القرآن ﴿ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ كثير الخير غزير النفع ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ على محمد ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ استفهام توبيخ، أي : جاحدون أنه مترل من عند الله.

٥١- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ هداه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل موسى وهارون، أو: من قبل محمد عليه السلام- ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ ﴾ بإبراهيم، أو برشده ﴿ عَٰلِمِينَ ﴾ أي: علمنا أنه أهل لما آتيناه.

٥٢- ﴿ إِذْ ﴾ إما أن تتعلق بآتينا أو برشده ﴿ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾ أي: الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان، وفيه: تجاهل لهم ليحقّر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها ﴿ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ أي: لأجل عبادتها مقيمون، فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك.

٥٣- ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فقلدناهم.

٥٤- ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أراد أن المقلِّدين والمقلَّدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل، وأكد بـ "أنتم"، ليصح العطف، لأن العطف على ضمير هو في حكيم بعض الفعل ممتنع.

٥٥- ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ بالجد ﴿ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ أي: أجادٌّ أنت فيما تقول أم لاعب ؟ استعظاماً منهم[2] إنكاره عليهم واستبعاداً أن[3] يكون ما هم عليه ضلالا.

---

(١) سقط من " ج ".

(٢) في " ب " منه.

(٣) في " ج " لأن.

فثم أضرب عنهم مخبراً بأنه جادّ فيما قال غير لاعب مثبتاً لربوبية الملك العلام وحدوث الأصنام بقوله :

٥٦- ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويجحد[1] الخالق ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم ﴾ المذكور من التوحيد شاهد ﴿ مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

٥٧- ﴿ وَتَٱللَّهِ ﴾ أصله: والله. وفي التاء معنى التعجب كأنه تعجب[2] من تسهّل[3] الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطانه[4] نمروذ ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ لأكسرها ﴿ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم، قال ذلك سراً من قومه فسمعه رجل واحد فعرّض بقوله : إني سقيم أي : سأسقم ليتخلف، فرجع إلى بيت الأصنام.

٥٨- ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ قطعاً من الجذّ، وهو القطع جمع جُذاذة كزُجاجة وزُجاج، جذاذاً بالكسر: علي[5] جمع جذيذ، أي : مجذوذ كخفيف وخفاف ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ للأصنام أو: الكفار، أي : فكسرها كلها بفأس في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ ﴾ إلى الكبير ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ فيسألونه عن كاسرها، فيتبين لهم عجزه، أو: إلى إبراهيم ليحتجّ عليهم، أو: إلى الله لما رأوا عجز آلهتهم.

---

(١) في " ج " ويترك.

(٢) لفظ " كأنه تعجب " ساقط من " ج ".

(٣) في " ج " تسهيل.

(٤) في " ب " سلطنة، وفي " ج " سلطة.

(٥) انظر : المبسوط : ٢٥٤، وغاية الاختصار : ٢ / ٥٧٤، والتحبير : ١٤٦.

٥٩- ﴿ قَالُواْ ﴾ أي: الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرءته[1] على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم.

٦٠- ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ الجملتان صفتان لـ "فتى" إلا أن الأول هو "يذكرهم"، أي : يعيبهم لا بد منه للتسمع[2]، لأنك لا تقول : سمعت زيداً وتسكت، حتى تذكر شيئاً مما يُسمع بخلاف الثاني، وارتفاع إبراهيم بأنه فاعل "يقال"، فالمراد الاسم المسمى، أي: الذي يقال [له][3] : هذا الاسم [4].

٦١- ﴿ قَالُواْ ﴾ أي: نمروذ وأشراف قومه ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ ﴾ أحضروا إبراهيم ﴿ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ في محل الحال، بمعنى عياناً مشاهداً، أي : بمرأى منهم ومنظر ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ عليه بما سُمع منه، أو : بما فعله كأنهم كرهوا عقابة بلا بينة،أو يحضرون عقوبتنا له، فلما أحضروه :

٦٢-٦٣- ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ ﴾ عن الكسائي : أنه يقف عليه[5] أي : فعله من فعله،

---

(١) في " ج " لجراءته.

(٢) في " ج " للسمع.

(٣) ما بين المعقوفتين من غير الأصل.

(٤) هذا الإعراب وجهه خفي، وقيل : هو مرتفع على النداء، وقيل : هو خبر مبتدأ محذوف والأصل : يقال له : هو إبراهيم، ذكرهما الزجاج في معاني القرآن : ٣ / ٣٩٦، وانظر : الفريد : ٣ / ٤٩٤. ومن أعجب وجوه الأعاريب : قول الأعلم الشنتمري الإشبيلي : إنه مرفوع على الإهمال، نقله عنه القرطبي في تفسيره : ١١ / ٢٩٩.

(٥) انظر : علل والوقوف : ٢ / ٧٠٧ للسجاوندي، واستبعده، ونقله الأشموني عن الكسائي في منار الهدى : ٢٥٠.

وفيه حذف الفاعل وأنه لا يجوز[١]، وجاز أن يكون الفعل[٢] مسنداً إلى الفتى المذكور في قوله: "سمعنا فتى يذكرهم"، أو : إلى إبراهيم في قوله : يا إبراهيم، ثم قال ﴿ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ وهو مبتدأ وخبر، والأكثر أنه لا وقف، والفاعل " كبيرهم"، وهذا وصف، أو : بدل، ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي ؛ تبكيتاً لهم وإلزاماً للحجة عليهم ؛ لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم، وأنه لا يصلح إلهاً، وهذا كما لو[٣] قال لك صاحبك ـــ وقد كتبت كتاباً بخط رشيق[٤] ـــ أأنت كتبت هذا، وصاحبك أمي، فقلت له: بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك، وإثباته للأمي ؛ لأن إثباته للعاجز منكما والأمر دائر[٥] بينكما استهزاء به، وإثبات للقادر[٦]، ويمكن أن يقال : غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة، وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه، لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه، ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال : لهم ما تنكرون أن يفعله[٧] كبيرهم، فإن من حق من يعبد ويُدّعى إلهاً أن يقدر على هذا.

(١) هذه عبارة العكبري في التبيان : ٢ / ٩٢١، ولا نكير على الكسائي في ذلك، لأنه يجوز حذف الفاعل، انظر : الدر المصون : ٨ / ١٧٨.

(٢) في " ج " الفاعل، وهو خطأ.

(٣) سقط لفظ (لو) من " ب ".

(٤) في " ج " رشيق أنيق.

(٥) في " ج " كائن.

(٦) انظر : الكشاف : ٣ / ١٢١.

(٧) في " ب " يفعل.

ويحكى : أنه قال : غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن[1]، أو : هو معلق[2] بشرط لا يكون، وهو نطق الأصنام فيكون نفيا للمخبر به[3]، أي : بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقوله فاسألوهم اعتراض، وقيل : عرض بالكبير نفسه[4]، وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ ﴾ عن حالهم ﴿ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ وأنتم تعلمون عجزهم عنه.

٦٤- ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم ﴿ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فإن من لا يدفع عن رأسه الفأس، كيف يدفع عن عابده البأس.

٦٥- ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله[5] الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، أي : ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم[6]، يقال : نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه، أي : استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ

---

(١) انظر : الكشاف : ٣ / ١٢٢.

(٢) في " ج " متعلق.

(٣) في " ج " عنه.

(٤) في " ج " لنفسه.

(٥) في " ج " زيادة (تعالى).

(٦) انظر : الوسيط : ٣ / ٢٤٣، والكشاف : ٣ / ١٢٢، والقرطبي : ١١ / ٣٠٢.

﴿ يَنطِقُونَ ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها، والجملة سدت مسد مفعولي [علمت][1]، والمعنى: لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم.

٦٦- ﴿ قَالَ ﴾ محتجا عليهم ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ هو في موضع المصدر، أي: نفعا ما[2] ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن لم تعبدوه.

٦٧- ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ "أف" صوت إذا صوت به علم إن صاحبه متضجر، أضجره[3] ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم، واللام لبيان المتأفف به، أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف، "أف ". مدني وحفص، أف مكي وشامي، أف غيرهم[4] ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلها، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

٦٨- ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار، لأنها أهول ما يعاقب به وأفظع ﴿ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ بالانتقام منه ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ أي : إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات، وهي[5] الإحراق بالنار، وإلا فرطتم في نصرها، والذي أشار بإحراقه : نمروذ، أو : رجل من أكراد فارس. وروي[6] : أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه، ثم بنوا بيتا بكوثى، وجمعوا شهرا أصناف الخشب، ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها

---

(١) في الأصل [علمتم] والصواب : المثبت. لأنه لفظ القرآن.

(٢) سقط (ما) من " ج ".

(٣) في " ج " ضجر.

(٤) انظر : الآية : (٢٣) من سورة الإسراء.

(٥) في " ج " وهو.

(٦) في " ج " وقيل.

وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فرموا به فيها وهو يقول : حسبي الله ونعم الوكيل، وقال له جبريل : هل لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا، فسل ربك، حسبي من سؤالي علمه بحالي [1]. وما أحرقت النار إلا وثاقه. وعن ابن عباس : إنما نجا بقوله : حسبي الله ونعم الوكيل.

٦٩- ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ أي: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام ﴿ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أراد : ابردي فيسلم منك إبراهيم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما- : لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها[2]" والمعنى : أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير.

٧٠- ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ إحراقاً ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ فأرسل على نمروذ وقومه البعوض، فأكلت[3] لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمروذ فأهلكته.[4]

٧١- ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ ﴾ أي: إبراهيم ﴿ وَلُوطًا ﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: أرض الشام، وبركتها: أن أكثر الأنبياء منها، فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية، وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير، وقيل : ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله في صخرة بيت المقدس. روي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة وبينهما،

---

(١) ذكره هذه الراية : الزمخشري في الكشاف : ٣ / ١٢٣، والقرطبي : ١١ / ٣٠٣ — ٣٠٤.

(٢) ذكره عنه : ابن جرير في تفسيره : ١٧ / ٤٤، وذكره الماوردي : (٣ / ٤٩) عن أبي العالية، وكذلك القرطبي : ١١ / ٣٠٤، ونسبه أيضا إلى ابن عباس وعلي.

(٣) في " ب " وأكلت.

(٤) حكاه القرطبي : ١١ / ٣٠٥، عن ابن عباس.

مسيرة يوم وليلة. وقال ــ عليه السلام ــ : " إنها ستكون هجرة بعد هجــــرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم "(١).

٧٢- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قيل: هو مصدر كالعافية مــن غير لفظ الفعل السابق، أي : وهبنا له هبة، وقيل : هي ولد الولد، وقد ســأل ولدا فأعطيه، وأعطي(٢) يعقوب نافلة أي : زيادة وفضلا من غير سؤال، وهــي حال من يعقوب ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو المفعــول الأول لقوله ﴿ جَعَلْنَا ﴾ والثاني ﴿ صَـٰلِحِينَ ﴾ في الدين وللنبوة.(٣)

٧٣- ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ يقتدى بهــم في الديــن ﴿ يَهْدُونَ ﴾ النــاس ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ بوحينا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وهي: جميع الأعمــال الصالحة، أصله(٤) : أن تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات، ثم فعــل الخــيرات(٥) وكذلك(٦) ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ والأصل: وإقامة الصـلاة إلا أن المضاف إليه جعل بــدلا مــن الهــاء ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ لا للإصنام، فأنتم يا معشر العرب أولاد إبراهيم، فاتبعوه في ذلك.

٧٤- ﴿ وَلُوطًا ﴾ انتصب بفعل يفسره ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا ﴾ حكمة وهي ما يجب فعله(٧) أو: فصلا بين الخصوم، أو نبوة ﴿ وَعِلْمًا ﴾ فقــها ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٢٢٤٨٢ عن حديث عبد الله بن عمرو والحــاكم : ٤ / ٤٨٦، وأحمد ٢ / ١٩٩.

والبغوي بشرح السنة : ١٤ / ٢٠٩. والطبري في التفسير : / ٢٩.

(٢) في " ب " و " ج " وأعطى.

(٣) في " ج " والنبوة.

(٤) في " ج " وأصله.

(٥) سقطت جملة (ثم فعل الخيرات) من " ب ".

(٦) في " ج " زيادة قوله.

(٧) في " ج " زيادة (من العمل).

﴿ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ من أهلها وهي سدوم[١] ﴿ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ اللواط والضراط وحذف المارة بالحصى[٢] وغيرها ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ خارجين عن طاعة الله.

٧٥- ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾ في أهل رحمتنا، أو: في الجنة ﴿ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: جزاء له على صلاحه، كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم.

٧٦- ﴿ وَنُوحًا ﴾ أي: واذكر نوحا ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ أي: دعا على قومه بالهلاك ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ أي: دعاءه ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾ أي: المؤمنين من ولده، وقومه ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ من الطوفان، وتكذيب أهل الطغيان.

٧٧- ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ منعناه منهم أي: من أذاهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

٧٨- ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: واذكرهما ﴿ إِذْ ﴾ بدل منهما ﴿ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ الزرع[٣] أو: الكرم ﴿ إِذْ ﴾ ظرف ليحكمان ﴿ نَفَشَتْ ﴾ دخلت ﴿ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ ليلا فأكلته وأفسدته، والنفش: انتشار الغنم ليلا بلا راع ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ ﴾ أرادهما [والمتحاكمين][٤] إليهما ﴿ شَٰهِدِينَ ﴾ أي: كان بعلمنا ومرأى منا.

---

(١) سميت باسم قاضيها سدوم، يضرب به المثل، يقال: أجور من قاضي سدوم. معجم ما استعجم: ٣ / ٧٢٩.

(٢) سوف يأتي تفصيل ذلك في سورة العنكبوت: ٢٨.

(٣) في " ج " في الزرع.

(٤) في الأصل: المتحاكمين. والمثبت هو الصواب.

٧٩- ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا ﴾ أي: الحكومة، أو الفتوى ﴿ سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾ وفيه: دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه[١]، وقصته : أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا، فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث، وقد استوت قيمتاهما أي : قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في[٢] الحرث، فقال سليمان ـــ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـــ : غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكمن، فقال : أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد، ثم يترادان، فقال : القضاء ما قضيت،وأمضى الحكم بذلك[٣]، وكان ذلك باجتهاد منهما، وهذا كان في شريعتهم، وأما[٤] في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه ـــ رضي الله عنهم [٥]ـــ بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعي ـــ رضي الله عنه ـــ يجب الضمان بالليل، وقال الجصاص : إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها، أو نسخ[٦] الضمان بقوله ـــ عليه

---

(١) الجمهور على أن الحكم كان مختلفا وأن سليمان أصاب وداوود أخطأ، ولا يمتنع وجود الخطأ على الأنبياء، وأنهم كغيرهم إلا أنهم لا يقرون على خطأ، ليعود الله لهم بالحقائق دون خلقه ومن العلماء من ذهب إلى أن الحكم كان متفقا لأن الله أثنى عليهما، وقوله : " ففهمناها " دلالة على أن سليمان فهم المسألة أيضا على صغره. لأن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل. انظر : النكت والعيون : ٣ / ٥٠ ـــ ٥١.

(٢) في " ج " (من).

(٣) انظر : الوسيط : ٣ / ٢٤٥ ـــ ٢٤٦، وتفسير ابن كثير : ٤ / ٥٧٦.

(٤) في " ج " فأما.

(٥) في " ج " و " ب " رحمه الله.

(٦) في " ج " ونسخ.

السلام ـــ : " العجماء جبار "[1] وقال مجاهد : كان هذا صلحاً، ومـــا فعلــه داود [كان][2] حكماً، والصلح خير ﴿ وَكُلًّا ﴾ من داود وســـليمان ﴿ ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا ﴾ نبوة ﴿ وَعِلۡمًاۚ ﴾ معرفة بموجب الحكـــم ﴿ وَسَخَّرۡنَا ﴾ وذللنا ﴿ مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ ﴾ وهو حال بمعـــنى مســبحات، أو استئناف، كأن قائلاً قال : كيف سخرهن ؟ فقـــال يســبحن ﴿ وَٱلطَّيۡرَۚ ﴾ معطوف على الجبال، أو مفعول معه، وقدمت الجبال على الطير لأن تســخيرها وتسبــيحها أعــجب وأقــرب[3] وأدخـــل في الإعجـــاز لأنـــه جماد، روي : أنه كان يمر بـــــالجبال مســـــــبحا وهـــــي

(١) نقل ابن العربي اتفاق الأئمة الثلاثة (أبي حنيفة ومالك والشافعي) أنه لا ضمان علـــى أرباب المواشي فيما أصابت في النهار، زاد أبو حنيفة في الليل، ونقـــل عـــن الليـــث : الضمان بالليل وبالنهار في هذا. انظر : أحكام القرآن : ٣ / ١٢٦٨، وقد ثبت عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من حديث البراء الأمر لأرباب المواشي أن يحفظوها بـــالليل، فهو نص في التفرقة بين الليل والنهار، ومخصص لحديث " العجماء جبـــــار " ولا أدري على أي شئ استند الليث ـــ رحمه الله ـــ، ففي كل من الحديثين رد عليه وإلى التفريـــق ذهب جماهير العلماء. انظر :أحكام القرآن للجصاص،، وتفسير القرطـــبي : ١١ / ٣١٧ وما بعدها، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٤١٨.و الحديث أخرجه البخاري في صحيحـه مطولا، من حديث أبي هريرة ٢ / ١٦٦ رقم ١٤٩٩، كتاب الزكاة، باب : في الركـــاز الخمس، والترمذي ١٣٧٧، والنسائي كتاب الزكاة : ٥ / ٤٥.
وابن خزيمة برقم ٢٣٢٦، وأحمد ٢ / ٢٢٨.

(٢) المثبت بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) في " ب " و " ج " وأغرب.

تجاوبه[1] [2] وقيل: كانت تسير معه حيث سار[3] ﴿ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجباً عندكم.

٨٠- ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ أي: عمل الدروع واللّبوس[4] اللباس[5] والمراد: الدّرع ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ شامي وحفص أي: الصنعة، وبالنون: أبو بكر وحماد، أي: الله عز وجل، وبالياء: غيرهم.[6] أي: اللبوس، أو: الله عز وجل ﴿ مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ من حرب عدوكم ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي: فاشكروا الله على ذلك.

٨١- ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ أي: وسخرنا[7] الريح ﴿ عَاصِفَةً ﴾ حال، أي: شديدة الهبوب، ووصفت في موضع آخر بالرخاء؛ لأنها تجري باختياره، فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ بأمر سليمان ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار والثمار، والمراد: الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا.

---

(١) في " ج " تتجاوبه، وهو بعيد.

(٢) حكاه الواحدي في الوسيط: ٣ / ٢٤٦ عن السدي، والقرطبي: ١١ / ٣١٩ عن وهب.

(٣) ذكره في الكشاف ولم ينسبه: ٣ / ١٨٢.

(٤) في " ج " اللبوس والدروع.

(٥) في " ج " واللبوس اللّباس.

(٦) انظر: المبسوط: ٢٥٤، وغاية الاختصار: ٢ / ٥٧٥.

(٧) زاد في " ج " (له).

٨٢- ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي: وسخرنا منهم ﴿ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ في البحار بأمره لاستخراج الدّرر[١] وما يكون فيها ﴿ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ ﴾ أي: دون الغوص، وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان ﴿ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾ أن يزيغوا عن أمره، أو يبدلوا، أو يوجد منهم فيما هم مسخرون فيه.

٨٣- ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ أي: واذكر [٢] ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي ﴾ أي: دعاه[٣] بأني ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ الضَّر: بالفتح الضَّرَرُ في كل شئ، وبالضم: الضُّرَر في النفس من مرض أو: هزال[٤] ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة و لم يصرح بالمطلوب، فكأنه قال : أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يُرْحم، فارحمه واكشف عنه [الضّر][٥] الذي مسّه. عن أنس رضي الله عنه : أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة و لم يشتك وكيف يشكو من قيل له : " إنا وجدناه صابراً نعم العبد "[٦]. وقيل : إنما شكا إليه تلذّذاً بالنجوى لا منه تضرّراً بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب، كما أن الشكاية منه غاية البعد.[٧]

---

(١) في " ج " الدر.

(٢) زاد في " ج " أيوب.

(٣) في " ج " دعا.

(٤) انظر : الكشاف : ٣ / ١٢٧، والبيضاوي بهامش الشيخ زاده : ٤ / ٣٦٥، والبحر المحيط : ٦ / ٣١٠، والدر المصون : ٨ / ١٨٩.

(٥) في الأصل (أو ضر) وهو غير مفهوم.

(٦) ص : ٤٤.

(٧) قال الثعلبي :" سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول : حضرت مجلسا خاصا بالفقهاء والأدباء في دار السلطان، فسئلت عن هذه الآية ــ بعد إجماعهم على أن قول أيوب

٨٤- ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾ أجبنا دعاءه ﴿ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ ﴾ فكشفنا ضره إنعاماً عليه ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ ﴾ روي: أن أيوب — عليه السلام كان روميا من ولد إسحاق بن إبراهيم — عليهم السلام[1] — وله سبعة بنين، وسبعة بنات، وثلاثة آلاف بعير، وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أوثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين، وقالت له امرأته يوماً : لو دعوت الله تعالى[2] فقال : كم كانت مدة الرخاء، فقالت : ثمانين سنة، فقال : أنا أستحي من الله أن أدعوه ما بلغت مدة بلائي مدة رخائي، فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم[3] ﴿ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾ هو مفعول له , وكذلك ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ يعني : رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كصبره فيُثابوا كثوابه.

٨٥- ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾ بن إبراهيم ﴿ وَإِدۡرِيسَ ﴾ بن شيث بن آدم ﴿ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ ﴾ أي: اذكرهم، وهو إلياس، أو زكريا، أو يوشع بن نون، وسمي به، لأنه ذو الحظ من الله، والكفل الحظ ﴿ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أي: هؤلاء المذكورين كلهم موصوفون بالصبر.

كان شكاية — وقد قال الله تعالى : (إنا وجدناه صابرا " فقلت هذا ليس شكاية، وإنما كان دعاء، بيانه (فاستجبنا له) والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء، فاستحسنوه وارتضوه — وسئل الجنيد من هذه الآية فقال : علمه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم السؤال. القرطبي : ١١ / ٣٢٥ — ٣٢٦.

(١) في " ب " عليهما، وفي " ج " عليه، والكل صواب.

(٢) في " ج " عز وجل.

(٣) انظر : الكشاف : ٣ / ١٢٨، والبحر : ٦ / ٣١٠.

٨٦- ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ ﴾ نبوتنا، أو: النعمة في الآخرة ﴿ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي : ممن لا يشوب صلاحهم كذا الفساد.

٨٧- ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ أي: اذكر صاحب الحوت، والنون : الحوت، فأضيف إليه ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا ﴾ حال أي: [مراغما][1] لقومه، ومعنى مغاضبته لقومه: أنه أغضبهم لمفارقته[2]، لخوفهم حلول العقاب عليه[3] عندها[4]، روي : أنه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم، فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله[5]، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم، فابتلي ببطن الحوت ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ ﴾ نضيق ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ وعن ابن عباس : أنه دخل[6] على معاوية، فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة، فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك، قال: وما هي يا معاوية ؟ فقرأ الآية، وقال[7] : أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه ؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي : في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت، كقوله : "

(١) في الأصل (مراغم) ولم أجد له وجها مستقيما، إلا أن يكون المراد : ذهاب مراغم.

(٢) في " ب " و " ج " بمفارقته.

(٣) في " ب " و " ج " عليهم، وهو الذي في الكشاف، وهو الأقرب.

(٤) الأقرب في هذا المعنى : أن يقال : خرج مغاضبا لربه عز وجل، أي : من أجل ربه، كما تقول : غضبت لك من أجلك، والمؤمن يغضب لله تعالى، إذا عصي، وهذا الوجه اختاره الطبري، انظر : تفسيره :، واستحسنه المهدوي، وهو قول الحسن والشعبي وسعيد بن جبير، انظر : القرطبي : ١١ / ٣٢٩، وقال النحاس : ربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قوله صحيح.

(٥) انظر : الكشاف : ٣ / ١٢٨، والقرطبي : ٣٢٩.

(٦) في " ج " زيادة (يوما).

(٧) في " ج " فقال.

ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات "[1] أو: ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ﴿ أن ﴾ أي: بأنه ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ أو : بمعنى: أي ﴿ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي، في الحديث : " ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له "[2] وعن الحسن : ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.[3]

٨٨- ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾[4] غمّ الذلة والوحشة والوحدة ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذا دعونا واستغاثوا بنا. " نُجّيْ " شامي وأبو بكر بإدغام النون في الجيم عند البعض، لكن[5] النون لا تدغم في الجيم، وقيل : تقديره نُجّي النجاء المؤمنين، فسُكّن الياء تخفيفاً وأُسند الفعل إلى المصدر ونُصب المؤمنين بالنجاء، لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز، ففيه[6] تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله نُنجي من التنجية، فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين، كما حذفت إحدى التاءين في " تنزل الملائكة ".[7]

---

(١) سورة البقرة : ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ج٥/٤٩٦برقم ٣٥٠٠، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٠٥، وخرجه ابن حجر في الكافي على الكشاف : ٣ / ١٣٩.

(٣) ذكره عنه في الكشاف : ٣ / ١٢٩.

(٤) في هامش الأصل : بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه، وقيل ثلاثة أيام، والغم غم الانتقام، وقيل : غم الخطيئة.

(٥) في " ج " لأن.

(٦) في " ب " و " ج " وفيه.

(٧) انظر : التحبير : ١٤٦، والإتحاف : ٢ / ٢٦٦، لتوثيقها، وهناك وجه رابع في توجيه القراءة : أن يكون الفعل " نجى " فعلا ماضيامبنيا لما لم يسمّ فاعله، وسكنت لامه للتخفيف كقراءة من قرأ : (ما بقيْ من الربى) "وهي قراءة الحسن " ونائب الفاعل :

٨٩- ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا ﴾ سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث، أي : باق.

٩٠- ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ ولدا ﴿ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴾ جعلناها صالحة للولاد[1] بعد عقرها[2] أو حسنة وكانت سيئة الخلق[3] ﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ أي: الأنبياء المذكورون[4] ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ أي: أنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾ أي: طمعا وخوفا كقوله : " يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه "[5] وهما : مصدران في موضع الحال أو : المفعول له، أي : للرغبة فينا والرهبة منا ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين.

النجاة، وهو مقدر. وهذا الوجه الثاني الذي ذكره المصنف في أن " المؤمنين " ليس منصوبا بالباء بل بفعل مقدر. والأعاريب الثلاثة من التبيان : ٢ / ٩٢٥، أوردها ولم يستحسنها وصرح بتضعيف بعضها، وانظر الكلام عن هذه القراءة إشكالا ورفعا : الحجة لأبي علي : ٥ / ٢٥٩، وتوضيح المسالك : ٥٤٧، والمفصل بشرح ابن يعيش : ٧ / ٧٥. والبحر المحيط : ٦ / ٣١١ , والدر المصون : ٨ / ١٩٢ و ٤٧٧ وتوجيه مشكل القراءات ٣٤٤ وما بعدها.

(١) في " ج " للولادة.

(٢) في " ج " العقار.

(٣) ساقط من " ج ".

(٤) في " ج " المذكورين. وله وجه.

(٥) الزمر : ٩.

٩١- ﴿ وَٱلَّتِىٓ ﴾ واذكر التي ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ حفظته[١] من الحلال والحرام ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أي : أجرينا فيها روح المسيح، أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها، فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، وإضافة الروح إليه ــ تعالى ــ لتشريف عيسى ــ [عليه السلام ــ][٢] ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً ﴾ مفعول ثان ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ وإنما لم يقل: آيتين كما قال: "وجعلنا الليل والنهار آيتين "[٣] ؛ لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادها إياه من غير فحل، أو : التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك، فـ "آية" مفعول المعطوف عليه، ويدل عليه قراءة من قرأ "آيتين".

٩٢- ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الأمة الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، وهي ملة جميع الأنبياء، وأمة واحدة[٤] أي : متوحدة غير متفرقة، والعامل : ما دل عليه اسم الإشارة، أي : أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ أي: ربيتكم اختيارا، فاعبدوني شكرا وافتخارا، والخطاب : للناس كافة.

٩٣- ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ أصل الكلام : وتقطعتم، إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، والمعنى : وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ فنجازيهم على أعمالهم.

---

(١) في " ب " حفظت.

(٢) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٣) الإسراء : ١٢.

(٤) في " ج " وأمة واحدة.

٩٤- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ شيئا ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ أي: فإن سعيه مشكور مقبول، والكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه، وقد نفي الجنس ليكون أبلغ ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ ﴾ للسعي، أي الحفظة بأمرنا ﴿ كَٰتِبُونَ ﴾ في صحبة علمه فنثيبه به.

٩٥- ﴿ وَحَرَٰمٌ ﴾ وحرم كوفي غير حفص وخلف[١] وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى، والمراد بالحرام: الممتنع وجوده ﴿ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ والمعنى: وممتنع على قرية أهلكناها أي: قدرنا إهلاكهم،أو : حكمنا بإهلاكهم ذاك[٢] وهو المذكور في الآية المتقدمة، من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور أنهم لا يرجعون[٣] أي : لأنهم لا يرجعون من الكفر إلى الإسلام [٤].

٩٦- ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ هي التي يحكي بعدها الكلام، والكلام المحكي : الجملة من الشرط والجزاء، أعني ﴿ إِذَا ﴾ وما حيزها ﴿ فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي: فتح

---

(١) انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٥٧٥، والتحبير : ١٤٦.

(٢) في " ج " ذلك.

(٣) لفظ (لأنهم لا يرجعون) ساقط من " ج ".

(٤) هذا المعنى صحيح غير أن تركيب الكلام لا يؤدي إليه، ومما قيل في معناها : أن " لا " زائدة والمعنى يمتنع : رجوعهم إلى الإيمان بعد أن قدر إهلاكهم. وقيل : الحرام ـ هنا ـ بمعنى الواجب، وقيل الحرام : على بابه، و " لا " غير زائدة، والمعنى : يمتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة بعد إهلاكهم بل هم راجعون حتما، وهذا هو القول البرئ من التكلف، ودعوى الزيادة أو إخراج المعنى عن ما وضع له أصلا، وإن كان غير مشهور، والمفسرون ينسبونه إلى أبي مسلم. وبمعناه قال ابن عطية في تفسيره : ٣ /. انظر تفسير الرازي : ٢٢ / ٢٢٠ ـ ٢٢١. والبحر المحيط : ٦ / ٣١٣، والدر المصون : ٨ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

سدها، فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى قرية. فتحت شامي[1] وهما قبيلتان من جنس الإنس، يقال : الناس عشرة أجزاء، تسعة منها يأجوج ومأجوج ﴿ وَهُم ﴾ راجع إلى الناس المسبوقين إلى المحشر، وقيل : هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ ﴾ نشز من الأرض، أي: ارتفاع ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ يسرعون.

٩٧- ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي : القيامة، وجواب " إذا" ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ وهي "إذا" المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله : (إذا هم يقنطون)[2] فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل : فهي شاخصة، أو : إذا هي شاخصة كان سديدا، و"هي" : ضمير مبهم يوضحه الأبصار وتفسره[3] ﴿ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: مرتفعة الأجفان، لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه ﴿ يَاوَيْلَنَا ﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: يقولون يا ويلنا، ويقولون حال من "الذين كفروا" ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَاذَا ﴾ اليوم ﴿ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها.

٩٨- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الأصنام وإبليس وأعوانه، لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ﴿ حَصَبُ ﴾ حطب، وقرئ حطب[4] ﴿ ﴿ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ فيه داخلون.

---

(١) بالتشديد.انظر : غاية الاختصار : ٢ / ٤٧٩، والتحبير : ١٠٩.

(٢) الروم : ٣٦.

(٣) في " ج " ويفسره.

(٤) هي قراءة أبي، وعلي، وعائشة، وابن الزبير، وزيد بن علي، كما في البحر : ٦ / ٣١٦.

٩٩- ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً ﴾ كما زعمتم ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ ما دخلوا النار ﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي العابد والمعبود ﴿ فِيهَا ﴾ في النار ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾.

١٠٠- ﴿ لَهُمْ ﴾ للكفار ﴿ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ أنين وبكاء وعويل ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ شيئا ما، لأنهم صاروا صما وفي السماع نوع أنس، فلم يعطوا[1].

١٠١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الخصلة][2] المفضلة في الحسن، تأنيث الأحسن، وهي السعادة، أو : البشرى بالثواب، أو : التوفيق للطاعة. نزلت[3] جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته ـــ عليه السلام ـــ على صناديد قريش " إنكم وما تعبدون من دون الله " إلى قوله " خلدون " : أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح و الملائكة [4]. على أن قوله : "وما تعبدون " لا يتناولهم لأن "ما" لمن لا يعقل[5] إلا أنهم أهل عناد فزيد في البيان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ يعني عزيز[6] والمسيح والملائكة ﴿ عَنْهَا ﴾ عن جهنم ﴿ مُبْعَدُونَ ﴾ لأنهم لم يرضوا بعبادتهم، وقيل : المراد بقوله : "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى "جميع المؤمنين، لما روي أن عليا رضي الله عنه ـــ قرأ هذه الآية

---

(١) في " ج " يعطوه.

(٢) في الأصل : الخلصة. والصواب المثبت.

(٣) في " ج " فترلت.

(٤) ذكره ابن جرير في تفسيره : (١٧ /٩٦ ـــ ٩٧) مطولا عن ابن إسحاق، وكذلك الثعلبي بغير إسناد، . وقال ابن حجر في الكافي الشافي : (٣ / ١٣٣) : " لم أجده هكذا إلا ملفقا ".

(٥) يذكر هذا الاعتراض عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو شئ لا أصل له، ولا يوجد مسندا ولا غير مسند كما نبه عليه ابن حجر. انظر : المصدر السابق.

(٦) في " ج " عزيرا بالتنوين، وكلاهما صواب ـــ لأن في منعه من الصرف خلافا.

ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد[1]، وعبد الرحمن بن عوف[2] : وقال الجنيد [رحمه الله][3] : سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم[4] الولاية في النهاية.

١٠٢- ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ صوتها الذي يحس وحركة تلهبها، وهذه مبالغة في الإبعاد عنها، أي : لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ ﴾[5] ﴿ خَالِدُونَ ﴾ مقيمون، والشهوة : طلب النفس [اللذة][6].

١٠٣- ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ النفخة الأخيرة[7] ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي: تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة، يقولون ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ أي: هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا.

---

(١) سعد بن أبي وقاص.

(٢) حكاه الماوردي عن النعمان بن بشير عن علي، النكت والعيون : ٣ / ٦٢.

(٣) ما بين المعقوفتين من " ج ".

(٤) سقط من " ب ".

(٥) زاد في " ج " : من النعيم بعد (أنفسهم).

(٦) سقط من الأصل.

(٧) أكثر المفسرين من السلف على أن هذا الفزع هو : حين إطباق جهنم على أهلها، انظر : الوسيط : ٣ / ٢٥٣ , وقد صرح بنسبته للأكثر، وانظر : تفسير الطبري : ١٧ / ٩٨ ـ ٩٩، وقيل هو حين ذبح الموت، وقيل غير ذلك، والأقرب أن يكون عاما في كل هول يوم القيامة، وهو الذي اختاره أبو حيان، انظر : تفسيره : ٦ / ٣١٧، وما ذكره المصنف هو مختار ابن جرير.

١٠٤- العامل في ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ لا يحزهم، أو تتلقاهم، " تطوى السماء" يزيد[١] وطيها : تكوير نجومها ومحو رسومها، أو : هو ضد النشر أي[٢] : نجمعها ونطويها ﴿ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ ﴾ أي: الصحيفة ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ حمزة وعلي وحفص[٣] أي : للمكتوبات، أي : لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم "الكتاب" أي : ليكتب فيه[٤] كما يطوي الطومار[٥] للكتابة، أو : لما يكتب فيه ؛ لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب[٦] وقيل السجل : ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه [٧] وقيل : كاتب كان لرسول الله ـ [صلى الله عليه وسلم][٨] ـ والكتاب ـ على هذا ـ اسم الصحيفة المكتوب فيها، والطي مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: إلى المفعول ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره " نعيده" و"ما" موصولة، أي : نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و" أول خلق " ظرف لـ "بدأنا"، أي : أول ما خلق، أو: حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى، وأول الخلق : إيجاده أي : فكما أوجده أولا يعيده ثانيا، تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء، والتنكير في خلق مثله في قولك : هو أول رجل جاءني، تريد أول الرجال، ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا، فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول

---

(١) انظر : الإرشاد : ٤٤٥، والبحر : ٦ / ٣١٧.

(٢) ساقطة من " ج ".

(٣) انظر : الإرشاد : ٤٤٥، والتحبير : ١٤٦.

(٤) هذه الجملة ساقطة من " ج ".

(٥) الطومار : الصحيفة، كما في القاموس ٥٥٤، (طمر).

(٦) في " ب " المطلوب.

(٧) انظر : النكت والعيون : ٣ / ٦٣، ونسبه في البحر إلى ابن عباس وجماعة : ٦ / ٣١٧.

(٨) ما بين المعقوفتين من " ج " وفي الأصل و " ب " عليه السلام.

الخلائق، لأن الخلق مصدر لا يجمع ﴿ وَعْدًا ﴾ مصدر مؤكـد، لأن قوله "نعيده" عدة للإعادة ﴿ عَلَيْنَآ ﴾ أي: وعدا كائنا لا محالة ﴿ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ذلك، أي : محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا له صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال.

١٠٥- ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ ﴾ كتاب داود -عليه السلام- ﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ التوراة[١] ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: الشام ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ﴾ ساكنة الياء : حمزة، غيرهم : بفتح الياء[٢] ﴿ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أي: أمة محمد -عليه السلام ـ أو : الزبور بمعنى المزبور أي : المكتوب، يعني : ما أنزل على الأنبياء من الكتب. والذكر: أم الكتاب، يعني : اللوح لأن الكل أخذ[٣] منه، دليله : قراءة حمزة وخلف بضم الزاي[٤] على جمع الزبر بمعنى المزبور، والأرض : أرض الجنة.

١٠٦- ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا ﴾ في[٥] : القرآن، أو في المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ ﴿ لَبَلَٰغًا ﴾ لكفاية، وأصله : ما تبلغ به البغية ﴿ لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ موحدين، وهم أمة محمد ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر : الوسيط : ٣ / ٢٥٤، وقيل : اللوح المحفوظ، وقيل : الزبور : كل كتاب، والأرجح : أن الزبور هو كتاب داود وهو المتبادر عند الإطلاق.
انظر : التسهيل لابن جزي : ٣ / ٣٣، ومن المفسرين من أبعد فقال : إن الذكر هو القرآن و " بعد " بمعنى قبل.
انظر : السراج المنير : ٣ / ٥٣٣.

(٢) التحبير : ١٤٧.

(٣) في " ج " : أخذوا.

(٤) الموضح لابن أبي مريم : ٢ / ٨٦٩ .

(٥) في " ج " أي. مكان : في.

١٠٧- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ ﴾ قال ــ عليه السلام ــ : " إنما أنا رحمة مهداة "(١) ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه جاء بما [يسعدهم](٢) إن اتبعوه، ومن لم يتبع فإنما أتي من نفسه حيث ضيع نصيبه منها. وقيل : هو رحمة للمؤمنين(٣) في الدارين، وللكافر (٤) في الدنيا بتأخير (٥) عذاب الاستئصال والمسخ والخسف (٦). و "رحمة " مفعول له أو حال، أي : ذا رحمة.

١٠٩- ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ﴾ إنما لقصر الحكم على شئ، أو لقصر الشئ على حكم، نحو إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد(٧) وفاعل ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ والتقدير: يوحى إلي وحدانية إلهي، ويجوز(٨) أن يكون المعنى : أن الذي يوحي إلي فتكون "ما" موصولة ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي : أسلموا.

١٠٩- ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ عن الإسلام ﴿ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ ﴾ أعلمتكم ما أمرت به ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ ﴾ حال، أي : مستوين في الإعلام به، ولم أخصص بعضكم،

---

(١) أخرجه البيهقي بالدلائل : ١ / ١٥٨ عن أبي هريرة،وابن أبي شيبة ١١ / ٥٠٤، والقضاعي لمسنده برقم ١١٦٠، وذكره المناوي بلفظ " إنما بعثت رحمة مهداة " وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وقال : " ورجال البزار رجال الصحيح " الجامع الأزهر : ٢ / ١٥٥.

(٢) في الأصل : لسدعده. والصواب المثبت.

(٣) في " ب " للمؤمن.

(٤) في " ج " للكافرين , وهو أنسب.

(٥) في " ج " زيادة : بتأخير العقوبة فيها، وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا لتأخير ...

(٦) انظر : السراج المنير : ٣ / ٥٣٣.

(٧) الأول قصر موصوف على صفة، والثاني قصر صفة على موصوف.

(٨) في " ب " فيجوز.

وفيه: دليل بطلان مذهب الباطنية[1] ﴿ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ أي: لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعني عليه، ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة، أو : لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا.

١١٠- ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾[2] إنه عالم بكل شئ، يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من الأحقاد[3] وهو مجازيكم عليه.

١١١- ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وتمتيع لكم إلى الموت، ليكون ذلك حجة عليكم.

١١٢- ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ اقض[4] بيننا وبين أهل مكة بالعدل، أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال : " اشدد وطأتك على مضر " (قال ربِّ) حفص ؛ على حكاية رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : (ربُّ احكم) يزيد[5] ، (ربي أحكم) : زيد عن يعقوب[1] ﴿

---

(١) وجه ذلك أنه أخبر أن إعلام النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للناس كافة على سواء، ولم يخص بعضهم بشئ من الوحي المتعلق بالتشريع كما يزعم من يزعم من الباطنية أن علي بن أبي طالب خص بأشياء من الرسالة لا يعلمها أحد غيره.

(٢) في " ج " زيادة : أي.

(٣) زاد في " ج " للمسلمين.

(٤) في " ب " اقضوا.

(٥) انظر : التلخيص : ٣٣٣ .وشرح نهج الدماثة في القراءات الثلاثة للجعبري ورقة : ٢٣٠ .

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ العاطف على خلقه ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ وعن ابن ذكوان بالياء، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا يطمعون أن يكون(٢) الشوكة لهم والغلبة، فكذب الله [ظنونهم](٣) وخيب آمالهم ونصر رسول الله ـ [صلى الله عليه وسلم](٤)ـ والمؤمنين، وخذلهم.(٥)

---

(١) انظر لقراءة حفص وقراءة يزيد (أبو جعفر) أيضا : الإرشاد : ٤٤٥، والتحبير : ١٤٧، والقراءة الثالثة : البحر المحيط : ٦ / ٣١٩، ونسبها لابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن .

(٢) في " ج " تكون، وفي الأصل، مهمل.

(٣) في الأصل : ظنونه. وهو خطأ.

(٤) ما بين المعوقفتين من " ب " و " ج ".

(٥) في "ج " زيادة : أي الكفار،وهو المستعان على ما يصفون.